

الإمام الجبواد (ع)

باب المراد

د. حسين العجاج حسن

مكتبة الرضوي



الإمام الجواد

باب الرد

الإمام الجواد باب المراد

تأليف

الدكتور حسين إبراهيم الحاج حسن

أستاذ اللغة العربية

في الجامعة اللبنانية - كلية الآداب

و

مشرف في قسم الدكتوراه والماجستير

دار المرتضى

للطباعة والنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع:

لبنان - بئر العبد - قرب مسجد الإمام الرضا(ع) تلفون: ٠٣/٨٢٩٢٩٥ - ٧٠/٨١٤٣١٢

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَقَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَبَنَاتَنَا وَبَنَاتَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ .
﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ وَبِسْكِتَانَا وَبِنِيْمَانَا وَأَسِيرَانَا﴾ ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ ﴿٩﴾ .

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ .
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ .
﴿إِنَّا وَإِلَيْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ﴾ .

قرآن كريم

إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما
لن تضلوا بعدي أبداً .

السنة النبوية

وقال أحد الشعراء:

لذا ان داهمتك الرزايا والدهر عيشك نكد
باب الحوائج موسى وبالسجواد محمد

الإهداء

إلى من اختاره الله منذ الثامنة من عمره فتى رشيداً وإماماً سديداً .
وإلى من اجتباه سبحانه غلاماً يافعاً ليظهر إعجاز الأئمة الذين أودعهم
تعالى سره وفوض إليهم أمره . وإلى من جعل الله مهاباً في مجالس الأولياء
وفي عصر كان أهله أرباب فهم وعلم وانحراف .
وإلى من لا تحصى مواهبه وعبقرياته وملكاته أتقدم إلى روحانيتك
المقدسة بهذه الوريقات راجياً من مقامك الرفيع قبولها .
وإذا تلطفت علي بالرضا ومنحتني القبول فهو غاية نجاحي ومنتهى أملي
وسعادتي .

عبدك المؤلف

القدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
وسيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه المنتجبين.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تمحى السيئات، اللهم
صل على محمد بن علي بن موسى، علم التقى، ونور الهدى، ومعدن
الوفاء، وخليفة الأوصياء، أمينك على وحيك.

اللهم فكما هديته من الضلالة، وأرشدت به من اهتدى فصل عليه
أفضل ما صليت على أحد من أوليائك، وبقية أوصيائك إنك عزيز حكيم.

إن عقيدتنا في أئمة أهل البيت عليهم السلام هم الصفوة التي اختارهم الله عزَّ
وجلَّ أعلاماً لعباده، وحكاماً على خلقه، عنهم تؤخذ الأحكام ويعرف
الحلال من الحرام، فهم الدعاة إلى دين الله، والموضحون لمنهجه،
وعندهم علم الكتاب وما جاءت به السور.

أمر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله باتباعهم وطاعتهم، والامتثال لأمرهم لكن
المسلمين تراحموا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله على هذا الأمر والنبي صلى الله عليه وآله لم يدفن
بعد، زعموا خوف الفتنة وفي الفتنة سقطوا أبعد المسلمون الخلافة عن أهل
البيت عليهم السلام وأخذت تتقلب في أيدي غيرهم حتى وصلت إلى معاوية بن أبي

سفيان أعدى الناس للإسلام وللرسول، ولم يكتف القدر بهذا حتى انتهت إلى ابنه يزيد الفاجر ثم استمرت ملكاً عضوضاً سبعين عاماً .

وقام بعد بني مروان بنو العباس، فاستبدل الناس بألوان من الظلم وألوان من الجور، والأئمة عليهم السلام أحلاس بيوتهم، ليس لهم أمر ولا نهى، ورحم الله أبا فراس حيث يقول:

بنو علي رعايا في ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدم
ولم يكتف الحكام الأمويون والعباسيون بتقمصهم الخلافة مستأثرين
بها على أهل البيت عليهم السلام حتى أخذوا يتبعونهم قتلاً وسجناً وتشريداً لم يعبا
الأئمة الصابرون عليهم السلام بهذه الشدة والضراوة التي قبلوا بها بل استمروا على
تبليغ رسالتهم في إعلاء كلمة الله، ونشر المفاهيم الإسلامية، وصد التيارات
الفكرية الفاسدة، فقد أغنوا الدنيا بمعارفهم وعلومهم من أجل رفع راية
الإسلام في العالم.

ولا غرو إن كانوا كذلك، لأنهم أحق من غيرهم بالخلافة، لا بل هم
المكلفون بعد الرسول الأعظم عليه السلام بالمحافظة على السنن والشرائع
المحمدية.

وبعد فهذه صفحات تتضمن بعض الجوانب من حياة إمام من أئمة أهل
البيت، بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي. ومعدن الرحمة.
جعل الله تبارك وتعالى في ذروة العظمة وقمة الشرف وأوج الجلالة
والسيادة.

وما أحوجنا نحن اليوم أن نتحدث عن هذا الإمام العظيم ونحن في
زمان قد ضاعت فيه المقاييس، واختلت فيه المفاهيم والقيم، وتغلبت
الجوانب المادية على الجوانب الروحية، ونسي المسلمون أو تناسوا -
الحقائق الثابتة، والقيم العليا، بعد أن استولى عليهم الفراغ العقائدي،

فجرتهم التيارات السياسية المصبوغة بصبغة الدين، فحاربوا الإسلام باسم الإسلام من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

فتكونت الطوائف والمذاهب حتى صار المسلمون فرقاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾؛ وقام أفراد من ذوي الأطماع والمصالح الشخصية، يدعون الناس إلى أنفسهم باسم الخلافة وهم، بلا ريب، فاقدون لمؤهلاتها، فالتفت الناس من حولهم وراجت بضاعتهم الشاذة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

فهم بعيدون عن الإسلام الدين الوحيد الذي تأسس على الوحدة والإتحاد ونهى عن التفرقة والانقسام.

فلننظر إلى القرآن الكريم نراه يصرح بقوله عز من قائل: ﴿وَأَعْتَمِسُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوْا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَجِدَةٌ﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣).

وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ حول هذا الموضوع لقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ رسولاً إلى الناس فجاء بالدين الجامع الشامل الذي يضمن سعادة الدنيا والآخرة، وأنزل الله القرآن تبياناً للناس، فيه كل ما يحتاج إليه البشر من العقائد والأحكام والأخلاق، وكان الرسول ﷺ يفسر من القرآن كل ما يحتاج إلى التفسير والتوضيح.

فآمن برسول الله من آمن واهتدى به من اهتدى.

وحيث أن النبي محمد هو خاتم الأنبياء ولا نبي بعده.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

وحيث أن القرآن هو آخر كتاب سماوي أنزله الله سبحانه وحيث أن الشريعة الإسلامية هي آخر الشرائع الإلهية .

وحيث أن الله أرسل رسوله الأعظم إلى الناس كافة .

وحيث أن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فلا نسخ ولا تغيير ولا تبديل في أحكام الإسلام فلا بد أن يكون الدين الإسلامي جامعاً لجميع جوانب الحياة البشرية حتى لا يحتاج الناس إلى دين آخر أو إلى قوانين أخرى، أو إلى شريعة غير الشريعة الإسلامية .

وبعد الرسول الأعظم كان لا بد من تعيين أفراد أكفاء وعناصر شريفة مميزة تقوم بهذه المهام في الأجيال التالية وذلك لدفع شبهات الملاحدة، والإجابة على أسئلة المنحرفين وجلّ المسائل الفقهية والعلمية العالقة .

فإذا كانت المدرسة تحتاج إلى مدير، والعائلة الواحدة لا تستغني عن كبير يشرف على أمورها .

أما يحتاج المجتمع الإسلامي إلى قائد عالم تتوفر فيه المؤهلات وتجتمع فيه الشروط القيادية الصحيحة كي يقتدي به المجتمع الإسلامي، وينضوي تحت لوائه؟

ومن المؤكد أن رسول الله ﷺ كان أكثر أهل العالم: علماً ومعرفة وحكمة وبصيرة فذة، فهل من المعقول أن يترك هذا النبي الحكيم العارف العالم أمتة بلا قائد وبلا إمام؟!

يقولون: إن رسول الله جعل الأمر شورى بين أفراد أمتة يختارون من شاؤوا، ليقوم بأعباء الخلافة وقيادة المسلمين سبحانه الله ما أبعد هذا القول عن الصواب!

وهو القائل:

« . . وستفترق أمتي من بعدي على ثلاث وسبعين فرقة فرقة واحدة في الجنة، والباقون في النار»؟!

أليس معنى هذا هو الضياع والاهمال للدين؟ ذلك الدين الذي بذل رسول الله لأجله كل غال ونفيس، وتحمل ما تحمل من التعب والأذى حتى قال ﷺ: «ما أؤذي نبي بمثل ما أؤذيت»؟!

إن رسول الله ﷺ قد قام بكل ما يلزم وما يجب تجاه هذه الأمور، واتخذ أحسن التدابير لسد كل فراغ في الإسلام فخطط لكل ما يحتاج إليه المسلمون من جميع النواحي واتخذ الوسائل الوقائية أمام كل انحراف عقائدي وذلك عن طريق نصب الأئمة وتعيينهم من بعده فكانت دعوته إلى: التوحيد والنبوة والإمامة والخلافة من بعده.

ومن الواضح: أن رسول الله ﷺ لا يقدم على نصب الخليفة من عند نفسه، وأتباعاً لهواه، بل لا بد وأن يكون تعيين الخليفة من عند الله الحكيم البصير بكل شؤون الأمة الإسلامية، ويعلم جل جلاله ضمائر القلوب وعواقب الأمور، لأن الخلافة تلي النبوة، فلا بد من توفر المؤهلات المطلوبة والاستعداد التام للقيام بما يتطلبه هذا المقام الرفيع. لذلك كله، فقد قام ﷺ بهذه المهمة منذ أوائل بعثته يوم كان في مكة المكرمة.

ولما نزلت الآية الكريمة: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١).

نصب رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بالخلافة والإمامة والولاية والقصة مفصلة ومشهورة عند الشيعة والسنة^(٢).

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٢) راجع تاريخ الطبري ج ٢، ص ٢١٦ وتاريخ ابن الأثير ج ٢، ص ٢٢ ومسنند أحمد بن حنبل ج ١، ص ١١١ - ١٥٩.

لقد بذل الرسول الأعظم جهوداً كثيرة - خلال مدة نبوته في سبيل تثبيت قواعد الإمامة والخلافة .

١ - فمن حديث مشهور له ﷺ :

«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وانكم لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما»^(١) .

٢ - ويوم الغدير رفع صوته أمام الجماهير وقال ﷺ «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»^(٢) .

لكن ما يؤسف له أن طائفة كبيرة من تلك المساعي التي بذلها رسول الله ﷺ في هذا السبيل قد ذهبت أدراج الرياح، وذلك بعد وفاته، حيث تغيرت الأوضاع، وتبدلت الأمور فمنعوا الإمام علي ﷺ عن القيام بأعباء الخلافة، وحالوا بينه وبين انجازاته، وأجلسوه في بيته وحاربوه بكل صورة ممكنة، وأخيراً قتلوه!!

وهكذا الأئمة الذين أتوا بعده كان مصيرهم مصير الإمام علي ﷺ وهم كما هو معروف إثنا عشر إماماً .

«الأئمة بعدي إثنا عشر، كلهم من قريش»^(٣) .

وخلاصة القول: إن النبي ﷺ لم يترك الأمة الإسلامية لا قائد ولا راع بل عين خلفاء له وأئمة إثني عشر كلما غاب منهم نجم طلع نجم آخر، يمثل رسول الله ﷺ ويتولى القيادة الشرعية للأمة الإسلامية .

(١) الخصائص للمحافظ النسائي ص ٢٠ وصحيح مسلم ج ٢، ومستدرك الصحيحين للحاكم ج ٣، ص ١٠٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢، ص ١٤ وتفسير الرازي ج ٣، ص ٦٣٦ وتفسير الطبري ج ٣، ص ٤٢٨ وتفسير الألوسي ج ٢، ص ٣٥٠ وغيرها الكثير من عشرات المصادر مثل كتاب الغدير ج ١، للشيخ الأميني .

(٣) كفاية الأثير للثقفني، وروى قريباً منه البخاري في صحيحه ج ٤ كتاب الأحكام ص ١٧٥ ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة ج ٢ .

تمهيد

منذ العهود الأولى بالتدوين درجت الأمم والشعوب على تخليد قادتها العظام ورجالاتها الكرام، عرفاناً منها لما أسدوه لها من خدمات جلية، وبما زانوا مجدها وتاريخها من روائع وحكم ومعرفة وعلوم وأخلاق.

ونحن كأمة إسلامية وهبنا الله أعظم دين، وأغنى تراث وأرقى حضارة وأكرم رسول، محمد خاتم النبيين ﷺ والرسول فلماذا لا نعمل في تخليد عظمائنا، وتمجيد رجالاتنا العظام الذين شادوا مجد هذه الأمة، وبنوا صرح العلاقات الاجتماعية الفاضلة، بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان وخالقه؟ ورب سائل يسأل: إن الذين كان لهم دور في عملية صياغة التاريخ، وبناء الحضارة هم كثر، فمن أولئك أصحاب الذكر الجميل الذين لهم الحق بالمجد والتخليد؟

ثم كيف نحيي تراثهم؟ وكيف نعيد تاريخهم؟ ولماذا؟ إن أي دراسة تاريخية أدبية يجب أن تتناول النخبة الصالحة الرشيدة التي بذلت كل ما في وسعها من أجل أن تحيا هذه الأمة حياة صالحة خيرة كريمة. وأن تشمل هذه الدراسة أولئك الأعلام الذين ضحوا بأعلى ما عندهم من أجل كرامة الإنسان في كل مكان، وعملوا على تثبيت مناهجهم في عملية البناء والتغيير.

وأما الغرض الرئيس من تدارس أحوال ومواقف أولئك العظام فهو:

إستلهاهم مناهجهم في الحياة، وفي البناء الحضاري للاستنارة من فيض علومهم الكثيرة، ومعارفهم الخلاقة، وإسهامهم في تبين معالم الدين، وأصول الشريعة الإسلامية أضف إلى ذلك مقارعة الظلم والظالمين ومكافحتهم الجهل والجاهلين، ونشر العدل، وإحقاق الحق واتخاذهم منارات مشرقة يسترشد بهديهم جميع الأجيال البشرية على رغم تعاقبها كل العصور.

ولا ريب بأن الأحق بهذا التدارس والتعظيم هو شخص النبوة الكريم، أشرف موجود، وسيد الكائنات وأقدسها وهل أحد أحق من بعده غير أهل بيته المطهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قادة رسالين يقتدى بهم؟ فدورهم دور مميز في بناء الإنسان وحفظ المجتمع وكيانه. من هنا كان الواجب تسليط الضوء على حياتهم المشرقة بالعباء، وذلك وفاء لرسالة الإسلام الخالدة باعتبارهم قاداتها الأمناء الحقيقيين.

وحدة متكاملة:

والأئمة المعصومون الإثنا عشر من أهل البيت عليهم السلام الذين نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله في عدة أجادith مشهورة في الصحاح، هم محور الحياة الذي تدور عليه كل مكرمة وفضيلة، فقد جعلهم الله مصابيح الظلام ومفاتيح الكلام، ودعائم الإسلام. وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام «هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق».

فمن تلك الحقائق يجب أن تنطلق دراسة حياة الأئمة الميامين، وينبغي التركيز على المنهج الأصيل والدور المهم الواقعي لهم عليهم السلام باعتبارهم وحدة

متكاملة لا فرق بين المتصدي بالدعاء أو الناشر للعلم أو القائم بالسيف أو غيرها من مناهج العمل والتغيير للوصول إلى الهدف المشترك للجميع فهم رغم تنوع أدوارهم، وفق طبيعة المرحلة والظروف السياسية المحيطة بهم. وكلهم يحملون هدفاً مشتركاً واحداً لا يختلفون فيه البتة، ذلك هو حفظ الكتاب الكريم وسنة رسوله العظيم وطلب الإصلاح والهداية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكما قال سيد الشهداء في موقعة كربلاء وخروجه لمحاربة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان:

«والله ما خرجت أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت لأمر الإصلاح في أمة جدي».

ونحن على أعتاب مرور اثني عشر قرناً ونيف عن شهادة تاسع أئمة أهل البيت عليهم السلام الإمام الجواد عليه السلام ابن الإمام الرضا عليه السلام ابن الإمام الكاظم عليه السلام ابن الإمام الصادق عليه السلام ابن الإمام الباقر عليه السلام ابن الإمام زين العابدين عليه السلام ابن الإمام الحسين عليه السلام ابن الإمام علي بن أبي طالب صلى الله عليهم جميعاً وسلم.

والأمل يحدوني أن أستطيع بهذه الدراسة من إلقاء بعض الضوء على الدور الهام والكبير لأبي جعفر الثاني الإمام الجواد من خلال حركته التغييرية والإصلاحية في حياته القصيرة التي عاشها.

من هو الإمام الجواد عليه السلام ؟

هو أبو جعفر محمد بن علي التقي الجواد عليه السلام .

فرع من فروع الدوحة الهاشمية المحمدية المباركة ، وغصن من أغصان الشجرة النبوية الطيبة .

والإمام التاسع من أئمة أهل البيت الذين اختارهم الله لقيادة هذه الأمة الإسلامية ، وانتخبهم لهداية العباد وإصلاح البلاد .

وقد نص عليه جده عليه السلام وأباؤه عليهم السلام بالإمامة والولاية والخلافة ، لما توفرت فيه كافة المؤهلات التي يجب أن تتوفر في الإمام الحق :

- من النزاهة عن كل رجس .

- ومن العلوم الغزيرة التي تفوق بها عن سواه .

- ومن السير على مخطط سماوي مخطط أبيه وجده .

- ومن التحلي بكل منقبة وفضيلة .

هذه الصفات والأسباب تمثلت جميعها في الإمام الجواد وبالرغم من قصر عمره ، وكونه تحت الرقابة المشددة من قبل طواغيت عصره فإنه عليه السلام لم يترك فرصة تمر به إلا وانتهازها لتبيان الحقائق ، ونشر المعارف .

فإذا كانت المجتمعات المنحرفة لا تدرك عظمة العظماء ولا تشعر

بمكانة أولياء الله، ولا تقوم بما يجب عليها من الطاعة والإنقياد، والتعظيم والتقدير فالذنب يعود على المجتمع ولا يعود على أولياء الله .

فلو أن عالماً كبيراً ذهب إلى مجتمع متخلف ليرشدهم ويثقفهم وقاموا باهانتهم وضربه وسجنه، ولم يفسحوا له المجال ليتكلم أو يفيض عليهم معارفه لينقذهم من حياة التوحش والتخلف ويرشدهم إلى حياة إنسانية فضلى، ومعيشة رغيدة، ومجتمع مزدهر، فهذا يدل على انحطاط ذلك المجتمع وتجريده من كل إدراك وحضارة وإنسانية .

والإمام الجواد عليه السلام ليس بأول من خانته الدهر، وظلمته التاريخ، وقد سبقه آباؤه المعصومون والتاريخ يشهد بذلك .

والده عليه السلام

هو أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام الإمام الثامن من أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام .

ظروف ما قبل الميلاد:

وأغلب الظن أن الأيدي العباسية لم تكن بعيدة عن ساحة قدس الإمام الرضا عليه السلام في افتعال الحوادث والمواقف للنيل من إمامته والظعن فيها .

من هنا كانت معاناة الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام تتزايد يوماً بعد يوم، خاصة وقد امتد به العمر إلى نحو الخامسة والأربعين، ولم يكن قد خلف بعد (الولد) الذي يليه بالإمامة . والذي زاد المحنة سوءاً هو تكلم بعض إخوته وعمومته وأبناء عمومته من العلويين والعباسيين عليه حسداً من بعضهم، وكرهاً من البعض الآخر .

وئمة تأليب الأنتهازيين والسلطويين على البيت النبوي عموماً، حيث أثاروا غبار حسدهم وأحقادهم حول شخصية الإمام العظيمة .

كتب إليه ابن قياماً^(١) كتاباً يقول فيه : كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟
فأجابه الإمام الرضا^(ع) :

«وما علمك أنه لا يكون لي ولد؟! والله لا تمضي الأيام والليالي حتى
يرزقني الله ذكراً يفرق بين الحق والباطل»^(٢) .
وبعد سنة ولد له أبو جعفر^(ع)^(٣) .

بشرى بالمولد العظيم:

«اللهم إنني أسألك بالمولودين في رجب محمد بن علي الثاني وابنه علي
بن محمد المنتجب . . . الدعاء»^(٤) .

مولد الجواد في المدينة في رجب ١٩٥ هـ وقيل في شهر رمضان .

رعاية أبوية خاصة:

كان الوالد يلازم مهد ولده طويلاً ومن تعظيمه له ما كان يناديه إلا
بكنيته منذ نعومة أظفاره ويقول :

«أبو جعفر وصبي وخليفتي في أهلي من بعدي»^(٥) .

ومن ذلك الاغراق في الحب والمودة يخبرنا بنان بن نافع حول محاوره
في الإمامة جرت بينه وبين الإمام الرضا^(ع) يقول ابن نافع : ثم دخل علينا
أبر الحسن فقال لي :

(١) واقفي مخالف مصروف .
(٢) أصول الكافي ج ١ ، ص ٣٢٠ والارشاد للشيخ المفيد ج ٢ ، ص ٢٧٧ .
(٣) الكافي والارشاد .
(٤) الإمام علي بن محمد التقي يلقب بالنجيب أيضاً ، وان أباه الإمام الجواد يلقب
بالمنتجب .
(٥) بحار الأنوار ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

«يا ابن نافع سلم واذعن له بالطاعة. فروحه روحي وروحي روح رسول الله»^(١).

وينقل إلينا صاحب كتاب دلائل الإمامة يشرح فيه ذلك الإغراق في الحب، وشدة حب الوالد لولده واهتمامه به من جهة وتعلق الولد بوالده من جهة أخرى. قال: كنت مع أبي الحسن بمكة في السنة التي حج فيها، فم صار إلى خراسان ومعه أبو جعفر وأبو الحسن عليهما السلام يودع البيت:

فلما قضى طوافه عدل إلى المقام فصلى عنده، فصار أبو جعفر إلى الحجر فجلس عنده وأطال. فقال له موفق: قم جعلت فداك فقال: «ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء الله، واستبان في وجهه الغم. فأتى موفق أبا الحسن عليه السلام فقال له جعلت فداك قد جلس أبوك في الحجر وهو يأبى أن يقوم. فقام أبو الحسن فأتى أبا جعفر فقال:

«قم يا حبيبي» ثم قال عليه السلام: «ما أريد أن أبرح من مكاني هذا» فقال عليه السلام: «بلى يا حبيبي» ثم قال عليه السلام: كيف أقوم وقد ودعت البيت وداع لا رجوع إليه؟ فقال له عليه السلام: قم يا حبيبي فقام معه^(٢).

والدته:

هي أم ولد اسمها «سبيكة»، نوبية، وقيل أن الإمام الرضا لما اشتراها لاستيلاها أطلق عليها اسم «خيزران» وكنيتها «أم الحسن». كانت من الجلال والقدر أن عدت في زمانها أفضل بنات جنسها، وإليها أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يذكر الإمام محمد التقي عليه السلام بقوله: «بأبي ابن خيرة الاماء، ابن النوبية الطيبة الفم، المنتجة الرحم»^(٣).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤، ص ٣٨٨.

(٢) كشف الغمة ج ٣، ص ١٥٥.

(٣) أصول الكافي، ج ١، ص ٣٢٣.

ويقال أنها كانت من أسرة مارية القبطية، جارية رسول الله ﷺ . وقد وفر الله تعالى المؤهلات في هذه السيدة الجليلة لتكون أمًا لحجة الله : الإمام الجواد عليه السلام .

وحينما بشر الإمام الرضا عليه السلام أصحابه بولادة الإمام الجواد قال : «قد ولد لي شبيه موسى بن عمران فائق البحار، وشبيه عيسى بن مريم، قدست أم ولدته وقد خلقت طاهرة مطهرة...» (١).

اسمه وكنيته والقابه:

إسمه: محمد.

وكنيته المشهورة: أبو جعفر، وأكثر الشيعة وغير الشيعة كانوا يعبرون عنه بـ(أبي جعفر الثاني) للفرق بينه وبين الإمام محمد الباقر عليه السلام المكنى بأبي جعفر أيضاً، كي لا تشبه الروايات والأحاديث بين هذين الإمامين (٢).

وأما ألقابه فهي:

التقي، الجواد، المنتجب، المرتضى، المختار، المتوكل القانع، الزكي، العالم. وكل لقب من هذه الألقاب يدل على فضيلة ومنقبة كانت متوفرة في الإمام الجواد فهو أتقى أهل زمانه.

وأكثرهم سخاء وجواداً.

انتخبه الله تعالى واختاره، وارتضاه للإمامة من صغر سنه.

وقد توكل على الله في جميع أموره.

وكان قانعاً بما قدر الله تعالى له.

وقد زكاه الله عن كل رجس ورذيلة.

(١) بحار الأنوار، ج ٠، ص ١٥.

(٢) أصول الكافي ج ١، ص ٣٢٠.

وقذف في قلبه علوم الأولين والآخرين^(١).

أولاده: الإمام علي الهادي عليه السلام وموسى.

بناته: فاطمة، إمامة، خديجة، أم كلثوم.

شعراؤه: حماد، داود بن القاسم الجعفري.

بوابه: عمر بن الفرات، عثمان بن سعيد السمان.

نقش خاتمه: نعم القادر الله.

ملوك عصره: المأمون، المعتصم.

وفاته: توفي يوم السبت، آخر ذي القعدة سنة ٢٢٠هـ ببغداد متأثراً بسم

دسه إليه المعتصم العباسي على يد زوجته أم الفضل بنت المأمون.

مدة إمامته: سبع عشرة سنة^(٢).

(١) راجع الإرشاد ج٢، ص ٢٩٥ وأعلام الوري ج٢، ص ٩١ وكشف الغمة ج٢، ص ٣٤٣.

(٢) الإرشاد ص ٣٠٧ والمناقب ج٤، ص ٣٨٠.

النص على إمامته

من المعروف أن منصب الإمامة نص إلهي، أبلغه تعالى نبيه الكريم ﷺ يوم نص على خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ في منصب إمامة المسلمين أخرج إبراهيم بن محمد الحموي الشافعي بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس :

«إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الإثنا عشر، أولهم أخي وآخرهم ولدي».

قيل : يا رسول الله ومن أخوك؟ قال ﷺ : علي».

قيل : فمن ولدك؟ قال : «المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً...»^(١).

وإمامنا الجواد ؑ وردت النصوص بإمامته عن جده النبي ﷺ الأكرم ﷺ وعن آبائه ؑ :

نص النبي ﷺ :

عن جابر بن يزيد الجعفي قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول : قال لي رسول الله ﷺ :

يا جابر إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي، ثم

(١) ينابيع المودة للفقدوزي ج ٣، ص ٣٨٣.

الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم القائم اسمه اسمي، وكنيته كنيته محمد بن الحسن بن علي عليه السلام»^(١).

وعن معمر بن خلاد قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ما حاجتكم إلى ذلك؟ هذا أبو جعفر قد أجلسه مجلسي وصيرته مكاني وقال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة»^(٢).

وعن محمد بن يعقوب عن محمد بن محمد عن الخيري عن أبيه قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن الرضا عليه السلام بخراسان فقال قائل: يا سيدي إن كان كون فالي من؟

قال: إلى أبي جعفر ابني. فكان القائل استصغر سن أبي جعفر، فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله سبحانه بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً، صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر»^(٣).

نص الإمام الرضا عليه السلام:

روى الكليني بسنده عن معمر بن خلاد قوله:

ذكرنا عند أبي الحسن عليه السلام شيئاً بعدما ولد له أبو جعفر فقال: «ما حاجتكم إلى ذلك، هذا أبو جعفر قد أجلسه مجلسي وصيرته في مكاني»^(٤).

(١) ينابيع المودة القندوزي ج ٣، ص ٣٩٨ وكشف الغمة الأربيلي ج ٣، ص ٣١٤.

(٢) الفصول المهمة، ص ٢٦٥.

(٣) الإرشاد ص ٣٤٢.

(٤) أصول الكافي ج ١ ص ٣٢١ وأعلام الوري ج ٢، ص ٩٣. والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٦١.

كما روى الكشي في رجاله بإسناده عن أبي عبد الله الحسين بن موسى ابن جعفر، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام بالمدينة وعنده علي بن جعفر، وأعرابي من أهل المدينة جالس فقال لي الأعرابي: من هذا الفتى؟ وأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام قلت: هذا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا سبحان الله! رسول الله قد مات منذ مئتي سنة وهذا حديث، كيف يكون؟!

قلت: هذا وصي علي بن موسى، وعلي وصي موسى بن جعفر، وموسى وصي جعفر بن محمد، وجعفر وصي محمد بن علي. . .»^(١).

فقد كان معروفاً آنذاك أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله بالنص عليهم واحداً بعد واحد.

وعن اسماعيل بن مهران، قال: لما خرج أبو جعفر محمد الجواد من المدينة إلى بغداد بطلبة المعتصم، قلت له عند خروجه: جعلت فداك إني أخاف عليك من هذا الوجه، فألى من الأمر من بعدك؟ فبكى حتى بل لحيته، ثم التفت إلي فقال: «الأمر من بعدي لولدي علي»^(٢).

وقال أمية بن علي القيسي:

«قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام من الخلف من بعدك؟

قال: إني علي»^(٣).

لقد سمي محمداً وهو بعد في الأصلاب والأرحام المطهرات نسب وضاح وذرية طيبة مطهرة، هي سلسلة من ذهب باعتراف عشرين ألفاً من الكتاب وطلبة العلم والحديث ورواته في نيسابور، وعلى رأسهم المحافظان:

(١) رجال الكشي ٤٢٩/٨٠٤.

(٢) الفصول المهمة، ص ٢٧٧.

(٣) كفاية الأثر للخزاز القمي ص ٢٨٠.

أبو زرعة، ومحمد بن أسلم الطوسي»^(١).

نص الإمام الكاظم:

جاء في كتاب الغيبة لشيخ الطائفة الطوسي (رحمه الله) خبر رفع إلى محمد بن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن موسى من قبل أن يقدم العراق بسنة، وابنه علي جالس بين يديه فنظر إلي وقال: يا محمد ستكون في هذه السنة حركة فلا تجزع لذلك. . . إلى أن قال: عليه السلام من ظلم ابني هذا حقه وجحد إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب عليه السلام إمامته وجحد حقه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قلت:

والله لئن مد الله لي في العمر لاسلمنّ له حقه، ولأقرنّ بإمامته. قال: صدقت يا محمد يمد الله في عمرك وتسلم له حقه، وتقر له بإمامته وإمامة من يكون بعده، قال: قلت: ومن ذاك؟ قال: ابنه محمد. قال: قلت له: الرضا والتسليم^(٢).

(١) أخبار الدول للقرماني ج ٣، ص ٣٤٤.
(٢) أصول الكافي ج ١، ص ٣١٩ وبحار الأنوار ج ٥٠: ٢٥ - ٢٨/١٧.

العمر ومنصب الخلافة

ليس من الضروري أن نربط العمر بالمنصب وبصورة خاصة في تسليم الإمامة، ولو أن ظاهرة الإمام الجواد عليه السلام كانت الأولى من نوعها في الإسلام على ما هو معهود ومعروف! إلا أنها لم تكن الأولى في العالم على مستوى حركة الرسل والأنبياء وأوصيائهم السابقين.

فذاك عيسى بن مريم عليه السلام آتاه الله الحكمة والنبوة وكان في المهد صبياً، تكلم في المهد، وشفى الأبرص، وأحيا الميت بإذن الله عزَّ وجلَّ.

ويحيى فقد آتاه الحكم والكتاب وهو صبي. قال تعالى:

﴿وَمَا آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١).

على أن الإمام الرضا كان يشير إليه بالرغم من صغر سنه والإمام الجواد نفسه قد حل اشكالية المسألة في حياته. فقد أدرك الشك والحيرة من بعض أصحاب أبيه في هذا الأمر؛ لأنهم لم يألفوا ذلك من قبل فاراد في بعض المواقف تبيان هذه الظاهرة، ولفت النظر لأولئك المترددين في الحقيقة التي غابت عن أذهانهم. روى الكليني قال:

خرج عليٌّ فنظرت إلى رأسه ورجليه لأصف قامته، فبينما أنا كذلك حتى

(١) سورة مريم، الآية: ١٢.

قعد، فقال: «يا علي، إن الله احتج في الإمام بمثل ما احتج في النبوة فقال: ﴿وَمَا آتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾^(١).
﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(٢).

فقد يجوز أن يؤتى الحكمة صبياً. ويجوز أن يعطاها وهو ابن أربعين سنة^(٣).

وعندما يسأل عن هذا الموضوع وهو ابن سبع سنين أو نحوها يجيب سائله إجابة قاطعة ليس فيها تردد. جواب واثق من نفسه مطمئن من إمامته على الناس.

روى الكليني قال: سألته - يعني أبا جعفر عليه السلام - عن شيء من أمر الإمام، فقلت:

يكون الإمام ابن أقل من سبع سنين؟ فقال: «نعم وأقل من خمس سنين». وكان يرد على المنكرين عليه صغر سنه بشواهد قرآنية لها مصاديق من سيرة الرسول الأعظم عليه السلام قال: علي بن حسان لأبي جعفر عليه السلام: يا سيدي: إن الناس ينكرون عليك حداثة سنك، فقال: «وما ينكرون من ذلك، قل الله عز وجل؟ لقد قال عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ هَلْذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾^(٤).

فوالله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين وأنا ابن تسع سنين^(٥).

يتبين لنا تركيز الأئمة على دور الإمامة في حياة الأمة، ومقارنتها بالنبوة. فالإمام يلفت النظر إلى أن العمر لا دخل له في منصب النبوة

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٣) أصول الكافي ج ١، ص ٤٩٤.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٥) أصول الكافي ج ١، ص ٣٤٨.

والإمامة، لأنهما منصبان يتعينان من قبل الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه لا يختار لرسالته إلا المعصوم المتحصل لجميع الكمالات. وعليه فهو تبارك وتعالى لا يتعامل مع سن المبعوث بقدر ما يتعامل مع ظروف المرحلة التي تمر بها الرسالة والأمة، ومدى الحاجة إلى الشخص المختار لتدارك حالة المجتمع في زمن معين تكون الحاجة إليه هناك ماسة وضرورية.

فالإمامة امتداد طبيعي للنبوّة لذلك تكتسب قداستها نفسها وهي: «أجل قدرأ وأعظم شأنأ، وأعلى مكانأ، وأمنع جانبأ من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو يقيموا إمامأ باختيارهم»^(١).

ولما كان هذه حال الإمامة والإمام، يجريان مجرى النبوّة والأنبياء، فإنه يجوز على الإمام أن يتولى الإمامة وهو ابن سنتين، أو أقل من ذلك أو أكثر، كما جاز ذلك في النبوّة وهو ما عرفنا من قبل في مثال يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام.

والشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر يلفت النظر إلى أنه لو تم دراسة ظاهرة إمامة الجواد عليه السلام بقانون حساب الإحتمالات لتبين:

«إنها وحدها كافية للاقتناع بحقانية هذا الخط الذي كان يمثله الإمام الجواد عليه السلام وهو طريق عقلي آخر يضاف إلى طرق إثبات الإمامة وحصرها بأهل البيت عليهم السلام ثم يفترض السيد الشهيد عدة افتراضات يمكن أن تثار حول إمامة الإمام الجواد عليه السلام ويجب عنها منطقياً وتاريخياً لكنه يجب قبل طرح الافتراضات فيقول: «ان كيف يمكن أن نفترض فرضاً آخر غير فرض الإمامة الواقعية في شخص لا يزيد عمره عن سبع سنين ويتولى زعامة هذه الطائفة في كل المجالات الروحية، والفكرية، والاجتماعية والفقهيّة والدينية».

(١) أصول الكافي، ج ١، ص ١٩٩.

الإمام عليه السلام علمه من علم الله!

إن النص على إمامة غلام أمر لا يلج الآذان ولا يدخل العقول دون رخصة! لأن من طبائع البشر أن يتنكروا للمسألة التي لا تستطيع أفهامهم احتواءها بسهولة بل قد يرفضونها قبل التفكير بها غير مباليين بما يترتب على رفضهم لها، ناسين أن قصورهم عن فهمها لا يبطل حقيقتها ولنبدأ من أول الطريق إلى الإيمان.

- فإذا قيل إن النبي يوحى إليه - من الله تعالى - بواسطة ملك أمين عبسوا وبسروا... ثم قالوا للنبي: أرنا الله، وأرنا الملك، وأرنا كيف يتم نزول الوحي لنصدق... جاهلين أن الله جل وعلا، لو كان يمكن أن يرى لنزل عن مرتبة الألوهية اللامحدودة العظيمة... وكان شيئاً محدوداً يحتاج إلى شهادة (مختار) يراه ويعترف بوجوده، ولذهبت هالة القدسية عما ينزل من السماء، ولفقد قيمته كل ما يصدر عن الأرض، لأن عمل العبد لا يكون ذا اعتبار إلا في حال الإيمان بالألوهية والوحدانية والقدرة، وبجميع صفات الله تعالى؛ اختباراً، وإذا كان العكس فإن الإيمان يصبح نتيجة إجبار لا إقرار واختيار فيبطل عندها الثواب والعقاب.

أجل، إذا قلنا أن النبي يوحى إليه أظهروا سخرية وهزءاً... وإذا قلنا أن الإمام يُلهم تعجبوا وانكروا فكيف إذا قلنا إن ذلك وهذا، ربما علمنا بما كان، وبما سيكون!؟

لا يجوز منطقياً أن نرفض كل ما نجهل حقيقته، كما لا يجوز لنا أن نرفض أيضاً كل ما لا يروق لنا .

لقد جعل الله تعالى الخلق مختلفين في الجسم واللون، ومتميزين في درجات الفهم ومراتب الإدراك اختلافاً كبيراً .

لقد أعطى سبحانه اشكالاً مختلفة وسلحهم بمدارك متفاوتة، وحملهم مسؤوليات مختلفة .

أفكان عجباً أن يؤهل واحداً من بين الجميع للنبوة التي هي أعلى مراتب الإصطفاء، ثم لا يؤهل غيره فكان المصطفى ﷺ أما كان عجباً أن يعلم عبده المختار لأمره ما لا يعلمه لسواه؟!

بلا ريب ولا شك . . فإنه المعلم الأول:

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٢﴾﴾^(١)

وهو سبحانه الذي: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾^(٢)

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ فاطلعه على حقائق المسميات التي جهلها الملائكة لما سئلوا عنها و: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾^(٣)

كما أنه تعالى هو الذي يعلم الناس جميعاً بواسطة رسله ليرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في الدارين . قال سبحانه: ﴿...وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴿٤﴾ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾^(٤)

وعلى هذا قال يعقوب لابنه يوسف عليه السلام، حين تفسير رؤياه:

(١) سورة العلق، الآيتان: ٤ - ٥ .

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٣ - ٤ .

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٣١ - ٣٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢ .

﴿وَكَذَلِكَ يَجْيبُكَ رَبُّكَ﴾ ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيْدُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾^(١). فأتىها سبحانه عليه وأشار إلى ذلك: ﴿...وَأِنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْتَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

والله عز وجل يطلعه على ما غاب عنه دون أن يراه!

قال تعالى: لما سجن يوسف في سجون فرعون في مصر:

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْفَقَانِيَهُ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ. قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيَ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣).

ولذلك شكر يوسف ربه على هذه النعمة بعد أن خرج من السجن وأصبح وزيراً للدولة لما قدمه لهم من علوم ربه فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٤).

وكذلك قال تعالى عن نبيه داود عليه السلام:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لِّكُمِّ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^(٥).

وقال عز وجل متحدثاً عن نعمه على داود وعلى ابنه سليمان ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٦).

فإن الله تعالى هو المعلم... والملهم... والمفهم...

-
- (١) سورة يوسف، الآية: ٥.
 (٢) سورة يوسف، الآية: ٦٨.
 (٣) سورة يوسف، الآية: ٣٧.
 (٤) سورة يوسف، الآية: ١٠١.
 (٥) سورة الأنبياء، الآية: ٨٠ وعلمناه: أي الهمناه أن يعمل.
 (٦) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

فلماذا تستغرب وتستعجب؟ وهو القادر العليم الذي حمل الأرض في الفضاء، ونورها بالضياء، ورفع فوقها السماء بلا عمد، وبحث في هذا الكون ما لا يحصى من الكواكب السائرة وفق نظام أبدي . . طائفة لإرادته مدعنة لأمره، ماضية بحسب مشيئته!

﴿...وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (١).

فهذا الذي نظم الكون بموجوداته كلها هل يعجزه التعليم! أنه هو العزيز العليم القادر الجبار . . ومن ذلك أيضاً ما قاله جبرائيل كما علمه ربه لمريم عليها السلام حين استغربت أن تلد عيسى عليه السلام، ولم يمسهما بشر ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ (٢).

وذلك بأن خلقه معلماً مفهماً:

﴿وَيُعَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (٣).

حيث ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ (٤).

لقد امتن الله سبحانه وتعالى على عيسى بن مريم عليهما السلام بذلك، ثم قال في معرض نعمه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اٰن يَسْطُرُوۡا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاَتَّقُوا اللّٰهَ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (٥).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة آل عمران الآيات: ٤٧ - ٤٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٦.

(٤) سورة مريم، الآية: ٣٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

وهكذا يعلم الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله وعباده الصالحين وقد ختم ذلك بأن علم نبينا محمد ﷺ وعلم أهل بيته ﷺ وقال عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾﴾^(١).

وقال تعالى عنه أيضاً:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٢).

فيا أيها الناس فكروا ملياً وتأملوا، فما بكم تشككون وتتعجبون من تسلم الإمام الجواد إمامة المسلمين وهو في سن مبكر من عمره؟

تذكروا قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾^(٣).

فبدءاً بنعمة الوجود، وانتهاءً بآخر نفس تتمتعون به من لذائذ الحياة، وإلى ما بين هذين الحدين من أفضاله الكثيرة ونعمه التي لا تعد ولا تحصى...

فهل يجوز أن نعترف ببعض نعمه وننكر بعضها؟!؟

ولماذا نقر بأفضاله سبحانه على رسله وأنبيائه، وتنكر إذا كانت تخص أهل بيت نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

ولماذا كلما ذكر فضائل كل واحد منهم نتنكر ونشبح بوجوهنا

استنكاراً؟!؟!

(١) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٣.

أهل البيت هم أهل بيت النبي ﷺ الذين قال فيهم الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

والله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يقول لنا:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢).

وشرف انتمائهم إلى الرسول الأعظم لا يستعطونه، ولا يستدرون عطف أحد لأنهم أولى أن يقف المسلمون بين أيديهم بالاستعطاف وترتفع إليهم الأكف بالطلب.

وقد قال جدهم ﷺ لابن عباس: «إنا أهل بيت طهرنا الله من كل رجس» فنحن الصادقون إذا نطقوا، والعالمون إذا سئلوا والحافظون لما استودعوا جمع الله لنا عشر خصال لم يجتمعن لأحد قبلنا، ولا يكن لأحد غيرنا.

العلم، والحلم، والحكم، واللب، والنبوة، والشجاعة، والصدق والصبر، والطهارة، والعفاف، فنحن كلمة التقوى، وسبيل الهدى والمثل الأعلى، والحجة العظمى، والعروة الوثقى، فماذا بعد الحق؟ فاني تصرفون؟^(٣).

ولا ريب، ولا يشك مسلم في أن الله تعالى قد جمع لهم هذه الصفات ﴿فَمَنْ أَهْتَكِدْ فَلِنَفْسِهِ﴾ - أحسن باهتدائه. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ - عن ذلك ﴿فإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٤).

وهل بعد الحق إلا الضلال!!؟

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٣٧٦.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٤١.

ونحن لا نزيد النبوة فضلاً، ولا نضفي عليها صفة قدسيّة، كما لا ننقص من شأن الإمامة شيئاً حين ننكرها، ولا يسقطها إنكارنا لها، لأنّ لسان حال الإمام كلسان حال النبي ﷺ الذي قال: «لا أبالي بمن خالفني إذا وافقني، ولا أحفل بمن خذلني إذا وازرني، ولا أكثرث بمن أوزرّ عني إذا ساعدني»^(١).

إن علم الإمام من علم النبي . . . وعلم النبي من علم الله عزّ وجل فهذا العلم أورثهم الله تعالى لهم، كما يورث أهل الثراء لذويهم ولذا قال الإمام الصادق:

«لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتتهما أنني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر ﷺ أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثته»^(٢) ثم أورثوه بعضهم لبعض حتى وصل للإمام الجواد ﷺ من أبيه الإمام الرضا ﷺ.

وقد قال حمران بن أعين: «قلت لأبي جعفر - الإمام الباقر ﷺ - ما موضع العلماء؟ يعني الأئمة ﷺ قال:

مثل ذي القرنين، وصاحب سليمان، وصاحب موسى ﷺ»^(٣).

وصاحباهما هما: آصف بن برخيا، ويوشع بن نون - وهما وصيّاهما ووارثاً علمهما. وذكر بُريد بن معاوية ما سأل عنه الإمامين الصادقين «قلت ما منزلتكم؟ ومن تشبهون ممن مضى؟ قال:

(١) بحار الأنوار ج ١٧، ص ٣٢٤.

(٢) الكافي ج ١، ص ٢٦١.

(٣) الكافي ج ١، ص ٢٦١.

«قال: صاحب موسى، وذو القرنين، كانا عالمين، ولم يكونا نبين»^(٤).

وهم علماء المسلمين ﷺ كما كان غيرهم من ورثة الأنبياء علماء أممهم وليسوا أنبياء، بل أمناء على تراث النبوة.

قال الحسين بن العلاء: «سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول:

إن عندي الجفر الأبيض.

قال: قلنا له: وأي شيء فيه؟.

قال ﷺ: زبور داود، وتوراة موسى، وانجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً. وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتى أن فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وثلاث الجلدة، وربع الجلدة، وأرش الخدش - أي أحقر الكفارات لمن يغمر الجسم ويخدشه بظفره!.

فقال له عبد الله بن يعفور: أصلحك الله، فيعرف هذا بنو الحسن؟ أي يعرفون أن عندكم ذلك.

قال: إي والله كما يعرف الليل أنه ليل، والنهار أنه نهار، ولكن يحملهم الحسد وطلب الدنيا. ولو طلبوا الخير لكان خيراً لهم»^(٥).

والجفر هذا - كتاب باملاء رسول الله ﷺ وخط أمير المؤمنين ﷺ قال عنه الإمام الباقر ﷺ في حديث: فيه.

«ما يحتاج إليه ولد آدم مذ كانت الدنيا حتى تفتى»^(٦).

(٤) بحار الأنوار ج ٢٦، ص ٣٧.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣٧.

(٦) بحار الأنوار ج ٢٦، ص ٥٤.

وهذا علم وافر . . . وبحر زاخر لا تلتقي أطرافه . .

فعلم الإمام الجواد عليه السلام ليس بعلم غيب - وإن كان من الغيب - لأنه مما عناه سبحانه وتعالى بقوله ﴿...فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴿١﴾﴾.

ومما قصده عز وجل بقوله أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (٢).

والله جل وعلا أظهر على غيبه رسوله الذي ارتضاه واجتبه وورث ذلك عنه أهل بيته واحداً عن واحد.

والحقيقة أن إمامة الجواد في هذا السن المبكر كانت أخطر مشكلة وقع فيها الشيعة يومئذ. وكان الاختيار بها صعباً. ولا يؤدي إلى الإقتناع والتسليم إلا الإيمان الراسخ والتسليم لأمر الله عز وجل والعودة إلى النص عليه من أبيه . . . فالكثير الكثير قد سمعوا هذا النص من لسان أبيه.

وعلى هذا الأساس بدأت الحقيقة تنجلي، والأفكار تتبلور، وتم اجتياز مخاض هذه العاصفة رغم التحديات الشيطانية داخلية كانت أم خارجية، فانمحي كل شك، عند من يؤمن بالنص، وزال الإشكال تبعاً عند من يطلبون الحق ويسعون وراء تحصيل العلم اليقين . . . وظهر أمر الله الذي لا بد أن يظهر. وتمت المعجزة، ونقول لمن يعجب من «إمامة الصغير» ما قاله هو نفسه عليه السلام لعلي بن حسان حين قال له:

«يا سيدي، إن الناس ينكرون عليك حداثة سنك!»

فقال عليه السلام: وما ينكرون من ذلك؟ فوالله لقد قال لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣).

(١) سورة الجن، الآية: ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

فوالله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين . . وأنا ابن تسع سنين وعلمه هو علم وراثي، الهامي، ورؤيا صادقة، ونكت في القلب وقراءة من السماء . . من لدن من اصطفاه لكلمته!

فحياة الإمام لا تقاس سعة وعرضاً . . ولا طولاً وامتداد عمر . . حتى أن لو قيس عمره بمدة إمامته، لجاءت النسبة عكساً تماماً وما الحكمة في أن يكون - مع قصر حياته - طويل عهد الإمامة؟! ولا يأخذنا العجب فالإمام الجواد عليه السلام جاء معداً لأن يكون في «عصر ذهبي» كان بكرأ في العصور الإسلامية .

والله سبحانه وتعالى قدمه لذلك العصر المتقدم المعارف والعلوم إماماً معطاءً، متفوقاً على أرباب العلم في عصره قبل أن يطرّ شارباه ليكون صبيباً عجيباً . . يقف الشيوخ بين يديه مؤدبين باخعين لغزير علمه .

لقد رأى أهل عصره إمامةً ذهبيةً كعصرهم الذهبي . . . قد فجأتهم لتتربع على عرشها العالي . . فصعبت فلسفتها على أرباب العرش الأرضي، وورمت منها أنوف الحاكمين لأنها «إمامة» تحذلأنوف المستكبرين والمتسلطين .

إمامة ترى كيف تكفح كلمة السماء العلية كلام المتفیهقين والمنحرفين!

لقد طأطأ العلماء والفقهاء رؤوسهم خضوعاً لقوله السيد سواء في ذلك المؤمن به منهم، والجاحد به، بل المسلم والملحد والأمير الكبير والوزير الخطير . . إذ تعنو وجوههم جميعاً لمعجزة السماء تجري على لسان غلام أتاه الله الحكمة من غير أن يرتاد معهد تدريس، أو جامعة تفقيه . وهكذا كان أهل البيت يزقون العلم زقاً .

وقد يسأل سائل . . لماذا كانت ولاية الإمام الجواد - الشاب سبع

عشرة عاماً . . حيث بلغت ثلثي عمره، مع تكليفه المبكر الذي حمله المسؤولية الكبرى طري العود، قوي الذهن، في مزدهر العصور الذهبية كما سموها . .

فما هي حكمة السماء في ذلك؟!!

أرادت الحكمة الإلهية أن يكون الإمام الجواد تحدياً صارخاً في وجه الملحدين، ووصمة في جبين المتأسلمين، وصفعة قوية لجهل فقهاء الدين المتزمتين، وأخيراً إنذاراً صارخاً فصيحاً للمتسلطين الحاكمين باسم الدين!! لقد كان مباحلاً فذاً يضرب بسيف الحق . . والحق معه تماماً كجده أمير المؤمنين، وكآبائه الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كان كلمة عدل في مجالس الظالمين . . أول عمره إلى منتهى أمره وبلا شك إن كلمة العدل في وجه الحاكم الظالم جهاد.

بل إنها صعب جهاد، وأعظم جهاد . . وإن أول واجبات النبي ﷺ والوصي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى بدأ برؤوس الضلال كما فعل إبراهيم مع النمرود، وموسى مع فرعون، وعيسى مع بآطس، ومحمد ﷺ مع جابرة قريش وحكام الجاهلية وملوك العالم.

دور العقل والفترة عند الشيعة الإمامية

بتأثير من تعليم أئمتهم الأطهار المنتجبين، والتزاماً منهم بمنهم كتاب الله (القرآن) امتاز الشيعة بالاعتماد على العقل والفترة الإنسانية والخضوع لقضائهما، والإلتزام بأحكامهما في أصول عقيدتهم. وهي:

التوحيد، والعدل الإلهي والاعتقاد بصفات الله الثبوتية والسلبية وبالنبوات، وبالإمامة، وبالجزاء . .

واعطاء العقل دوره فيما تتوافق العقول على إدراكه، لم يكن أمراً عارضاً، ولا حالة استثنائية عند الشيعة وإنما هو من الأمور المتأصلة في تفكيرهم، وقد اتخذ صفة التجذر والعمق في مختلف معارفهم ومناحي ثقافتهم بصورة عامة.

وقد نبغ فيهم ومنهم كبار العلماء والمتكلمين، وأرباب الفكر والبدع والإعتزال الذي يعتبر متطرفاً في الاعتماد على العقل وأحكامه وقد اعتمد على أعظم ركنين فيه وهما «التوحيد، والعدل» على أقوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي انطلقت من قضاء الفترة وأحكام «العقل» الصحيحة والخالصة من كل شائبة.

وبعد هذا . . لا يقبل الشيعة بأمر يخالف طريح حكم العقل لكنهم حين يقوم عندهم برهان ساطع قاطع، على أمر ليس للعقل سبيل إلى إدراك جميع

خصائصه وخفائاه، فإنهم يجدون أنفسهم ملزمين بقبوله ما دام أنه مما تنقاد لهم عقولهم بالخضوع والتسليم.

الإمامة في عقيدة الشيعة:

من أهم القضايا التي شغلت الفكر الإسلامي عامة، والشيعة خاصة، منذ وفاة الرسول الأعظم ﷺ قضية الإمامة بكل خصائصها وشؤونها.

وكان جمهور الشيعة، فضلاً عن علمائهم وأرباب الفكر عندهم مطلعين على خفايا هذا الأمر بشكل تام، ويمتلكون الرؤية الصحيحة في مختلف أحوال الإمام وشؤونه ومهامه وبصورة خاصة في موضوع لزوم عصمته وطهارته من كل رجس، وهو الجامع للعلم الذي اختصه به الله سبحانه وتعالى.

وكان أعظم أمر امتحنهم في هذا المجال، إمامة محمد الجواد عليه السلام الذي بدأت إمامته بشكل مبكر جداً، وهو أمر لم يكن الشيعة قد مروا به في تاريخهم.

فقد ولد الإمام محمد الجواد عليه السلام في شهر رمضان سنة ١٩٥هـ وتوفي سنة ٢٢٠هـ في ذي القعدة مسموماً على يد زوجته، أم الفضل بنت المأمون، بتحريض وتديير من المعتصم العباسي. فكان الإمام الجواد عليه السلام الأول من الأئمة الإثني عشرية ﷺ تولى شؤون الإمامة، وتسلم مهام القيادة وهو ابن ثماني سنوات تقريباً.

ثم جاء بعده الإمام علي الهادي عليه السلام ليتولى شؤون الأمة وهو في هذا السن.

أتى بعد ذلك الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ليتولى أمر الإمامة وعمره لا يزيد على الخمس سنوات.

روى المؤرخون أن الإمام الجواد كان أول تعبير حي للإمامة على حسب ما يقوله الشيعة، بكل ما لهذه الكلمة من معنى وعلى حسب المواصفات التي وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة. وقد تولاها الله سبحانه وتعالى في تربيته وتسديد أموره على الدوام.

الشك عند غير العلماء من الشيعة:

رغم وضوح الأمور لدى غالبية الشيعة فإن غير العلماء منهم قد واجهوا هذا الأمر بشك واستغراب لأنه أول مخاض عقائدي عسير جداً عليهم، وفريد من نوعه حيث زلزل وجودهم وهز ضمائرهم من الأعماق..

ولا ريب أنه قد ينشأ عن هذا خلل في العلاقات الإجتماعية وفي الموقع الذي تحتله هذه الفرقة في مقابل سائر الفرق والمذاهب، ثم ما يتبع ذلك من تطورات على صعيد الحركة الفكرية في العالم الإسلامي.

إن هذا الحدث قد أثر في بعض علماء الشيعة، لاسيما وأن الأئمة قد ربّوا شيعتهم على احترام الفكر والعقل، فيما يستقل بادراكه، وكان مما تتوافق عليه عقول البشر. لكنه عقل مفكر خاضع لله عزّ وجل، مدرك بواقع نفسه واقف عند حدود قدراته، فلا يدعي لنفسه ما ليس له كما لا يدعي علم ما حجب عنه، وقد تعسرت الوسيلة في الوصول إليه..

إن قضية الإمامة تحتاج لمزيد من الفكر الدقيق والإطلاع العميق على ما كشف عنه عالم الغيب والشهادة، وذلك بواسطة أنبيائه الأطهار وأوصيائه الأبرار. وهذا لا يمكن توفيره ممن لم يضربوا في العلم بسهم وافر، فكيف بالنسبة للعامة من الناس وضعاف الفكر والتجربة؟

حيرة داخل البيت الشيعي:

قال ابن رستم الطبري: «ولما بلغ عمره ست سنين وشهور قتل المأمون

أباه، الإمام الرضا عليه السلام، وبقيت الطائفة في حيرة. واختلفت الكلمة بين الناس، واستصغر سن أبي جعفر وتحير الشيعة في سائر الأمصار»^(١).

تمهيد الإمام الصادق للإمام الجواد عليه السلام

يظهر أن التمهيد للإمام الجواد قد بدأ من عهد الإمام الصادق عليه السلام قال أبو بصير: «دخلت عليه ومعي غلام يقودني خماسي لم يبلغ.

فقال: كيف أنتم إذا احتج عليكم بمثل سنه؟

وقال: سيلي عليكم بمثل سنة»^(٢).

والإمام لا عجب في استخلافه إذا تذكرنا أن استخلاف داود لسليمان عليه السلام وهو صبي يرعى الغنم، واتباع علي بن أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله وهو ابن تسع سنين، ونزول الآية في ذلك.

وتمهيد الإمام الرضا أيضاً عليه السلام:

روى الشيخ المفيد عن ابن قولويه، عن الكليني، عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد:

إن صفوان بن يحيى - وهو من أصحاب الإجماع أيضاً، ومن حلة أصحاب الأئمة عليهم السلام لا يكاد يتعقل أن يكون أمام المسلمين طفلاً صغيراً، حتى يؤكد له الإمام الرضا عليه السلام ذلك، ويستدل له بقوله:

«وما يضره؟! قد قام عيسى بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين»^(٣).

(١) دلائل الإمامة للطبري ص ٢٠٤.

(٢) الكافي ج ١، ص ٣١٤.

(٣) الإرشاد للمفيد ص ٣٥٧ - ٣٥٨، وإعلام الوري ص ٣٤٦ وعيون المعجزات ص ١١٨، وروضة الواعظين ص ٢٣٧ والصراط المستقيم ج ٢، ص ١٦٦، وإثبات الوصية ص ٢١٢ والبحار ج ٥٠، ص ٢١ - ٢٢ - ٣٤ - ودلائل الإمامة ص ٢٠٤ وكفاية الأثر ص ٢٧٤، وكشف الغمة ج ٣، ص ١٤١ و ١٤٣ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٥١.

وللإمام الجواد عليه السلام موقف أيضاً؛

روي أن الإمام الجواد عليه السلام قد واجه هذه الشكوك بنفس الروح،
وبالاستناد إلى تلکم الحجج .

فعن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط قال :

«خرج عليه السلام عليّ، فنظرت إلى رأسه ورجليه لاصف قامته لأصحابنا

بمصر، فبيناً أنا كذلك، حتى قعد، وقال :

يا علي إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال :

﴿وَأَيُّنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١) .

وقال :

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، مَا أَيُّنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ تَجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) .

فقد يجوز أن يؤتى الحكم صبيّاً، ويجوز أن يعطاه وهو ابن أربعين

سنة .

ومثل ذلك جاء عن معلى بن محمد أيضاً . .

(١) سورة مريم، الآية: ١٢ .

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٢ .

القيادة الرسالية لأهل البيت

لم يستطع المأمون العباسي من تحقيق نواياه الخفية في تضعيف شخصية الإمام الرضا عليه السلام واخراجها من قلوب الناس العامرة بحب أهل البيت عليهم السلام لأن الإمام الرضا عليه السلام استطاع أن يكتسب النفوس ويستقطب العقول على مستوى اجتماعي عام حتى ظهرت شخصيته العملية متألثة سامية للقريب والبعيد.

بعد تفكير طويل لم يجد المأمون طريقة للتخلص من تواجد الإمام عليه السلام لحضوره الفاعل في الساحة الإسلامية إلا تصفيته الجسدية وذلك لبروز شخصية الإمام، وخاصة بعد رجوعه من المدينة، فإذا ما ترك الإمام بعد ما طار صيته قد يطيح بعرش المأمون والعباسيين وإن بقاءه في عاصمة الخلافة لم يكن بأقل تأثيراً من إبعاده إلى المدينة من حيث الآثار السلبية على عرش المأمون والآثار الإيجابية لصالح خطأ الإمام الرسالي.

ونقطة هامة أخرى أقلعت العباسيين بشكل عام وتجلت في سلوك المأمون السياسي بشكل خاص وهي قضية الإمام المهدي المنتظر، الذي قد وعد الله به الأمم جميعاً ليملاً الدنيا قسطاً وعدلاً بعدما ملئت زوراً وجوراً، فيرأب به سبحانه الصدع ويقضي على الجور والطغيان.

فهذا الخطر الذي قد أندر به الرسول الأكرم عليه السلام الحكام الطغاة وبشر به المؤمنين والمستضعفين بدأ يقرب منهم لما أفصح به النبي عليه السلام من بيان

نسب الإمام الجواد عليه السلام وموقعه القيادي حين نص على أنه التاسع من ولد الحسين عليه السلام حتى أنه ذكر اسمه واسم أبيه ومجموعة من صفاته وخصائصه وعلائمه التي بدأ بعضها بالظهور. . .

وإن مثل هذا الإخبار من النبي صلى الله عليه وآله لا يدع الظالمين في راحة بال لأن الرسول صلى الله عليه وآله مرتبط بالوحي ومسدد من السماء، وهو إخبار صحيح بلا ريب ولا شك.

ومثل هذا الإخبار من النبي صلى الله عليه وآله هو غير الأخبار العادي أو الإخبار المحترف كما نسمع نحن اليوم من بعض المنجمين لذلك جاء كالصاعقة ليزعزع الاستقرار النفسي الذي يبحث عنه الحكام الظالمون لأن إخبار النبي لا يمر سدى. سيما وهم يبحثون عن كل شيء لتثبيت ملكهم، ويحسبون ألف حساب لما يزعزع نفوسهم، فكيف لا يتهيؤون لدرء الخطر الداهم؟!

وزد على ذلك، أن هالعدد الذي ذكرن النبي صلى الله عليه وآله لأهل بيته المسؤولين عن حمل مشعل الرسالة عدد محدود ومضبوط، فهم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش ومن بني هاشم وهم:

أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وأحد عشر من ولده الأَطهار. وهذا الإمام الرضا عليه السلام الثامن من الإثني عشر المنصوص عليهم من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وهو الخامس من ولد الحسين عليه السلام فضلاً عن سائر الأئمة الطاهرين.

ولا يستبعد وجود عناصر مرتبطة بالجهاز الحاكم كانت تحاول كلما سنحت لها الفرصة اختراق الجماعة الصالحة التي حرصت على حفظ تراث أهل البيت عليهم السلام وعلومهم الربانية التي استودعوها أسرارهم، وهي الأسرار الخاصة التي يتحملها إلا مؤمن أمين امتحن الله قلبه للإيمان. والحكام العباسيون يتحاولون السيطرة على الجماعة الصالحة فإن لم يستطيعوا فلا

أقل من اختراقها للحصول على المعلومات التي تخدمهم للتعرف على الخط المعارض لهم .

ومع شعورهم بقرب ولادة الإمام المهدي عليه السلام مع جهلهم بزمان ولادته وظهوره، لا بد وأنهم يحاولون منع أهل البيت عليهم السلام من انجاب الإمام المهدي عليه السلام قبل كل شيء .

وهنا نتذكر قصة فرعون مع النبي موسى عليه السلام فالمحاولة نفسها . لكن أمانيتهم سراب تبخرت وولت لأن ظهوره لا يعلم بها إلا الله سبحانه وتعالى .

ولادة الإمام المهدي تقلق الحكام العباسيين:

من تحقيق هذه المهمة الموهومة، والحيلولة دون ولادة من يقلقهم ذكره، عملوا على تشديد المراقبة على أهل البيت عليهم السلام في كل تحركاتهم حتى أنهم دخلوا إلى أعماق حياتهم الشخصية فجعلوا رقباء خاصة ترصد تصرفاتهم وهذا ظهر علانية من إصرار المأمون:

تزيوج ابنته أم الفضل من الإمام الجواد عليه السلام ليصبح هو جد إمام من ذرية أهل البيت عليهم السلام لكن أمله خاب ولم يحصل ذلك .

وفوق هذا كله جددوا أهل البيت حتى من حيث الزواج والانجاب، وتوضح ذلك قلة عدد أبناء الأئمة عليهم السلام بعد الإمام الرضا عليه السلام وهذا ملفت للنظر إذا ما قسناهم مع من سبق الإمام الرضا عليه السلام من الأئمة من حيث الأزواج والأبناء .

حبل الكذب قصير:

ولم يتركوا وسيلة من التمويه والتغيير إلا استعملوها فقد حاولوا طرح البديل عن الإمام المنتظر للأمة الإسلامية بتسمية بعض أبنائهم بالمهدي

والمهتدي تمويهاً وتغريراً لعامة الناس بأنهم هم المقصودون بهذه النصوص النبوية . ولكن حبل الكذب قصير والحقيقة لا بد أن تظهر جلياً وتنجلي ، والطغاة الظالمون جبروا وجاروا وظلموا ولم يستطيعوا أن يتظاهروا بمظهر الحق على مدى طويل ، فلا يطول التظاهر منهم ما داموا غير متلبسين بلباس الحق ، وما دامت شخصيتهم لم تنشأ في بيته ظاهرة تتحلى بالقيم الإنسانية والربانية الفريدة . فهم كما قال الشاعر :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
من هنا نجد أن هذا التمويه لم يدم طويلاً ، ولم يحقق أهم الغرض المطلوب الذي من أجله ارتكبه إلا وهو :

التغطية على حقيقة المهدي المنتظر ﷺ

وهنا طال التفكير والتأمل العميق عند المأمون الطاغية فماذا يعمل يا ترى؟!

وبقيت عندهم خطوة أخيرة ممكنة وهي أنهم إن لم يستطيعوا أن يتحولوا بين أهل البيت ﷺ وبين إنجاب المهدي المنتظر ولا التمويه على جماهير المسلمين فعليهم أن يكتشفوه أي أنهم يترصدوا ولادته ليقتضوا عليه ويريحوا أنفسهم من هذا الكابوس الثقيل الذي خيم عليهم وأقلقهم : المهدي المنتقم الذي يززع عروش الطغاة ويقضي عليهم تماماً فيملأ الأرض سلاماً وعدلاً بعدما ملئت غدرًا وجوراً إذا لم يجدوا ضرورة للإعتقاد من قبل الخلفاء بهذه الحقيقة بل يكفي لديهم احتمالها ليبادروا بالإجراءات الصارمة أمام الخطر الداهم الذي قد يحذق بهم بعد قريب أو بعيد .

لكن من جهة أخرى أن الحاجة العامة للمسلمين تتطلب بقاء الأمل

كبيراً بانجلاء غياهب الجور والظلم على يدي الإمام القائم بالسيف من أهل بيت النبوة ﷺ والذي بشر به رسول الله ﷺ وأهل بيته الأبرار الأطهار . وكان من الضروري استمرار شعلة هذا الأمل والحيلولة دون انطفائها، لأنها وحدها هي التي تهز عروش العباسيين الطغاة والظالمين المستكبرين، وتنزع الأمان المدغدغ حياتهم الرغيدة .

إن هذه المفردة حاجة واقعية للأمة ومهمة رسالية لأهل البيت الذي لم تسمح لهم الظروف بالقيام بدور الإمام المنتظر المهدي غير أنهم يستطيعون أن يمهدوا لولادته، ومن ثم ببقائه حياً ليدبر شؤون المسلمين من وراء الشعار حتى تنهياً له الظروف المناسبة، ظروف الثورة المباركة التي بشر بها القرآن الكريم وباركتها نصوص الرسول العظيم .

الحيلولة دون ولادة الإمام القائم:

واستمرت المحاولات للحيلولة دون ولادة الإمام القائم ﷺ من آل محمد ﷺ حتى أصبحت عند الحكام العباسيين جادة وسريعة، لأنهم أحسوا أن الخطر بدأ يقترب من عروشهم التي بنوها بالظلم والقهر .

والإمام الجواد ومن سيأتي بعده من الأئمة ﷺ أصبحوا بين مهمتين :

- مهمة حفظ الأمل الكبير واستمرار شعلته .

- ومهمة التعقيم على السلطة تجاه ولادة المهدي ﷺ والحيلولة بينهم وبين الاقتراب من المهدي ﷺ لثلاث تناله أيديهم الأثيمة ولثلاث يصادروا آخر قيادة ربانية نذرت نفسها لتحمل لواء الحق وراية الأمة الإسلامية المحمدية، ولتحقق كل آمال الأنبياء على مدى العصور، كما لا يخفى أنهم صادروا قيادة آباء الإمام الجواد ﷺ وأحكموا الحصار على كل من تبقى منهم .

أما أئمة أهل البيت ﷺ الجهابذة الأطهار فقد فضحوا الحكام

المنحرفين من خلاف سيرتهم الشريفة المباركة تحدياً عملياً وعلمياً وإخلاقياً، سيما وهم تربية جدهم الرسول الأعظم ﷺ مما اتضح للأمة الإسلامية جمعاء الفوارق الكبيرة بين الخط الحاكم والخط الرسالي الذي ينبغي له أن يتولى شؤون الحكم والخلافة الإسلامية. والأمة ما زالت بحاجة على المزيد من الفواصل المعنوية بين الخطين المتباينين، كما أن واجبها الشرعي يقضي أن تقف على كشف الأتعة الزائفة التي يقبع تحتها الحكام الظالمون في ممارساتهم الظالمة والمنحرفة.

في هذه الحالة وجد المأمون أنه لا بد من الاقتراب من الإمام الجواد عليه السلام فعمد إلى تزويجه المكروه لابنته أم الفضل لترصد تحركاته عن قرب، عليها تستطيع أن تمنعه من الإنجاب منها^(١). وممن سواها إذا كان ذلك مقصوداً للمأمون تحقيقاً لعدة أهداف لاحظنا أكثرها . . .

وبعد المأمون استمر الحكام بعده على هذا المنهج نفسه لأنهم لا يرون بديلاً عنه بعدما فضح المأمون نفسه باغتيال الإمام الرضا والد الإمام الجواد عليه السلام، حيث تخلص من رقيب كبير كان يهدد ملكه ولكنه قد ابتلى برقيب جديد يفوقه في التحدي والوقوف بقوة وثبات أمام تحديات الظالمين. من هنا كانت ظروف الإمام الجواد عليه السلام سيما وهو في التاسعة من عمره، تشكل سؤالاً أساسياً للمأمون أولاً ولعمامة الناس ثانياً، ولبعض الشيعة ثالثاً.

والسؤال هو: مد جدارة هذا الفتى في هذه السن القيام بمهمة الإمامة والقيادة الربانية المفترضة الطاعة التي لا بد لها أن تخترق كل الحجب السياسية المعقدة والفوارق الاجتماعية المختلفة.

(١) نلاحظ ذلك في غيرتها وشكايتها لأبيها من الإمام الجواد الذي كان من الطبيعي في ذلك المجتمع أن يتزوج من أمة من الإماء بالرغم من وجود زوجة عنده مثل ابنة المأمون.

وهكذا كان الإمام الجواد - الفتى - حين تسلمه زمام القيادة الرسالية أمام تساؤل كبير قد طرح نفسه لأول مرة على مستويات ثلاثة، ولا بد له ﷺ من أن يثبت جدارته للجميع القريب والبعيد، وإن ذلك يكلفه أعلى ما عنده - حياته - فيما بعد، لأن بقاء هذا الحظ الرباني وإثبات حقانية خط أهل البيت ورسالته الربانية هما بلا ريب ولا شك فوق كل شيء من هنا كان لا بد للإمام الجواد ﷺ أن يرد على كل هذه الأسئلة ويتحدى كل القوى السياسية للرد على كل ما طرح عليه من أسئلة، وقد جاءت من كبار العلماء والفقهاء الموجودين في الساحة الإسلامية. وقد كان لها بكل جرأة وقوة وتسنى له القيام بسائر مهامه الرسالية الأخرى في الحقلين العام والخاص.

إذا كان لا بد للإمام الجواد من إثبات الإمامة على المستويين العام والخاص وهذا أهم من مهامه الرسالية في مرحلته التي عاشها بعد استشهاد أبيه الإمام الرضا ﷺ الذي كان قد نص عليه وعرفه لأصحابه وأتباعه، لأن الإمام الرضا كان قد عاصر خطط المأمون وبرامجه، وعرف عن كثب أهدافه الخفية من أطروحة ولاية العهد الخبيثة والتي استطاع الإمام أن يستثمرها لصالح الأمة الإسلامية رغم قصر الفترة الزمنية ورغم ما كلفته من حياته الغالية التي قدمها كأبائه وأجداده رخيصة في سبيل الخط الرسالي الإلهي.

وفي المجالس العامة للخلفاء حيث كبار العلماء والفقهاء الذين يجمعهم المأمون لطرح الأسئلة على الإمام الجواد ﷺ.

وتأتي إجاباته ﷺ على الأسئلة الموجهة إليه خطوة موفقة جداً لإثبات أحقية خط أهل البيت ﷺ الرسالي وإثبات إمامة محمد الجواد ﷺ وكفاءته العلمية وشخصيته القيادية للأمة الإسلامية، وذلك إتماماً للحجة عليهم وعلى الخلفاء والعلماء المحيطين به.

وفي الوقت نفسه تشكل هذه الجلسات تحدياً عملياً للخلفاء وعلمائهم الذين كانوا يشكلون الرصيد العلمي والخلفية الثقافية والشرعية في منظار مجموعة من أبناء المجتمع الذين نشأوا بالمظاهر الخداعة والشعارات الفارغة ولم ينفذوا بعقولهم إلى عمق الأحداث والتيارات المتحكمة في المجتمع الإسلامي. كما كانت في الوقت نفسه رداً على محاولات الإستفزاز التي كان يستهدفها الحكام بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام الذي كانوا يشكلون المعارضة الصامته والخطف المخالف للخلفاء المستبدين والظالمين والمتربعين بالقوة على كرسي الحكم دون إذن ونص إلهي كما هي عقيدة أهل البيت عليهم السلام بالنسبة للإمامة حيث إن الإمام عليه السلام لا بد أن يكون معصوماً ومنصوصاً عليه من الله عزَّ وجلَّ ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

من مكارم أخلاقه الإجتماعية

كان الإمام الجواد شاباً في مقتبل العمر، وكانت الحقوق الشرعية ترد إليه من الطائفة الشيعية التي كانت تعتقد بإمامته، بالإضافة إلى الأوقاف التي كانت في قم وغيرها، وفق هذا كله كان المأمون يتودد إليه ويغدق عليه الأموال الوفيرة وقد بلغت مليون درهم.

إلا أنه لم يكن ينفق شيئاً منها في أموره الخاصة، وإنما كان ينفقها على المعوزين والمحرومين والفقراء.

وفي بغداد رآه الحسين المكاربي محاطاً بهالة من التعظيم والتكريم من قبل الأوساط الرسمية والشعبية، فظن أن الإمام ﷺ سوف لا يرجع إلى وطنه يشرب بل يقيم في بغداد وسط الترف والنعم وعرف الإمام قصده، فانعطف عليه وقال له:

«يا حسين، خبز الشعير، وملح الجريش في حرم جدي رسول الله ﷺ أحب إليّ مما تراني فيه...»^(١).

ومن المؤكد أنه لم يكن من طلاب المظاهر الدنيوية الخادعة التي كانت تضيفها الدولة على الناس لتلهيهم عن المطالبة بحقوقهم وإنما كان كأبائه الذين طلقوا الدنيا بالثلاث، واتجهوا نحو الله تعالى لا يبغون عنه بديلاً لا بالمال ولا بالسلطان.

(١) إثبات الهداة ج٦، ص ١٨٥.

كان الإمام الجواد من أكثر الناس سخاءً، وأنداهم كفاً، وقد لقب بالجواد لكثرة كرمه ومعروفه، ويسمى إحسانه وسلوكه إلى الناس. وقد روى المؤرخون قصصاً كثيرة في هذا المجال منها:

- روى المؤرخون: أن أحمد بن حديد قد خرج مع جماعة من أصحابه إلى الحج، فهجم عليه جماعة من اللصوص ونهبوا كل ما عندهم من أموال ومتاع، ولما انتهوا إلى يثرب انطلق أحمد إلى امام الجود والسخاء وأخبره بما جرى عليهم. فما كان منه إلا أن أمر لهم بكسوة وأعطاهم مالاً ليفرقوها فيما بينهم. وكانت بقدر ما نهب منهم^(١).

وبهذا فقد أنقذهم الإمام من محتتهم ورد لهم ما سلب منهم. واشتهر عطاء الإمام وكرمه من الإنسان وشمل حتى الحيوان. فقد روى محمد ابن الوليد الكرمانى أنه قال:

أكلت بين يدي أبي جعفر الثاني عليه السلام حتى إذا فرغت ورفع الخوان ذهب الغلام ليرفع ما وقع من فتات الطعام فقال عليه السلام له: «ما كان في الصحراء فدعه ولو فخذ شاه، وما كان في البيت فتبعه والقطه»^(٢).

لقد أمره بترك الطعام الذي في الصحراء ليتناوله الطير وسائر الحيوانات.

الإحسان إلى سائر الناس:

كان من أبرز صفات الإمام الجواد وسجاياه البر إلى سائر الناس وقد سجل له التاريخ قصصاً كثيرة من بره واحسانه منها: ما رواه أحمد بن زكريا

(١) وسائل الشيعة ج ٦، ص ٤٩٩.

(٢) نفس المصدر السابق.

الصيدلاني عن رجل من بني حنيفة قال: رافقت أبا جعفر في السنة التي حج فيها في أول خلافة المعتصم فقلت له وأنا على المائة:

إن والينا - جعلت فداك - يتولاكم أهل البيت ويحبكم وعليّ في ديوانه خراج، فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليه بالإحسان إليّ، فقال عليه السلام: لا أعرفه، فقلت: إنه على ما قلت من محبيكم أهل البيت عليهم السلام وكتابك ينفعني فاستجاب له الإمام وكتب إليه بعد البسملة:

«أما بعد: فإن موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً، وإن ملك من عملك إلا ما أحسنت فيه، فاحسن إلى إخوانك، واعلم أن الله عزّ وجلّ سائلك عن مثاقيل الذرة والخردل...»^(١).

ولما ورد إلى سجستان عرف الوالي وهو الحسين بن عبد الله النيسابوري

إن الإمام قد أرسل إليه رسالة فاستقبله من مسافة فرسخين وأخذ الكتاب قبله، واعتبر ذلك شرفاً له، وسأله عن حاجته فاخبره بها، فقال له: لا تود لي خراجاً ما دام لي عمل، ثم سأله عن عياله فاخبره بعددهم فأمر له ولهم بصلة، وظل الرجل لا يؤدي الخراج ما دام الوالي حياً، كما أنه لم يقطع صلته عنه^(٢).

كل ذلك كان ببركة الإمام ولطفه وسمو سلوكه.

المواساة لسائر الناس:

كان الإمام الجواد يشارك الناس في البأساء والضراء، يصلح أمرهم ويسعى في حل مشاكلهم ويساعدهم بفكره وماله وكل ما عنده. فقد ذكروا:

(١) بحار الأنوار ج ٥٠، ص ٨٦.

(٢) بحار الأنوار ج ١٢، ص ١٢٩.

أنه جرت على إبراهيم بن محمد الهمداني مظلمة من قبل الوالي، فكتب إلى الإمام الجواد عليه السلام يخبره بما جرى عليه، فتألم الإمام وأجابه: «عجل الله نصرتك على ظلمك، وكفالك مؤونته، وابتشر بنصر الله عاجلاً إن شاء الله، وبالأخرة آجلاً، وأكثر من حمد الله»^(١).

ومن مواساته للناس تعازيه للمنكوبين والمفجوعين، فقد بعث رسالة إلى رجل قد فجع بفقد ولده قال عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم. ذكرت مصيبتك بعليّ ابنك، وذكرت أنه كان أحب ولدك إليك، وكذلك الله عز وجل إنما يأخذ من الولد وغيره أذى ما عند أهله، ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة، فاعظم الله أجرك، وأحسن عزاك، وربط على قلبك، إنه قدير وعجل الله عليك بالخلف وأرجو أن يكون الله قد فعل إن شاء الله...»^(٢).

ومن مواساته للناس: أن رجلاً من شيعة كتب إليه يشكو ما حزن في نفسه من الحزن والأسى لفقد ولده، فأجابه الإمام عليه السلام برسالة تعزية جاء فيها:

«أما علمت أن الله عزَّ وجل يختار من مال المؤمن، ومن ولده أنفسه ليؤجره على ذلك...»^(٣).

يرشح من هذه الرسائل الرقيقة مدى تعاطف الإمام مع الناس، ومواساته لهم في السراء والضراء.

لقد شارك الناس وواساهم في جميع محنهم ومصائبهم، ومدَّ يد المعونة إلى فقرائهم وضعفائهم، وبهذا البر والإحسان احتل قلوب الجماهير

(١) بحار الأنوار ج ١٢، ص ١٢٦.

(٢) وسائل الشيعة ج ٢، ص ٨٧٤.

(٣) وسائل الشيعة ج ٢، ص ٨١٣.

وملك عواطفهم فاخلصوا له إخلاصاً قلبياً تاماً وأحبوه كأعظم ما يكون الحب .

لقد كان يمثل أروع صور الفضيلة والكمال في دنيا الأمة الإسلامية ، فلم ير الناس في عصره ما يشابهه في العلم والتقوى والورع ، فقد كان وحيد نسجه في فضائله ومآثره التي كانت السر في إمامته وهو في طفولته . والأمة الإسلامية بأسرها أعجبت الإمام الجواد عليه السلام لما عرفوا من مواهبه ، ومعارفه العلمية والاجتماعية التي لا تحدد ، وهي مما زادت الشيعة إيماناً و يقيناً بصحة ما تذهب إليه وتعتقد به من أن الإمام لا بد أن يكون أعلم أهل زمانه وأفضلهم وأتقاهم^(١) .

(١) حياة الإمام محمد الجواد ص ٧٠ - ٧٥ .

الحالة السياسية في عصر الإمام الجواد عليه السلام

تميزت الفترة الزمنية التي عاشها الإمام الجواد بهدوءٍ سياسيٍ نسبيٍ بعد استشهاد والده الإمام الرضا عليه السلام ، وبعد أن تم تصفية الحساب بين الأخوين العباسيين الأمين والمأمون بمقتل الأمين في (٢٥ محرم ١٩٨هـ) وتسلم المأمون السلطة السياسية، وقد خلا له الجو من المنافس السياسي. لكن بقي منافسه الوحيد الإمام الرضا عليه السلام الذي كان يتصدر الزعامة الروحية والاجتماعية للمجتمع الإسلامي.

كما بقي أيضاً بعض الثورات والانتفاضات العلوية هنا وهناك التي أسرع المأمون في القضاء عليها بحنكة سياسية، ودهاءٍ مكرٍ، وقوةٍ عسكريةٍ لا يستهان بها وبعد إطفاء نار الثورات أفسح المجال فدبر تصفية الإمام الرضا في آخر صفر سنة ٢٠٣هـ بمكيدة ودهاءٍ^(١) الأمر الذي جنب المأمون أغلب المشاكل السياسية الهامة التي تواجه الدولة.

ثم حدث اضطرابات في العاصمة بغداد حيث انفصلت عن سلطة المأمون وتمت المبايعة لعمه إبراهيم ابن المهدي العباسي في (محرم ٥ سنة ٢٠٢هـ) بالخلافة.

(١) تاريخ الطبري ج٧، ص ١٥ والتنبية والإشراف ٣٠٣هـ.

مما كان من المأمون المتعطش لاستلام السلطة إلا أن أخمد الحروب مع ولاية دولة المأمون، وعادت بغداد إلى أحضان دولة الخلافة المأمونية، فدخل المأمون مدينة السلام منتصراً على رأس جيش خراساني كبير في ١٨ صفر سنة ٢٠٤هـ^(١).

وبعد استقرار الوضع السياسي في بغداد واستتباب أمن الدولة في العاصمة الجديدة بغداد، باشر ببناء القصور الملكية والمراكز الأمنية والوزارات وغيرها... ثم تنهى إلى سمعه أخبار أبي جعفر الإمام الجواد ابن الإمام الرضا عليه السلام واحتراف الناس به، بعد ظهور معجزاته وكراماته.

تأمل المأمون في الوضع العام، وهو الخبير المحنك بالأمور السياسية، فأرسل خلف الإمام الجواد يستدعيه من المدينة إلى بغداد التي أصبحت مدينة السلام.

وأعتقد أن التحرك السياسي للإمام الجواد عليه السلام يتبدى من السنة التالية (٢٠٥هـ) التي وصل فيها إلى بغداد بعد أن أدى مناسك الحج، وعاد إلى المدينة ليجمع أهل بيته وعمومته من الهاشميين وخدمه، لمرافقته إلى عاصمة الدولة لإجابة طلب المأمون. وكان له أول لقاء مع المأمون العباسي في التاريخ المذكور.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ المسلسل التاريخي الحافل والاجتماعي والعلمي لحياة الإمام الجواد عليه السلام.

ولا بد من أن نستشف بعض ملامح موقف السلطة العباسية تجاه الإمام من جهة، وعموم الشيعة من جهة أخرى.

(١) التنبيه والاشراف المسعودي ص ٢٠٢.

الموقف السياسي بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام

كانت الفترة التي تقلد فيها الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد فترة هدوء نسبي، إلا ما كان من:

- اضطراب الأمور في بغداد حقناً على المأمون لمقتل أخيه الأمين.

- ولتولية العهد من بعده للرضا من آل محمد عليهم السلام ظناً منهم أن الخلافة ستخرج من بني العباس إلى آل أبي طالب، لكن تبين بعد ذلك أن المأمون المحنك كان يفكر غير ما كانوا يستعجلون تفكيره.

- وأما الفترة التي أعقبت استشهاد الإمام الرضا عليه السلام فكانت هي الأخرى مشحونة بالحذر والترقب من قبل الشيعة عموماً والبيت الهاشمي خصوصاً؛ وذلك بسبب السياسة التي اتخذها المأمون في تقريب الإمام الجواد منه وانزاله تلك المنزلة منه، وهذا الترقب والحذر راجع إلى عدة أمور لعل من أهمها هذه الأسباب:

١ - محبة المأمون الزائدة لأبي جعفر بعد أن استدعاه من المدينة المنورة إلى بغداد؛ لما رأى من غزارة علمه وهو لم يبلغ الحلم بعد، ولم يحضر عند أحد للدراسة، ثم إن صغر السن وامتلاك علوم جمّة، والجلوس للمناظرة مع كبار الفقهاء هي ظاهرة غريبة وفريدة في دنيا الإسلام يومذاك، تأخذ العقول وتستهوئها. ولهذا أبقاه عنده مدة طويلة.

٢ - لأجل رفع أصابع الاتهام عنه باغتيال الإمام الرضا عليه السلام أراد المأمون أن يثبت ظاهرياً للعوام والخواص حبه للنبي من خلال بقاءه على ولاء للبيت الهاشمي.

لذلك أظهر اهتماماً زائداً، وتكريماً متميزاً للإمام الجواد عليه السلام بل أقر له

ما كان يعطي أباه الرضا عليه السلام من عطاء وزيادة حتى بلغ عطاؤه ألف ألف درهم سنوياً^(١).

٣ - تزويجه من ابنته (زينب) المكناة بأُم الفضل، واسكانه قصور السلطنة. وسوف نفصل عن أم الفضل لاحقاً.

٤ - توليته بعد وروده بغداد عام (٢٠٤هـ) عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام مكة والمدينة، وبقي على ولايتهما حتى أواخر عام (٢٠٦هـ).

٥ - أمره ولاية الأقاليم والخطباء بإظهار فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر في جميع المناسبات.

٦ - تبنيه مذهب الاعتزال وإظهار القول بخلق القرآن سنة (٢١٢هـ) وكان الدافع من وراء ذلك، سياسياً، لأجل تصفية بعض الخصوم وابعاد البعض الآخر، وإجبار بعض الفقهاء، خارج المدار السلطاني، الدخول من فلك البلاط لتمرير بعض المآرب السياسية في مرحلة لاحقة. كما أراد صرف الناس عن التوجه إلى أهل البيت عليهم السلام والتمسك بمنهجهم القويم.

فتأمل هذا الدهاء السياسي الذي استطاع به المأمون من سحب البساط من تحت أرجل شيعة أهل البيت عليهم السلام عموماً والطالبين خصوصاً. حيث فوت عليهم بذلك فرصة أي ثورة أو انتفاضة ضد حكومته. وبذلك تمكن من أن يأمن هذا الجانب.

لقد استطاع ترتيب البيت العباسي، واستحكام أمر الخلافة وإن لفترة غير قليلة. أما قضية الإمام الجواد فلم يكن هذه المرة مستعجلاً لتدبير أمر الصبي الصغير ثم الشاب اليافع بشأن تصفية وجوده فالوقت لم يحن بعد، لما يشكله

(١) مرآة الجنان لليافعي ج ٢، ص ٨٠.

الإمام الجواد من خطر أكيد على مستقبل الخلافة العباسية ولقد انعكس ذلك الهدوء السياسي النسبي الذي أعقب تولي الإمام الرضا عليه السلام عهد المأمون له بالخلافة من بعده على امتداد أبي جعفر الثاني عليه السلام بالفائدة المرجوه.

القول بخلق القرآن:

في عام (٢١٢هـ) أعلن المأمون لأول مرة القول بخلق القرآن الكريم، وبعد فترة أصدر مرسوماً ملوكياً وعممه على كافة ولايات الأمبراطورية الإسلامية يدعو فيه القضاة والمحدثين للقول بخلق القرآن، وإلا ردت شهاداتهم، ثم أمر بأشخاص جماعة منهم إليه وكان يومها في الرقة.

فما الذي دعا المأمون لخلق أطروحة هذه خلق القرآن؟! يظهر أن بعض المثقفين والعلماء الذين لم يكونوا ميالين إلى السلطة السياسية، خوفاً على استمرارية وجودهم في الحياة، لما تميز به العصر الأموي من القمع والجور والظلم فقد انتحلوا مذهب الاعتزال، الذي أخذ بدوره بتطور الفلسفة الإسلامية عن طريق علم الكلام الذي يغلب عليه الطابع السجالي العقلي الحر، واعتماده الجدل المنطقي، والقياس في مناقشة القضايا الكلامية.

ثم كان من مقولاتهم الخاصة بهم: المنزلة بين المنزلتين، وحرية الاختيار (التفويض) وأخيراً خلق القرآن.

والمأمون كان اعتزالياً دعم المذهب وحداً به الموقف: السياسي - العقائدي إلى اتباع وسائل إدارية قسرية لفرض وإشاعة هذا المذهب، حتى بلغ به الأمر أن أصدر مرسومه السلطاني - فيما بعد - بعدم تقليد منصب القضاء لغير معتنقي مذهب الاعتزال والقائلين بخلق القرآن هذه الأطروحة العقائدية الفكرية أعتقد أنه كان يراد منها تصفية بعض المناوئين للسلطة العباسية، وقد أصبحت سياسة رسمية للدولة المأمونية وامتدت إلى عصر المعتصم والواثق، يعاقب عقاباً شديداً من لم يقلق بها ويتخذها مبدأ له.

وفعلاً لقد شكّلت هذه الفترة الزمنية (محنة) بالنسبة لغير (فقهاء السلطان) حيث أنهم وجدوا أنفسهم في مواجهة تحول المعتقد والفكر إلى مؤسسة من مؤسسات السلطة التي أخذت تلوح بعضاً الأيديولوجية، لسحق المعارضة السياسية، وضرب المعارضة الفكرية في الوقت نفسه.

ونختصر القول أن الحياة السياسية في عصر الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام سيئة والظروف المحيطة به حرجة للغاية وليس على الإمام فحسب وإنما كانت كذلك على عموم المسلمين وذلك لما وقع فيها من حروب جسام وفتن واضطرابات ولا بد لنا أن نعرض لمنهج الحكم في ذلك العصر.

منهج الحكم:

كان الحكم العباسي في الأهداف والأساليب على غرار الحكم الأموي، وقد وصفه علماء الغرب بالاستبدادي والحكام العباسيون حكموا البلاد حكماً مطلقاً على النحو الذي يحكم به ملوك آل ساسان قبلهم.

لقد كان حكماً خاضعاً لرغبات ملوك العباسيين وأمرائهم، ولم يكن له أي التقاء مع معايير الدين الإسلامي العظيم.

فقد شذت تصرفات الحكام الإدارية والاقتصادية والسياسية عما شرعه الإسلام في هذه المجالات.

استبد ملوك بني العباس بشؤون المسلمين وأقاموا فيهم حكماً ارهابياً لا يعرف الرحمة والعدل والرأفة، وكان بعيداً كل البعد عما شرعه الإسلام من الأنظمة الإنسانية والقوانين الهادفة إلى بسط العدل، ونشر المساواة وإحقاق الحق بين المسلمين. لقد خالفوا الحديث الشريف:

«الناس سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

الخلافة والوراثة:

كانت الخلافة العباسية بحسب قيمها الأصلية تخضع لقانون الوراثة والعصبيات والأهواء الشخصية، وكل هذه المظاهر جاهلية، حاربها الإسلام واعتبرها من عوامل التخلف والانحطاط الفكري والاجتماعي.

فالإسلام أناط الخلافة بالمثل العليا والقيم الكريمة والقدرة الحازمة على إدارة شؤون الأمة. ومن يتصف بهذه الصفات فهو المرشح لهذا المنصب الهام والخطير الذي تدور عليه سلامة الأمة وسعادتها ورفيها.

أما الخلافة عند الشيعة فقد خصصت بالأئمة المعصومين الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام لا لقربهم من الرسول الأكرم وكونهم ألصق الناس به، وإنما لمواهبهم الربانية، وما اتصفوا به من الفضائل ومكارم الأخلاق والعلوم الجامعة التي لم يتصف بها أحد غيرهم، فضلاً عن النص عليهم بما لا يدع مجالاً للاختيار والانتخاب.

وأما الحكام العباسيون فقد تمسكوا بعنصر الوراثة على غرار أسلافهم الأمويين، واعتبروها قاعدة أساسية لاستحقاقهم بالخلافة. وحجتهم بذلك أنهم أبناء عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد بذلوا في هذا السبيل الأموال الطائلة لأجهزة الإعلام من كتاب ومحدثين، باعوا ضمائرهم، لنشر مقالاتهم تلك بين الناس. والتاريخ يعيد نفسه؟!!

فقد تدافعت المرتزقة إلى تأييدهم ودعم الوسط العباسي من خلال انتقاص العلويين والخط من شأنهم من أجل التقرب منهم، وكذبوا وشهدوا بأن ملوك بني العباس أولى بالنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من السادة الأطهار الذين طهرهم رب العالمين وأذهب عنهم الرجس، ولا حاجة للتدليل على ذلك.

أهل البيت ﷺ

فأهل البيت ﷺ هم الصفوة التي اختارهم الله تعالى أعلاماً لعباده، واجتباهم هداة لخلقه، وأئمة لعباده وسدنة الرسالة المحمدية الشريفة. فعنهم تؤخذ الأحكام، وبهم يعرف الحلال من الحرام؛ فهم الأدلة على الله، والقادة إليه والدعاة إلى دينه، والموضحون لمنهجه، وعندهم علم الكتاب وما جاءت به السور.

أمر الرسول الأكرم ﷺ الأمة باتباعهم وطاعتهم، لكن المسلمين تزاحموا بعد وفاة الرسول ﷺ على تسلم الخلافة، والنبى لم يدفن بعد. وقد زعموا الخوف من الفتنة وفي الفتنة سقطوا روى المسلمون الخلافة عن أهل البيت ﷺ وأخذت تتقلب في أيدي غيرهم حتى وصلت إلى معاوية بن أبي سفيان، أعدى الناس للإسلام، وانتهت إلى ابنه يزيد الفاجر بالوراثة ثم استمرت في الأمويين سبعين عاماً.

وقام من بعدهم بنو العباس، فاستبدل الناس بالظلم والجور ظلاماً آخر وجوراً آخر. هذا والأئمة المعصومون ﷺ أحلاس بيوتهم، ليس لهم أمر ولا نهى. وفيهم قال الشاعر أبو فراس الحمداني رحمه الله:

بنو علي رعايا في ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدم
ولم يكتف الحكام الأمويون والعباسيون بتلقمهم الخلافة مستأثرين بها
على أهل البيت ﷺ حتى أخذوا يتبعونهم قتلاً، وسجناً، وتشريداً.

لم يعبأ الأئمة عليهم السلام بكل هذه الشدة والعداوة التي قوبلوا بها بل استمروا بكل جهودهم على تبليغ رسالتهم في إعلاء كلمة الله ونشر التعاليم الإسلامية، والرد على المنحرفين، وصد التيارات الفكرية الفاسدة، فقد ملؤا الدنيا بمعارفهم وعلومهم من أجل رفع راية الإسلام خفاقة في العلم. ولا غرو، فهم المكلفون بعد الرسول الأعظم عليه السلام بنشر الإسلام، والمحافظة على السنن والشرائع المحمدية.

أعمال شاذة ومنكرة:

لما التزم العباسيون بقانون الوراثة، وانحرفوا عن الشريعة الإسلامية، قاموا بتصرفات شاذة ومنكرة تسيء إلى مصلحة الأمة من بينها على سبيل الذكر:

١ - اسناد الخلافة إلى من لم يبلغ سن الرشد، فالرشيد عهد بالخلافة إلى ابنه الأمين، وهو طفل في الخامسة من العمر. وإلى ابنه المأمون وكان عمره ثلاثة عشر سنة وهو يعلم انهما لا يتمتعان بشيء من العلم والحكمة، والحنكة الإدارية والسياسية ولا يخفى على أحد بأن الإمامة والخلافة للرسول عليه السلام منصب رباني وعهد إلهي لا يرتقي إليه إلا من حاز من العلم والموهبة ومن سلمت سيرته من الخطأ والانحراف في كل مجالات حياته وهذا من الضرورة بمكان ليكون قادراً على قيادة الأمة إلى سبيل الصلاح وطرق الحق والرشاد.

وهكذا نرى أن العباسيين قد انحرفوا بذلك عما قرره الإسلام من أن منصب الخلافة لا يسند إلا لمن يتمتع بالحكمة والدراية والمعرفة التامة بالشؤون الاجتماعية والدينية والسياسية وكان من أصحاب الدراية التامة لما تحتاج إليه الأمة في جميع شؤونها، وإلا فقد يغرق الربان والسفينة التي يقودها. والتاريخ يسجل ولا ينسى للأجيال القادمة!

٢ - والأمر الثاني: اسناد ولاية العهد إلى أكثر من واحد:

ففي ذلك يكون قد زرع الحقد في قلب ولديه قبل مماته وبعد مماته، وهذا يسبب تمزيق الأمة وتصديع وحدتها. وقد شد الرشيد عن الطريق الصحيح باسناد الخلافة من بعده إلى ولديه: الأمين والمأمون، والقى الصراع بينهما، سيما وهما من أمين مختلفتين: فارسية وأخرى عربية. .

وهذا ما عرض الأمة إلى الأزمات الحادة، والفتن الخطيرة التي ذهب ضحيتها الكثير من البشر في أتون الحروب الطاحنة بين الأخوين: الأمين والمأمون حيث يرى كل منهما أنه صاحب الحق في استلام ولاية العهد بعد أبيه.

٣ — الوزارة والتوزير:

كانت الوزارة في الدولة العباسية من الأجهزة الحساسة في الإدارة العامة، وكان التوزير قلق جداً، وعلى الأكثر - وزير تفويض يعهد الخليفة بهذا المنصب إلى الوزير بالتصرف في جميع شؤون دولته، بينما هو (الخليفة يتفرغ للعب واللهو والعبث والمجون، وقد استوزر المهدي العباسي يعقوب بن داود، وفوض إليه جميع شؤون رعيته وانصرف هو إلى ملذاته. وجواريه.

واستوزر الرشيد يحيى بن خالد البرمكي ومنحه جميع الصلاحيات واتجه هو كغيره إلى ملذاته وشهواته، فكانت لياليه الحمراء شاهداً واضحاً على ذلك.

يحيى هذا ذكي وخبير تصرف في إدارة شؤون الدولة الواسعة الأطراف فعزل من عزل وعين من عين حسب رغباته. وكان كريماً على الشعراء المداحين فانفق لهم الأموال الطائلة واتخذ من القصور والعمارات والضياع

التي كانت تدر عليه الملايين وتصرفاته هذه التي زادت عن الحد المألوف هي التي سببت قيام هارون الرشيد باعتقاله، وقتل ابنه جعفر البرمكي وصادر جميع أموالهم. وبعدها حدثت نكبة البرامكة.

والمأمون عين الفضل بن سهل وزيراً يدير كل شؤون الدولة أطلق يده تماماً فتصرف كيفما شاء على هواه.

وكان الوزير يرغب في تولي شؤون الوزارة ليكسب من وراء منصبه الثراء الفاحش بما يقتترفه من الرشوات والنهب، وقد عانت الأمة الكثير من ضروب المحن والبلاء في عهدهم مما لا يوصف من الكوارث والظلم. حتى أننا نستطيع القول أنهم كانوا الإداة الضاربة للشعب، فقد استخدمهم الملوك لنهب ثروات الناس وإذلالهم وارغامهم على ما يكرهون فلاقوا من جراء ذلك الكره والسخط من جميع الفئات وخاصة الجماعة العامة.

لذلك كانوا معرضين للانتقام لما اقتترفوه من الظلم والجور وقد نصح أحد الشعراء، دعبيل الخزاعي والفضل بن مروان أحد وزراء العباسيين فاوصاه باسداء المعروف والإحسان إلى الناس، وقد ضرب له مثلاً بثلاثة وزراء ممن شاركوه في الاسم وسبقوه إلى كرسي الحكم وهم:

الفضل بن يحيى، والفضل بن الربيع، والفضل بن سهل، فإنهم لما جاروا في الحكم تعرضوا إلى النقمة والسخط وكانت نهايتهم الفصل فتركوا كل ما جمعوه على الأرض وناموا في باطنها.

ومن غرائب ما اقتترفه الوزراء في الخيانة ان الخاقاني وزير المقتدر بالله ولي في يوم واحد تسعة عشر ناظراً في الكوفة وأخذ من كل واحد رشوة^(١).

(١) تاريخ التمدن الإسلامي الجرجي زيدان ج ٤ ص ١٨٢.

إلى غير ذلك من مثل هذه الفضائح (الكثيرة والمنكرات عند أكثر الوزراء العباسيين .

وهل لهذا السبب يتزاحم وزراءنا اليوم لتسلم هذا المنصب؟!

اضطهاد العلويين:

إن أكثر الحكومات العباسية الرسمية قامت باضطهاد العلويين وقابلتهم بمنتهى القسوة والظلم، فلاقوا من العذاب ما لم يروه في العهد الأموي . وأول من فتح نار الشر عليهم الطاغية المعروف بالمنصور الدوانيقي^(١) . وقولته مشهورة فيهم:

«قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون وتركت سيدهم: جعفر بن محمد» .

وهو صاحب: أي المنصور - رؤوس العلويين التي تركها لابنه من بعده - المهدي - تثبيتاً لملكه وسلطانه، ومن جملة ما وجد في هذه الخزانة رؤوس الأطفال والشباب والشيخ من العلويين^(٢) .

ومن مآثره أيضاً أنه وضع في سجون الرهية أعلام العلويين وأعيانهم، كما ردم على بعضهم السجون حتى توفوا دفناً تحت الدمار والأتربة!!!

لقد اقترف - فرعون هذه الأمة السفاك جميع ألوان التصفية الجسدية مع العلويين، وعانوا في ظلال حكمة صفوف التنكيل والإرهاب والتشريد ما لا يوصف!

وجاء بعده طاغية آخر زاد على سلفه المنصور وهو موسى الهادي،

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦١ .

(٢) تاريخ الطبري ج ١٠، ص ٤٤٦ .

صاحب واقعة الفخ التي لا تقل في مشاهدتها الحزينة والمؤلمة عن واقعة كربلاء.

وقد ارتكب فيها هذا السفاك من الجرائم المنكرة ما لم يشاهد مثله، فقد أراد القضاء على العلويين نهائياً فأوعز إلى زبانيته قتل الأطفال وإعدام الأسرى، وظل يطارد العلويين ويلح في طلبهم حتى قتل معظمهم ولكن كانت ولايته قصيرة حتى قصم الله ظهره وتنفس من بقي من العلويين الصعداء.

هكذا كان منهج الحكم عند العباسيين ظلم وجور وقتل وتشريد وتعذيب. لكن العاقبة للمتقين حيث ذهب العباسيون والأمويون وترمدوا ولم يبق لهم ذكر إلا العار الشنيع على صفحات التاريخ بينما بقي العلويون نجوماً تتلألأ على مفارق الطريق يهتدي بنورها العالم أجمع، وبقيت قبورهم راسخة على صدر الزمن يزورها المؤمنون من شتى بقاع العالم.

مدامع الحياة الثقافية

كانت الحياة الثقافية في ذلك العصر متميزة بارزة أكثر من كل العصور الإسلامية على الإطلاق، فقد ازدهرت الحركة الثقافية ازدهاراً ملحوظاً، وانتشر العلم انتشاراً واسعاً في كل نواحي البلاد، فتأسست المعاهد الدراسية وشاعت الحلقات العلمية، وأقبل الناس على طلب العلم في جميع فروعها.

كان الإنبساط رقة الدولة العباسية، ووفرة ثرواتها الطائلة المتدفقة من جميع النواحي على بغداد مدينة السلام ورواج التجارة والصناعة أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل. فكل الناس من طلاب العلم من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأناً حتى الجوّاري بدوا جميعاً طلاباً للعلم وأنصاراً للأدب. وقد سمي ذلك العصر بالعصر الذهبي.

يقول نيكلسون: «في عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاثة قارات سعياً إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين، ثم يصفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنعات التي هي أشبه بدوائر المعارف، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل»^(١).

ونوجز القول عن بعض المعالم الرئيسية من تلك الحياة الثقافية.

(١) تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ج٢، ص٣٢٢.

المراكز الثقافية:

١ - المدينة:

كانت المدينة من أهم المراكز العلمية في ذلك العصر فقد تشكلت فيها مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي ضمت عيون الفقهاء وجهابذة الأدباء، وكبار الرواة الذين سهرروا على تدوين أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد أهتموا بصورة موضوعية بتدوين أحاديثهم الخاصة في الفقه الذي يمثل روح الإسلام وجوهره.

كما تشكلت في المدينة مدرسة التابعين، مدرسة فقهية اهتمت بأخذ الفقه مما روي عن الصحابة.

٢ - الكوفة:

ومدينة الكوفة كان لها شأن هام في ذلك العصر، ففيها الجامع الأعظم الذي يعد من أهم المعاهد والمدارس الإسلامية، وكان الطابع العام للدراسة، العلوم الإسلامية. من الفقه، والتفسير، والحديث وغيرها...

والكوفة كانت علوية الرأي، فقد اهتمت بعلوم أهل البيت قال الحسن بن علي الوشاء:

أدركت في المسجد الأعظم تسع مائة شيخ كل يقول:
حدثني جعفر بن محمد. ومن أهم الأسر العلمية التي درست في ذلك الجامع هي: آل حيان التغلبي، وآل أعين، وبنو عطية وبيت بني دراج وغيرهم^(١).

ولم يكن الفقه وحده هو السائد في مدرسة الكوفة، وإنما كان النحو سائداً أيضاً، وكان من أبرز أعلامها:

(١) راجع تاريخ الإسلام السياسي حسن إبراهيم حسن ج ٢، ص ٢٣٨.

الكسائي الذي عهد إليه الرشيد بتعليم ابنه: الأمين والمأمون. ولا يخفى على أحد أن هذا العلم الذي يصون اللسان من الخطأ، وبصورة خاصة القرآن الكريم، قد أوجد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فهو الذي وضع أصوله وقواعده مع أبي الأسود الدؤلي، عندما سمع الناس يلحنون في العلوم الإسلامية.

٣ - البصرة:

عندما تذكر الكوفة في علم النحو يخطر في ذهن المطالع مدرسة البصرة، وكان أول من وضع أصول النحو فيها: أبو الأسود الدؤلي الذي مر ذكره آنفاً. وهو تلميذ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

كانت هذه المدرسة تنافس مدرسة الكوفة، وقد سمي نحاة البصرة (أهل المنطق) تمييزاً عن نحاة الكوفة وكان من أعلام هذه الصناعة النحوية: سيبويه الفارسي الأصل. وهو صاحب الكتاب المعروف له: كتاب سيبويه. الذي يعد من أنضج الكتب العربية في هذا الميدان، وأكثرها عمقاً وأصالة.

ولو نظرنا إلى كتاب سيبويه في قواعد اللغة العربية لوجدناه عملاً ناضجاً، بذل فيه صاحبه مجهوداً عظيماً حتى أن المتأخرين قالوا: إنه لا بد أن يكون ثمرة جهود متضافرة لكثير من العلماء، مثل قانون ابن سينا.

وكما كانت البصرة ميداناً مهماً لعلم النحو كذلك كانت مدرسة لعلم التفسير: من العلماء البارزين:

عمرو بن العلاء.

وكانت مدرسة هامة لعلم العروض الذي وضع أصوله: الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب (العين) الذي يعد أول معجم وضع في اللغة العربية.

٤ - بغداد: ازدهرت مدرسة بغداد بالحركات العلمية والثقافية والحضارية وقد

انتشرت فيها المدارس والمعاهد فهي العاصمة ومركز الخلافة العباسية. يقصدها طلاب العلم من شتى البلدان والنواحي ولم يعد شيء فيها أيسر من العلم.

وقد استقدم الخلفاء العباسيون العلماء في جميع المعارف في ابناء والطب والهندسة والعلوم المختلفة. وبذلك لم تختص بغداد في علم خاص كما كانت بقية المراكز الإسلامية مثل المدينة، والكوفة، والبصرة، وإنما شملت جميع أنواع العلوم العقلية والنقلية، وسائر الفنون الأخرى كالموسيقى والرسم والنحت وسائر الفنون. . . . وقد أصبحت بغداد أعظم حاضرة علمية في ذلك العصر. يتوافد إليها طلاب العلوم من جميع أقطار الدنيا من بيزنطية وفارس وغيرها يقول غوستاف لوبون:

«كان العلماء ورجال الفن والأدباء من جميع الملل والنحل من يونان وفرنس وأقباط وكلدان يتقاطرون إلى بغداد ويجعلون منها مركزاً للثقافة في الدنيا»^(١).

ويقول أبو الفرج عن المأمون:

«إنه كان يخلو بالحكماء، ويأنس بمناظراتهم علماً منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده»^(٢).

وقال عنه الترمزي: «برع المأمون في العلوم والفنون حتى فاق أقرانه، بل فاق جميع خلفاء بني العباس، فإنه لم يكن في بني العباس أعلم من المأمون»^(٣).

«وهو أعلم الخلفاء بالفقه والكلام»^(٤) ولا ندري إلى أين ذهب به هذا العلم؟! إلى الجنة أم إلى النار! عالم لم يخش الله في علومه!!

(١) حضارة العرب ص ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٩.

(٣) حياة الهوان ج ١، ص ٧٢.

(٤) الفهرست ص ١٧٤.

العلوم السائدة في العصر العباسي :

١ — علوم القرآن:

أ - علم القراءات

وهو علم يعنى بالبحث عن قراءة القرآن وقد وجدت سبع طرق في القراءات، كل طريقة منها تنسب إلى قارئ معروف. ومن أشهرهم في العصر العباسي:

يحيى بن الحارث الذماري المتوفى سنة ١٤٥هـ.

وحمزة بن حبيب الزيات المتوفى سنة ١٥٦هـ.

وأبو عبد الرحمن المقرئ المتوفى سنة ٢١٣هـ.

وخلف بن هشام البزاز المتوفى سنة ٢٢٩هـ.

ب - التفسير:

ويراد به توضيح وشرح آيات القرآن الكريم. وقد اتجه المفسرون في

تفسيره اتجاهين:

الأول: التفسير بالمأثور، ونعني به تفسير القرآن بما أثر عن النبي ﷺ وأئمة الهدى عليهم السلام. وهذا ما اعتمده أغلب مفسري الشيعة كتفسير: القمي، والعسكري، والبرهان، وحجتهم في ذلك أن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم المخصصون بعلم القرآن على حقيقته وواقعه، وقد أدلى بذلك أبو جعفر

الإمام الباقر عليه السلام بقوله: «ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء»^(١). وقال الشيخ الطوسي:

إن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي وعن الأئمة الذين قولهم حجة كقول النبي صلى الله عليه وآله^(٢).

الثاني: التفسير بالرأي: ويراد به الأخذ بالإعتبارات العقلية الراجعة إلى الإستحسان. وقد ذهب إلى ذلك المفسرون من المعتزلة والباطنية فلم يعنوا بما أثر عن أئمة الهدى في تفسير القرآن الكريم، وإنما استندوا في تفسيره إلى ما يرونه من الإستحسانات العقلية.

وإن أول مدرسة للتفسير بالمأثور كانت في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو أول من فسر القرآن الكريم^(٣)، وعنه أخذ عبد الله بن عباس وغيره من أعلام الصحابة وكذلك كان الأئمة الظاهرون اهتموا بهذا التفسير اهتماماً بالغاً، فتناولوا الكثير في محاضراتهم: تفسير القرآن وأسباب النزول، وفضل قراءته.

٢ — علم الحديث:

علم الحديث هو أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أو عن أوصيائه الأئمة الطاهرين من: قول أو فعل أو تقرير ويعبر عنه بالسنة^(٤).

وقد اهتم علماء الشيعة بتدوين الحديث الشريف وحثوا أصحابهم على ذلك. روى أبو بصير قال:

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «ما يمنعكم من الكتابة إنكم لن

(١) التبيان ج ١، ص ٤.

(٢) حياة الإمام محمد الباقر ج ١، ص ١٨١.

(٣) ولا عجب فأمر المؤمنين هو تلميذ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وعاش معه وصاهره.

(٤) راجع نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية للمؤلف ج ١، و ج ٢.

تحفظوا حتى تكتبوا، إنه خرج من عندي رهط من أهل البصرة يسألون عن أشياء فكتبوها» .

وقد انبرى جماعة من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام إلى جمع الأحاديث الصحيحة في جوامع كثيرة، وهي الجوامع الأولى للإمامية والتي تعد الأساس في تدوين الجوامع الأربعة لمشايع الإسلام الثلاثة .

٣ — علم الفقه:

انتشر علم الفقه انتشاراً واسعاً في ذلك العصر وفي جميع العصور الإسلامية اللاحقة، وهو علم يتكفل بيان التكاليف اللازمة على المكلفين وما هم مسؤولون عنه عند الله، ومطالبون بامثالها وتطبيقها على واقع حياتهم، ومن ثم كان الاهتمام بدراسة علم الفقه أكثر من سائر العلوم القرآنية الأخرى .

وقد قام أئمة أهل البيت عليهم السلام بدور فعال في انشاء مدرستهم الفقهية التي تخرج منها كبار الفقهاء والعلماء أمثال: زرارة، ومحمد بن مسلم، وجابر بن يزيد الجعفي وأمثالهم من عيون العلماء، وقد دونوا ما سمعوه من الأئمة الطاهرين في أصولهم التي بلغت زهاء:

أربعمائة أصل، ثم هذبت، وجمعت في الكتب الأربعة التي يرجع إليها فقهاء الإمامية في استنباطهم للأحكام الشرعية^(١) .

ولم يقتصر هذا النشاط في طلب علم الفقه والإقبال عليه على الشيعة فقط، وإنما شمل جميع الطوائف الإسلامية الأخرى . فجميع رؤساء

(١) راجع الإمام الصادق عطر النبوة ومنهج حياة للمؤلف ومعالم مشعة من حياة الإمام الباقر للمؤلف أيضاً .

المذاهب تعلموا وتخرجوا من مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الذي مهد له في هذه المدرسة الإمام الباقر عليه السلام

أ - المذهب الحنفي : ٨٠هـ - ٧٦٧م .

ب - المذهب المالكي : ٩٣هـ - ١٧٩هـ .

ج - المذهب الشافعي : ١٥٠هـ - ٢٠٤هـ .

د - المذهب الحنبلي : ١٦٤هـ - ٢٤١هـ .

هـ - المذهب الجعفري ٨٣هـ - ١٤٨هـ .

وجميع رؤساء هذه المذاهب يشيدون بالإمام جعفر الصادق .

يقول فيه ابن الحجاج :

يا سيداً أروي أحاديثه رواية المستبصر الحاذق
كأنني أروي أحاديث النبي محمد عن جعفر الصادق
وقال عنه عبد الله بن المبارك :

أنت يا جعفر فوق السمح والمدح عناء
إنما الأشراف أرض ولهم أنت سماء
جاز حد المدح من قد ولدته الأنبياء

والإمام الشافعي كان لا يبالي بإظهار حب آل محمد، وإن اعترضت حواجز في طريق إظهار ذلك الحب، كما شاءت السياسة بأن يرمي محب أهل البيت بكل تهمة ويكون عرضة للخطر، وقد أعلن ذلك الشافعي ذلك بقوله :

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أنني رافض^(١) .

(١) راجع كتاب النظم الإسلامية للمؤلف ص ٩٩ و ١٠٣ .

٤ — علم أصول الفقه:

أسس هذا العلم الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام ويهتم هذا العلم بالاجتهاد والإستنباط، وكان موضع دراسة في ذلك العصر المميز بالمعارف المختلفة من فلسفة وآداب وطب وعلوم وفنون. . .

٥ — علم الكلام:

والهدف منه الدفاع عن المعتقدات الدينية بالأدلة العلمية وأول من أسس هذا الفن أئمة أهل البيت عليهم السلام وتخصص فيه جماعة من تلاميذهم، وفي طليعتهم العالم الكبير: هشام بن الحكم، ومن أشهر المتكلمين عند أهل السنة: واصل بن عطاء، وأبو هذيل العلاف، والأشعري، والغزالي.

٦ — علم النحو:

وهو من العلوم التي قامت بدورها في العصر العباسي، فقد كانت بحوثه موضع جدل ونقاش، كما مر معنا في مدرسة الكوفة وفي مدرسة البصرة. وقد عقدت لهذا العلم الأندية في قصور الخلفاء، وجرى في بعض مسائله نزاع حاد بين العلماء والأدباء والشعراء: كما حدث النزاع المعروف بين سيبويه والمتنبي في مجلس سيف الدولة الحمداني وقد تخصص بهذا العلم جماعة من الأعلام النحويين في ذلك العصر وفي طليعتهم الكسائي والفراء وسيبويه الفارسي. وكما ذكرنا سابقاً الذي أسس هذا العلم أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب رائد الحكمة والفقه والأدب والعلم في الأرض.

٧ — علم الكيمياء:

برع بهذا العلم العالم المشهور جابر بن حيان الذي يعد مفخرة الشرق العربي، وقد تلقى علومه في هذا المجال من الإمام جعفر الصادق صاحب العقل المفكر الفريد في العالم الإنساني والمؤسس لهذا العلم. ولا عجب

فالإمام الصادق هو ابن الإمام الباقر الذي بقر العلوم بقرأً ولقن ابنه الصادق الكثير من العلوم والمعارف .

٨ — علم الطب:

لقد شجع ملوك بني العباس على دراسة هذا العلم الذي يعد وما زال الأساس في صحة الإنسان ومستوى معيشتة ومنحوا الجوائز الكبيرة والأموال الطائفة للمتخصصين فيه مثل جبريل بن بختشوع الطبيب النصراني المعروف .

أما على صعيد الأئمة الأطهار فأمر المؤمنين ألف بهذا العلم وأخذ عنه الأئمة عليهم السلام حتى وصل هذا العلم إلى الإمام الجواد عليه السلام

ترجمة الكتب:

من مظاهر الحياة الثقافية الرائجة في ذلك العصر الإقبال على ترجمة الكتب إلى اللغة العربية: من طب وفلسفة وفلك ورياضة وأصناف العلوم السياسية والاجتماعية ذكر كثير منها ابن النديم في كتابه الفهرست .

وكان يرأس ديوان الترجمة حنين بن اسحاق، وقال أيضاً أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون فكتب إليه يسأله الإذن في انفاذ من يختار من العلوم القديمة المخزونة، المدخرة في خزائن بلاد الروم، فاجابه ملك الروم إلى ذلك بعد امتناع، فاخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق، ومسلم صاحب بيت الحكمة وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل . .^(١)

المعاهد والمكتبات:

لم تقصر الحكومة العباسية في انشاء الكثير من المعاهد والمدارس في

(١) الفهرست ص ٣٣٩ .

بغداد، فانشأت منها حوالي ثلاثين مدرسة لتدريس العلوم الإسلامية وغيرها. كما أسست فيها المكتبات العامة التي كان منها: بيت الحكمة.

هذه المكتبة الضخمة نقل إليها الرشيد مكتبته الخاصة، وأضاف إليها من الكتب ما جمعه جده المنصور، وأبوه المهدي، وفي عهد المأمون طلب من أمير صقلية بعض الكتب العلمية والفلسفية ولما وصلت إليه نقلها كلها إلى بيت الحكمة، كما جلب إليها من خراسان الكثير من الكتب، وكان كلما سمع بكتاب جلبه إليها وظلت هذه الخزانة التي هي من أئمن ما في العالم قائمة يرجع إليها الكتاب والباحث وأهل العلم.

واستمرت هذه المكتبة العظيمة، بيت الحكمة، مزدهرة ناشطة يقصدها العلماء من شتى بقاع الأرض حتى سنة ٦٥٦هـ عندما استولى السفاك المغول فعمدوا على اتلافها ورووا أن نهر دجلة تعكر من حبر الكتب التي رميت فيه وبذلك خسر العالم الإسلامي أعظم تراث علمي^(١).

الخرائط والمراصد:

أمر المأمون بوضع خريطة للعالم سميت (الصورة المأمونية) وهي أول خريطة صنعت للعالم في العصر العباسي، كما أمر بإنشاء مرصد فلكي، فانشئ بالشماسية وهي إحدى محلات بغداد.

في هذا الجو العلمي الزاهر كان الإمام أبو جعفر الجواد عليه السلام الرائد الأعلى للحركة الثقافية، فقد التف حوله العلماء من الشيعة وغيرهم أثناء إقامته في بغداد وهم ينهلون من نيمير علومه، وقد سألوه عن أدق المسائل الفلسفية والكلامية والفقهية والعلمية فكان يجيبهم عليها متحدياً الزمن مما منَّ الله به عليه من معارف وعلوم^(٢).

(١) تاريخ الإسلام السياسي د. حسن إبراهيم حسن ج ٤، ص ١٦٠ - ١٦٢.

(٢) راجع حياة الإمام محمد الجواد عليه السلام ص ١٧٩.

الحياة الاقتصادية في العصر العباسي

اهتمام الإسلام بالاقتصاد النظيف

الاقتصاد عصب الحياة، لذلك اهتم الإسلام بالحالة الاقتصادية كثيراً وعلى ازهارها ونموها، وألزم الولاة والمسؤولين أن تعملوا جاهدين على تنمية الاقتصاد العام، وزيادة دخل الفرد وبسط الرخاء بين الناس ليحفظ المسلمين من الشذوذ والانحراف الذي هو - على الأرجح - وليد الفقر والحرمان، لأن الفقر كارثة مدمرة يجب القضاء عليه بكافة الطرق والوسائل.

وقد حرّم الإسلام على ولاة الأمور إنفاق أموال الدولة في غير صالح المسلمين، ومنعهم أن يختاروا منها لأنفسهم وأعوانهم وأقربائهم ومن يلتف حولهم من أصحاب المصالح.

فيا ليتنا نحن اليوم ونحن نرزح تحت عبء الديون الباهظة أن يعمل المسؤولون في لبنان على العمل بهذه التوصية الهامة وينفقوا المال العام في محله وحسب ما شرع الله تبارك وتعالى لكن ملوك بني العباس تجاهلوا ما أمر به الإسلام في هذا المجال فاتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً، وأنفقوا الثروة الكبيرة في بيت مال المسلمين على ملاذهم وشهواتهم من دون تحرج!! وقد أدت هذه السياسة المنحرفة إلى أزمات حادة في الاقتصاد العام، حيث انقسم المجتمع إلى طبقتين:

الأولى: وهي طبقة الأثرياء التي لا عمل لها إلا اللهو واللعب.

والثانية: هي الطبقة الكادحة التي تزرع الأرض، وتعمل في الصناعة وتشقى في سبيل أولئك السادة العاطلين، ولا تحصل بجهداها إلا على ما يسد رمقها، وترتب على فقدان التوازن في الحياة الإقتصادية وانعدام الإستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية على السواء وفيما يلي نذكر بعض العناصر بايجاز عن الحياة الإقتصادية في ذلك العصر.

١ — الاهتمام بجمع المال:

تهالك الناس في ذلك العصر على جمع المال بكل وسيلة، مشروعة كانت أم غير مشروعة، وأصبح المال هو المقياس عندهم في قيم الرجال، فمن يملك أكثر له قيمة أكبر، حتى أخذ يتردد في الأمثلة الجارية في بغداد: «المال المال، وما سواه محال» واعتمد الناس في جمعه بكل طريق لا يعفون عن محرم، ولا يتورعون عن خبيث لذلك تفسى الغش والخداع وكثر الفقر والحرمان. لأن تكديس المال في جيوب الأغنياء هو من جيوب الفقراء.

والقول المأثور لا بد منه هنا: ما جمع المال إلا من غش أو حرام.

٢ — واردات الدولة العباسية:

في العصر العباسي الذي عاش فيه الإمام الجواد تضخمت واردات الدولة للغاية. فقد أحصى ابن خلدون الخراج في عهد المأمون فكان مجموعه ما يزيد على أربعمئة مليون درهم^(١).

(١) نفسه ص ١٧٩ - ١٨٠.

ومن وفرة المال المقنطرة أصبح يوزن بالميزان بدل العد، جاء في المقدمة: أنه بلغ ستة أو سبعة قنطار من الذهب^(١).

فخراج الروم وحدها حسب عامل المعتصم جاء أقل من ثلاثة آلاف فكتب إليه المعتصم يعاتبه، ومما جاء في عتابه:

«إن أحسن ناحية عليها أحسن عبيدي خراجها أكثر من خراج أرضك». ومن المؤسف أن هذه القناطر المقنطرة لم تصرف على تحسين أوضاع المسلمين، وتطوير حياتهم، وتنمية مصالحهم، وإنما كان الكثير منها يصرف على الملذات والشهوات والجواري في بلاط السلطان وحواشيه. وقد ظهرت تلك الانفاقات الهائلة على ترف بغداد، مدينة السلام في ذلك الوقت، ذلك الترف الذي تحكيه قصص ألف ليلة وليلة التي مثلت حياة اللهو في ذلك العصر.

٣ — تضخم الثروات:

تجمعت الثروات الهائلة والكنوز الضخمة عند بعض الناس وخصوصاً في بغداد عاصمة العالم الإسلامي آنذاك، فقد وجدت فيها طبقة رأسمالية كانت تملك الملايين.

وتأتي بعد بغداد مدينة البصرة فقد ضمت طبقة كبيرة من أهل الثراء العريض، وكانت تعرف بثغر العراق، والمركز التجاري الخطير الذي يصل بين الشرق والغرب. فكانت تستقبل متاجر الهند، وجزر البحار الشرقية، ومن أجل ذلك سميت البصرة أرض الهند وأم العراق^(٢).

٤ — نفقات المأمون في زواجه:

من مظاهر ذلك البذخ والاسراف والتصرف الظالم في أموال المسلمين

(١) نفس المصدر ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) مقدمة البخلاء ص ٢٤.

ما أنفقه المأمون من الأموال المذهلة في زواجه بالسيدة (بوران) فقد أمهرها ألف ألف دينار، وشرط عليه أبوها الحسن بن سهل أن يبني بها في قريته الواقعة بفم الصلح فأجابته إلى ذلك .

ولما أراد الزواج سافر إلى فم الصلح ونثر على العسكر الذي كان معه ألف ألف دينار وكان معه في سفره ثلاثون ألفاً من الغلمان الصغار والخدم الصغار والكبار وسبعة آلاف جارية . . .

وعرض العسكر الذي كان معه فكان أربعمئة ألف فارس، وثلاثمئة ألف رجل . . . وكان الحسن بن سهل يذبح لضيوفه ثلاثين ألف رأس من الغنم، ومثلها من الدجاج، وأربع مائة عجل وأربعة مائة جمل . وسمى الناس هذه الدعوة: «دعوة الإسلام»^(١) .

ولا ريب هذا ليس من الإسلام في شيء، لأن الإسلام احتاط كأشد ما يكون الاحتياط في بيت مال المسلمين فحرم أي إنفاق في غير صالحهم .
وحينما بنى المأمون بوران نثروا من سطح دار الحسن بن سهل بنادق عنبر فاستخفت بها الناس، وزهدوا فيها، ونادى رجل من السطح قائلاً:

كل من وقعت بيده بندقه فليكسرهما فإنه يجد فيها رقعة، وما فيها له:
وكسر الناس البنادق فوجدوا فيها رقاعاً في بعضها تحويل بألف دينار، وفي أخرى خمسمائة دينار إلى أن تصل إلى المائة دينار، وفي بعضها عشرة أثواب من الديباج وفي بعضها خمسة أثواب، وفي بعضها غلام، وفي بعضها جارية وحمل كل ما بيده رقعة إلى الديوان واستلم ما فيها^(٢) .

كما أنفق على قادة الجيش فقط خمسين ألف ألف درهم^(٣) .

(١) الله أكبر والإسلام منها براء!!

(٢) تاريخ الطبري ج٧، ص١٤٩ .

(٣) تاريخ ابن الأثير ج٤، ص٢٠٦ .

وفي قاعة الزفاف أجلست بوران العروس على سجادة منسوجة من الذهب ودخل عليها المأمون ومعه عماته وجمهرة من العباسيات فنثر والدها الحسن بن سهل ثلاثمائة لؤلؤة كل واحدة مثقال على المأمون وزوجته، وما مد أحد من الحضور يده لالتقاطها، ثم أمر المأمون عماته باللتقاطها، ومد يده فأخذ واحدة منها.

لقد أنفق الأب والزوج هذه الأموال الطائلة على هذا الزواج من بيت مال المسلمين، ولا يخفى على أحد أن الله قد أمر بانفاقه على المسلمين عامة لمكافحة الفقر والبؤس والحرمان.

٥ — الهبات والهدايا:

أسرف ملوك بني العباس أموالاً كثيرة على المغنين والمغنيات والمطربين والمطربات، والخدم والجواري والعملاء. فقد غنى إبراهيم بن المهدي العباسي محمد الأمين صوتاً فأعطاه ثلاثمائة ألف ألف درهم، فاستكثرها إبراهيم، وقال له: يا سيدي لو قد أمرت لي بعشرين ألف ألف درهم فقال له الخليفة: هل هي إلا خراج بعض الكور^(١).

وغنى ابن محرز عند الرشيد بأبيات مطلعها:

«واذكر أيام الحمى ثم انتن» فاستخف به الطرب فأمر له بمائة ألف درهم، واعطى مثلها للمغني دحمان الأشقر^(٢).

ولما تقلدها المهدي العباسي وزع إحدى خزانات بيت المال بين مواليه وخدمه^(٣) إلى غير ذلك من الهبات والهدايا التي صرفها ملوك بني العباس من بيت المال التي كان ملزماً شرعاً بانفاقها على المشاريع الحيوية العامة.

(١) الاسلام والحضارة العربية ج ٢، ص ٢٣١.

(٢) المستطرف ص ١٨٢ - ١٨٤.

(٣) تاريخ بغداد ج ٥، ص ٣١٣.

٦ — اقتناء الجوّاري:

كثرت الحروب وكثر معها كسب الجوّاري والغلمان في العصر العباسي وبدل أن يتجه ملوك بني العباس إلى اصلاح البلاد وتنميتها وازدهارها، فقد اتجهوا بجشع إلى اقتناء الجوّاري والغلمان والمغلاة في شرائها. فقد استقدمت بغداد الجوّاري الملاح من جميع أطراف الدنيا، فكان فيهن الروميات والحبشيات والجرجيات والشركسيات والعربيات من مولدات اليمامة ومصر والطائف والمدينة، وكلهن من ذوات الأصوات الجميلة. وكان بينهن الغانيات اللاتي يعزفن مع ما عليهن من اللباس الفاخر وما يتخذن من العصائب التي ينظمنها بالدر والجواهر، ويكتبن عليها بصفائح الذهب^(١). وقد كان عند هارون زهاء ألفي جارية، وعند المتوكل أربعة آلاف جارية^(٢)، ولما زار هارون البرامكة وأراد الإنصراف خرجت جواريهم فاصطففن مثل العسكر صفين صفين وغنين وضربن بالعود وتقرن على الدفوف إلى أن طلع مقاصير القصر^(٣).

ولا ننسى البرامكة فقد أسرفوا الكثير الكثير على الجوّاري والوصيفات، فكان عند والدته جعفر البرمكي مائة وصيفة لباس كل واحدة منهن وحليها غير لبوس الأخرى وحليها^(٤).

هذه الطبقة الثرية حارت في كيفية صرف المال الوافر فلجأت إلى هذا الترف والإسراف الذي يرفضه الإسلام وينهى عنه.

٧ — بناء الدور والقصور والبرك...

تفنن ملوك بني العباس في بناء قصورهم، فاشادوا أضخم القصور التي لم يشيد مثلها في البلاد والتي وصفها الشعراء في مدائحهم.

(١) حضارة الإسلام، ص ٩٨.

(٢) الأغاني ج ٩، ص ٨٨.

(٣) حضارة الإسلام ص ٩٦.

(٤) الجهشيار ص ٢٤٦.

فقد بنوا في العاصمة بغداد قصر الخلد تشبيهاً له بجنة الخلد التي وعد الله بها المتقين . ومن أعظم الأبنية في بغداد (الايوان) الذي بناه الأمين، وقد وصفه المؤرخون بأنه جعله كالبيضة بياضاً ثم ذهب بالابريز المخالف بينه باللازورد، وكان ذا أبواب عظام ومصاريع غلاظ تتلألأ فيه مسامير الذهب التي قمعت رؤوسها بالجواهر النفيس وقد قرش بقرش كأنه صبغ بالدم وقد نقش بتساوير من الذهب، وتمائيل العقيان، ونضد فيه العنبر الأشهب والكافور المصعد^(١) .

وقد أنفق جعفر البرمكي على بناء داره نحواً من عشرين مليون درهم^(٢) .

وهنا تبدو المفارقات الغربية في ذلك العصر بين الأغنياء المترفين وبين الفقراء المحرومين . حيث كان الكثير من أبواب الدور في بغداد كانت من الذهب في حين كان الأكثرية من أفراد الأمة تشكو الجوع والحرمان . ورحم الله القائل: ما جمع المال إلا من شح أو حرام .

ونسأل صدام حسين هل اطلع على هذه القصور وبنى مثلها؟ فهم تركوها للمغول وهو تركها للأميركان .

٨ — أثار البيوت:

ومن القصور العامرة إلى الأثاث الفاخرة .

حفلت قصور العباسيين بأفخر أنواع الأثاث في العالم يقول المؤرخون: إن السيدة زبيدة قد اصطفت بساطاً من الديباج جمع صورة كل حيوان من جميع الأجناس، وصورة كل طائر من الذهب وأعينها اليواقيت والجواهر .

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٠٩ .

(٢) تاريخ الطبري ج ١٠، ص ٩٢ .

وقالوا إنها أنفقت على صنعه مليون دينار^(١). كما اتخذت الآلة من الذهب المرصع بالجوهر، والأبنوس، والصندل عليها الكلايب من الذهب بالميلتبس بالوشي والديباج، والسمور، وأنواع الحرير، كمثل اتخاذها شمع العنبر، واصطناعها الخف مرصعاً بالجوهر واتخاذها الشاكرية^(٢).

من هنا نلاحظ التطور الفني في صناعة شتى الصناعات عامة وأدوات الزينة والزركشة والتزويق في الطبقات العليا الثرية عامة، وإلى جانب ذلك البؤس والحرمان في الطبقات الدنيا الشعبية أما عن مجالس البرامكة فحدث ولا حرج. كانت فعلاً مذهلة، فالرشيدي إذا حضر مجالس البرامكة وهو بين الآنية المرصعة والخزائن المجموعة، ومطارح من الوشى والديباج إلى جانب الجواري يرفلن في الحرير والجوهر، ويستقبلنّه بالروائح العطرية الفاخرة والغريبة، حتى يخيل إليه أنه في الجنة على الأرض بين الجمال والجوهر والطيب^(٣).

٨ — أما الثياب:

ومن نتائج ذلك البذخ والترفيه والإسراف ما ذكره ابن خلدون. إنه كانت دور في قصور العباسيين لنسج الثياب تسمى بدور الطراز، وكان القائم عليها ينظر في أمور الصناعات وتسهيل آلاتهم وإجراء أرزاقهم^(٤).

٩ — ألوان الطعام:

كانت بغداد المجمع لكل شعوب الحضارة، وملتقى النماذج المتعددة الأشكال والألوان. فتعددت ألوان الطعام بسبب تقدم الحضارة، فقد روى

(١) المستطرف ص ٩٦.

(٢) حضارة الإسلام، ص ٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٤) المقدمة ص ٢٦٧.

طيفور عن جعفر بن محمد الأنماطي أنه تغذى عند المأمون، فوضع له على المائدة ثلاثمائة لون من الطعام^(١). ونظراً لتعدد ألوان الطعام من لحوم وحلويات ومازات ومقبلات مختلفة فقد فسدت أسنانهم مما اضطرهم إلى شدها بالذهب للعلاج.

١٠ — الثروات التي خلفها الملوك العباسيون:

ترك ملوك بني العباس ووزراؤهم أموالاً طائلة لا تحصى وضيعا وقرى وأملاك كثيرة. وفيما يلي نذكر بعض ما خلفوه وراءهم:

١ — المنصور الدوانيقي^(٢).

ترك الطاغية البخيل المنصور من الأموال التي نهبها من المسلمين ما يقرب من ستمائة مليون درهم وأربعة عشر مليون دينار^(٣). كدس هذه الأموال الهائلة في خزائنه وترمد ومات، وترك خلفه الفقراء والمحرومين والمظلومين على جميع أنحاء البلاد الإسلامية.

٢ — الرشيد:

خلف من المال ما يقدر بنحو تسعمائة مليون درهم^(٤).

٣ — أم الرشيد (خيزران)

كانت غلتها ألف ألف وستين ألف درهم^(٥).

٤ — عمر بن سعدة:

هو أحد وزراء المأمون ترك ما يقرب من ثمانية ملايين دينار فاخبروا المأمون بذلك في رقعة فكتب عليها:

(١) تاريخ بغداد لطيفور.

(٢) لقب بالدوانيقي لشدة بخله.

(٣) أمراء الشعر العربي ص ٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٥) الإسلام والحضارة العربية ج ٢، ص ٢٣٠.

«هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيه»^(١).

المال في الإسلام مال الله:

يوجه القرآن نظر الإنسان إلى أن المال هو ملك الله، وأن الإنسان خليفة الله على الأرض نائب في الإشراف عنه سبحانه وتعالى وعلى الإنسان أن يطيع ربه ولا يعصيه فيما استودعه إياه. قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

فالذي يملك السماوات والأرض يملك بلا ريب ما عليها ومن عليها ولما كان الله هو الرازق للإنسان، فالناس أصبحوا مكلفين بالانفاق مما رزقهم ربهم ثم استخلفهم عليه. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْتُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).

فلا حجة لأحد لا للرشيء ولا لغيره ولا فرصة للمؤمن ليبرر نفسه ويطلب التأخير أو التأجيل. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٤).
من هذا المنطلق، على عباد الله الصالحين أن لا يتأخروا عن تنفيذ أمر الله في ماله، فهم كلفوا بنقله من مكان إلى مكان، وبدلوه اشكالا وأنواعاً، ثم تركوه لورثتهم، وهؤلاء كرروا العمل نفسه...

فتنة المال:

الصراع في سبيل تحصيل المال بلغ أشده في العصر العباسي إلى حد إبعاد الناس عن ربهم وبالتالي إبعادهم عن المثل الأخلاقية والقيم الروحية

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣١.

(٢) آل عمران، الآية: ١٨٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

العالية. الأمر الذي أدى إلى إثارة المشاكل الخطيرة والأزمات النفسية والإجتماعية القاتلة. ذلك أن الحياة عندما تتجه اتجاهاً مادياً صرفاً تصبح باردة لا معنى لها، تعشعش في أحضانها الأنانية، وتفرخ في أعشاشها المصالح الشخصية، وترحل من ديارها المحبة والحق والجمال، ويصبح الإحسان الديني في غربة تامة.

والإحسان الديني غاية العباد الصالحين لأنه يضع المحسن في حضرة باستمرار، وجهاً لوجه، يسلم أمره بارتياح واطمئنان.

ومن الإحسان الديني الإحسان الأخلاقي وهو وسيلة لبلوغ غاية واقترانها أمر ضروري ليستولد منهما الصلاح الإجتماعي.

وما نعني بالصلاح الإجتماعي؟

إنه اقتران الخير بالحق واقترانها معاً بالجمال. والجمال ذوق وحرية والخير نفع والتزام، والحق معرفة واحترام، واجتماع الاقانيم الثلاثة ينتج الإنسان المثالي، الإنسان المتعالي عن المادة والمتسلح بالمعرفة والإيمان. فلتبتعد عن عبادة المال وعبد الله وحده لا شريك له^(١).

ولهذا توجهت تعاليم القرآن إلى التخفيف من شرور المال وبيان أضراره، وحذر الناس من الإنقياد الكلي للمال الذي يفتنهم عن دينهم ويبعدهم عن ذكر الله. قال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين ﴿رِجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا كِبَرٌ وَلَا يَتَّبِعُهُمُ الْغَىْظُ وَلَا يَشْوَاهُمُ الْمُنْذِرُونَ إِذْ يَقُولُونَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَبِأَنَّهُ يُغْنِي عَنْهُمْ كِفْلَهُمْ لَا يَتَمَنَّوْنَ الْفُلُوكَ وَالْأَبْصَارَ﴾^(٢).

والحقيقة أن المال هو امتحان واختيار للبشر في حياتهم الدنيوية ماضياً

(١) قال السيد المسيح: لا تعبدوا ربي الله والمال.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

وحاضراً حيث كان ولم يزل وسيلة إلى الخير عند بعض الناس وإلى الشر عند البعض الآخر .

وأظن أنه اشتق من فعل (مال) أي بدل وغير وحاد عن الطريق السوي، فقد يميل قلب الأخ عن أخيه^(١) . والإبن عن أبيه . . وقد يميل معه الضمير المهني، والضمير الإجتماعي، والضمير الديني والضمير الأدبي فيحدث بين الناس الحقد والبغضاء والأناية قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَلَكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ قِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٢) .

وقد ذم الله طغيان المال لماله من تأثير سيء على النفس الإنسانية لأن النفس متى أحست بالقدرة وقبضت على ناحية الثروة قد تخرج عن الحدود الإنسانية المشروعة . لذلك أراد الله أن يرد النفوس عن طغيانها، ويخفف من جبروتها فذكر الإنسان بضعفه وحقيقة خلقه . قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٌ ﴿٦﴾ إِنَّ رَأَاهُ اسْتَفْقَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾﴾^(٣) .

كما حرم الإسلام كنز المال لأن ذلك يمنع التبادل الإقتصادي والاستفادة منها في استثمار الموارد الإقتصادية المختلفة لزيادة الدخل الوطني . قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّوكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٤) .

فالإسلام يرمي إلى ايجاد نظام الملكيات الصغيرة ليقى أفراد المجتمع طغيان رأس المال، وليسعف الطبقة المحتاجة .

(١) كما حصل بين المأمون والأمين .

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٨ .

(٣) سورة العلق، الآيات: ٦ - ٨ .

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٤ .

من هنا كان نظام الخمس والزكاة في المال الإسلامي أقامه الإسلام على معيار وقانون أخلاقي .

والتاريخ يعيد نفسه ففي عصرنا اليوم الكثير من أمثال المهدي والرشيد والمأمون... وهؤلاء أيضاً تركوا الدور والقصور وما المال والمتاع والقصور وغيرها إلا متاع زائل ينتهي ويفنى على حين أن العمل الصالح والخير والحق أفضل وأبقى . قال جلّ وعلاً : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴾ (١) .

والأمة التي يتفشى فيها البخل تنهار روح التعاون بين أفراد المجتمع ويبدأ الإنحلال ينخر في جذع شجرتها .

ولو كان يعلم البخل ذل نفسه ونفور القوم منه نتيجة شحه لتراجع عن بخله . ذلك إن جمع المال مع عدم الإنتفاع به ضرب من الفقر أشد وقعاً على قلوب البخلاء من فقر المعوزين قال تعالى : ﴿ هَذَا نَسَمَةٌ هَذِهِ تَدْعُونَ لِنُفْسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (٢) .

وفي هذا المجال يذكرنا شاعر الحكمة المتنبي بقوله :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

عالمنا اليوم بحاجة إلى ثقافة روحية:

عالمنا (اليوم)، عالم المادة والآلة والأنانية، هو بحاجة ماسة إلى ثقافة روحية تزرع في نفوس الناس أخلاقاً نبيلة سامية تبعدهم عن الالتصاق بالطين الذي جبلوا منه ويرجعون إليه بعد حين .

(١) سورة آل عمران . الآية : ١٤ .

(٢) سورة محمد، الآية : ٣٨ .

إن الرقي المادي التكنولوجي الذي وصلنا إليه في هذا العصر لم يؤت ثمرته الفعلية من إسعاد الناس . فقد جلب لهم التعاسة والخراب والحروب المدمرة والجشع . فالقوي يفترس الضعيف^(١) والغني يستغل الفقير ، وشريعة الغاب هي الفصل .

والاستعمار وجد الأرض الخصبة عندنا ليحرب سلاحه المدمر وينشب مخالفه في صدورنا الضعيفة وقلوبنا الخالية من المحبة والإيمان . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خلو الحضارة المادية من القيم الروحية البعيدة كل البعد عن الشريعة الإسلامية . قال السيد عيسى المسيح :

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .

إن الكمال الروحي لا يتقيد بالتقدم المادي ، وإنما هو جوهر أبدي كامن في نفوسنا سواء كنا متأخرين في الرقي المادي أم متقدمين .

والواجب أن نبحث في أرواحنا ما استطعنا عن هذا الجوهر الأبدي ، أن نبحث عن مظاهره فينا ، وعن قواه المشتركة بيننا وبين الآخرين ، وعلى قدر احساسنا بهذه القوى يكون اتجاهنا نحو الكمال .

فبالعقل والروح ، أي بالعلم واصلاحياته المبتكرة ، وبالنفس وفضائلها الأبدية يستطيع الإنسان أن يبني بفرح واطمئنان حضارة المستقبل .

إن هذا الجوهر الأبدي : الطيبة والرحمة والمحبة والإيثار والتضحية ، والعلم واصلاحياته المبكرة ، والنفس وفضائلها الأبدية ، وحضارة المستقبل السعيد كل ذلك أوصى به الإسلام ، وحرّض عليه الله في كتابه العزيز القرآن الكريم ، وفصلته السنة النبوية الشريفة .

(١) كما يحدث الآن في العراق الشقيق الجريح الذي جعلوه حقل تجارب للصواريخ والقنابل . . .

هذه القيم الروحية الإنسانية جاء بها الإسلام ليكفل الإستقرار والإسلام
والإخاء والعدالة الإجتماعية لجميع شعوب الأرض . ومما يؤسف له أنها ما
زالت مجهولة عند كثير من مفكري الإنسانية .

وسوف يدرك الجميع إن الإسلام هو سلم وسلام وهو دين الإنسانية . .
فهل نعمل اليوم بوحى اسلامنا؟ وهل نطبق أحكام شريعتنا الموضوعة من
قبل الله عز وجل وهي الثابتة والمستمرة لأنها تراعي المصلحة العليا للإنسان
في كل زمان ومكان بعيداً عن القبلية والأنانية والمزاجية والمصلحة
الشخصية من هنا كانت ديمومة الإسلام ومحبة الناس له ، ومن هنا كان
انتشاره السريع على أرض الله الواسعة ، ومن هنا كان رأي أكثر علماء
الغرب المعتدلين وعموم علماء الشرق المؤمنين في صلاحية الإسلام للتقدم
الحضاري والتطور الإنساني^(١) .

التقشف والزهد: رد فعل لحياة اللهو والمجون .

إلى جانب حياة اللهو والطرب والمجون التي عاشها الناس في عصر
الإمام أبي جعفر عليه السلام فقد كانت هناك طائفة من الناس قد اتجهت إلى الزهد
والتقشف، ونظرت إلى مباحج الحياة نظرة زهد واحتقار، من بين هؤلاء
نذكر:

إبراهيم بن الأدهم وهو ممن ترك الحياة الناعمة وأقبل على طاعة الله .
وكان يردد دائماً هذا البيت:

اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً
وكان يلبس في الشتاء فروة ليس تحتها قميص^(٢) مبالغة في الزهد وكان
ممن عرف بالتقشف أيضاً معروف الكرخي . فكان يبكي وينشد في السحر:

(١) راجع محمد عند علماء الغرب للشيخ خليل ياسين .

(٢) حلية الأولياء ج٧، ص٣٦٧ .

أي شيء تريد مني الذنوب
شغفت بي فليس عني تغيب
ما يضر الذنوب لو أعتقتني
رحمة بي فقد علاني المشيب^(١).
ومن زهاد ذلك العصر:

بشر بن الحارث وهو القائل:

قطع الليالي مع الأيام في خلق
والقوم تحت رواق الهم والقلق
أحرى وأعذر لي من أن يقال غداً
إني التمسيت الغنى من كف مختلف
قالوا: قنعت بهذا؟ قلت القنوع غني

ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري
فلمست أسلك إلا أوضح الطرق^(٢).

ومن الطبيعي أن هذه الدعوة إلى الزهد إنما جاءت كرد فعل لإفراط
ملوك العباسيين والطبقة الرأسمالية العائمة في الثراء والمجون وعدم العفاف
عما حرم الله من الملاهي والردائل والمحرمات.
وكما قال الحكماء: عش مسلماً تعش سالماً سليماً.

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨١.

(٢) صفة الصفة، ج ٢، ص ١٨٩.

الثورات في عهد الإمام الجواد عليه السلام

منذ وضعت حرب الإمام الحسين عليه السلام أوزارها، لم تنزل الثورات العلوية والانتفاضات الشيعية، تتأجج وتشتعل بين الحين والآخر كلما سنحت الفرصة بذلك، وكلما برز قائد ناهض يساعد على ذلك. والسبب واضح ومعروف:

- استمرار دور الأئمة وحكمهم التغييرية داخل الأمة أولاً.

- استمرارية تسلط الحكومة الجائرة اللاشرعية على رقاب المسلمين، وانتشار الفساد الإداري والاجتماعي والتعسف والجور.

لكن تحت تأثير القسوة التي أبدتها المأمون العباسي والدهاء الذي أظهره من خلال تسليم ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام أصبحت الأوضاع السياسية في حالة شبه مستقرة، واستحالت الثورات وكل تحرك ضد سلطته القائمة إلى رماد، ولو أنه كان يخبىء تحته ناراً. ثم يخيم وجوم شيعي علوي يدوم بضع سنوات والناس في حيرة مما سيفعله المأمون بالإمام الجواد ابن الإمام الرضا فيبين شك ومصدق وهو ما أراد المأمون من مناورة الاستدعاء للإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد ثم تزويجه من ابنته وإسكانه بالقرب منه لتسهيل عليه مراقبته. واستمر الحال على هذا المنوال والإمام الجواد يمارس دور الإمامة ومهامه الكبرى بأناة وترو وصبر.

١ — انتفاضة أهل قم:

مهما غالى العباسيون تجاه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم لم يستطيعوا منع ظهور حركات وثورات ضد التعسف والجور العباسي. من هذه الانتفاضات انتفاضة أهالي قم عام (٢١٠هـ) ومعلوم عند الجميع تشييع القميين وولاؤهم لأهل البيت عليهم السلام. لقد تبرموا من كثرة ما يدفعون من خراج السلطان الذي فرض عليهم المبالغ الطائلة إذ كانت تقدر بنحو مليوني درهم سنوياً. طلبوا من السلطة تخفيفه أسوة بغيرهم. رفع طلبهم إلى المأمون فرفض إجابتهم عندها امتنعوا من أداء خراج هذا العام.

فثاروا وخلعوا واليهم وطردوه، ونجحوا في السيطرة على البلد، ولو استمر نجاحهم لتغير الحال إلى وضع لا تحمد عقباه بالنسبة للسلطة المركزية.

لكن المأمون الحريص جداً على الأمن تدارك أمرهم بعلي بن هشام على رأس جيش أتبعه بآخر بقيادة عجيف بن عنبسة.

التقى الطرفان في معركة غير متكافئة بالعدة والعدد حتى ظفر علي بن هشام بالقميين وقتل رئيسهم يحيى بن عمران، فهدم سور المدينة وفرض عليهم بدل المليونين سبعة ملايين درهم سنوياً، جباها منهم في سنته^(١).

٢ — ثورة اليمن:

بعد سيطرة المأمون على جميع شؤون الدولة الداخلية المترامية الأطراف، تندلع ثورة في منطقة بعيدة من أقاصي المملكة في اليمن بقيادة عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام سنة (٢٠٧هـ) وكان ذا مركز مرموق، فالتف حوله خلق كثير من

(١) تاريخ الطبري ج ٧، ص ١٨٤ والكامل في التاريخ ج ٥، ص ٤٨١.

شيعة أهل اليمن ومن غيرهم ممن ضاقوا ذرعاً من جور العباسيين وولاتهم .
وسرعان ما سيطرت الحركة على البلاد لتعاطف جماهير الأمة معها .

ثم تتسارع أنباء الثورة إلى بغداد عاصمة الخلافة، فيسرع المأمون
بتجهيز جيش كبير بقيادة دينار بن عبد الله ويرسله إلى اليمن لمساعدة والي
اليمن محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن أبيه لقمع الثورة^(١) .

وكتب مع قائد الجيش كتاب الإيمان . علم عبد الرحمن أن لا يستطيع
المقاومة، وكتاب الأمان . . .

عندئذ لم يجد بداً من تسليم نفسه على شرط الكتاب فقبض عليه وأرسل
إلى بغداد .

غضب المأمون على الطالبين ومنعهم من الدخول إلى مجلسه، ثم
أجبرهم على لبس السواد العباسي بدل الخضرة الطالبية .

وكان محمد بن إبراهيم الزياتي أشد الناس بغضاً لعلي بن أبي طالب
وأهل بيته، فأوقع بالعلويين وأنصارهم وقتل شيعتهم وفرق جمعهم واجتاح
مناطق تواجدهم وأخذ يوسع منطقة نفوذه حتى تم له الإستيلاء على أغلب
البلاد اليمنية^(٢) .

ثورة محمد بن القاسم العلوي:

تعد من أهم الثورات العلوية الشيعية التي حدثت في زمن الإمام
الجواد عليه السلام وهي ثورة علي بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي
طالب . الملقب بالصوفي للبسة ثياب الصوف والمكنى بأبي جعفر، كان من
أهل العلم والفقه والدين والزهد . وقد تبعه عدد كبير من وجوه الزيدية

(١) تاريخ الطبري ج ٧، ص ١٦٨ . والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٥، ص ٤٦٨ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٤، ص ٢١٧ .

كيحيى بن الحسن بن الفرات الحريري، وعباد بن يعقوب الرواجي، وكانوا يدعون الناس إليه حتى تبعهم خلق كثير في مدة يسيرة، وتمت سيطرته على الطالقان مدة أربعة أشهر.

ولما بلغ خبره عبد الله بن طاهر وجه إليه الجيوش الجرارة بناحية الطالقان وجبالها فجرت هناك عدة معارك أنهزم فيها أخيراً محمد وأصحابه وتفرقوا في النواحي والآكام، ولجأ محمد إلى (نسا) فوشي به هناك وألقي عليه القبض، وقيد بالحديد وأرسل إلى عبد الله بن طاهر، فأرسله هذا بدوره إلى المعتصم في (سر من رأى) فأدخل عليه في مجلس شرايه ولهوه في ١٥ ربيع الثاني سنة (٢١٩هـ) وكان يوم نوروز فأوقفه المعتصم حتى فرغ الغلمان من اللعب والراقصات من الرقص، وكانت كؤوس الشراب تدار أمام مرأى التقي الورع محمد بن القاسم ولما رأى هذا الوضع بكى ثم قال: اللهم إنك تعلم أنني لم أزل حريصاً على تغيير هذا وانكاره ثم أمر به المعتصم في حبس في سرداب ضيق كاد أن يموت فيه، ثم أمر بإخراجه وإيداعه في سجن في بستان.

ولما كان ليلة عيد الفطر احتال محمد بطريقة فهرب بها من السجن وغاب عن الأنظار ولم يعرف له خبر بعد ذلك وقيل أنه رجع إلى الطالقان فمات بها.

وقيل إنه توارى أيام المعتصم والواثق وأخذ في أيام المتوكل فحبسه حتى مات في سجنه، ويقال أنه دس إليه سمّاً فمات منه^(١).

٤ — ثورة أبي السرايا:

تعد ثورة أبي السرايا من أعظم الثورات الشعبية التي حدثت في عصر الإمام أبي جعفر عليه السلام وقد استهدفت القضايا المصيرية لجميع الشعوب

(١) مقاتل الطالبين ص ٤٦٤ وتاريخ الطبري ج ٧، ص ٢٢٣ ومروج الذهب ج ٤، ص ٦٠ -

الإسلامية والتي رفعت شعار الدعوة إلى (الرضا من آل محمد ﷺ) الذين كانوا هم الأمل الكبير للمحرومين والمضطهدين، وكادت أن تعصف هذه الثورة بالدولة العباسية، وقد استجاب لها معظم الأقطار الإسلامية، وكان قائدهم الملهم أبو السرايا رجل حنكته التجارب وهذبه الأيام بما يملك من عقل كبير متنور ومرونة كبيرة حتى استطاع بمهارته أن يجلب الكثير من أبناء الإمام موسى بن جعفر ﷺ ويجعلهم قادة في جيشه، مما أوجبت اندفاع الجماهير بحماس بالغ إلى التأييد والانضمام إليها، إلا أن المأمون قد استطاع بمهارته السياسية الفائقة أن يقضي على هذه الحركة، ويطفىء نارها في مهدها قبل أن تولع. حيث جلب الإمام الرضا ﷺ إلى خراسان وأرغمه بالقوة على ولاية العهد، وبهذا يكون قد أظهر للمجتمع الإسلامي أنه علوي الرأي، ثم شرع يرفق بالعلويين حيث أوعز إلى جميع أجهزة الدولة بانتقاص معاوية والحط من شأنه وتفضيل علي بن أبي طالب أمير المؤمنين على جميع صحابة النبي ﷺ فاعتقد الجمهور عامة بأنه من الشيعة، واستطاع بهذا الأسلوب الماكر أن يتغلب على الأحداث وتخدم نار ثورة أبي السرايا لقد عاش الإمام أبو جعفر محمد الجواد ﷺ معظم حياته في عهد المأمون، ولم يلبث بعده قليلاً حتى وافاه الأجل المحتوم.

وقد زوجه المأمون ابنته أم الفضل، ووفر له العطاء الجزيل وكان يصرح أنه يبغى بذلك الأجر من الله، وصلة الرحم التي قطعها آباؤه. ولا يخفى على الإمام وعلى جماعته إنما كان ذلك لدوافع سياسية صرفة.

فلا بد بعد هذا من وقفة قصيرة لنا عن الوقوف على حياة المأمون واتجاهاته الفكرية والعقائدية، والنظر فيما صدر عنه من اهتمام وتكريم للإمام الجواد ﷺ رياءً ونفاقاً.

التشيع وحكام العصر

لقد واجهت هذه الطائفة خطراً هاماً وعاصفة هوجاء عاتية من خارج
كيانها، وهي من شأنها - لو تمكنت منها لقلعتها من جذورها، ولرمت بها
في متاهات الغموض والانقراض كما كان الحال بالنسبة للفرق الأخرى،
التي لم تستطع الصمود طويلاً، حتى تلاشت أمام ما هو أقل وأضعف مما
واجهته الطائفة الشيعية.

ومما يزيد الأمر خطورة وتعقيداً، ولاسيما بالنسبة للعامة من الناس،
هو ذلك الانفتاح الواسع لأرباب الملل والنحل والمذاهب، والإهتمام
بطرح المسائل العقائدية والفكرية والمحاولات الجادة من كل طرف لالقاء
الشبهات بعضهم على بعض، ووضع علامات استفهام كبيرة حول كل ما
تربط بعقائد الفئات الأخرى وأفكارهم وتصوراتهم. ذلك أن تلك الفترة
كانت فترة نضج وتبلور، ثم تكريس للأفكار والمذاهب التي يمكنها أن تثبت
جدارتها في مقابل غيرها، ثم تفرض هيمنتها بالتالي وقدرتها على استقطاب
القطاع الأكبر من الناس.

ومن المعلوم أن حقيقة التشيع مضاد لمبادئ وأفكار الحكام آنذاك،
لأن أساس التشيع قائم على الإعتقاد:

بالإمامة والذي يعني أن كل حاكم سواهم عليه السلام هو ظالم معتد تسلم

الخلافة بطريقة غير شرعية على غرار الملوك وهذا يعني أنه عاص على الله وعلى رسوله، وعندها لا بد من محاربه وإسقاطه بأي طريقة.

وهذا بالطبع يحرك الحكام ضد كل شيعي أو من يميل إلى التشيع، حيث يرون أن الصراع مع الشيعة هو صراع وجود أو فناء وحياة أو موت.. . ولهذا السبب نجد الحكام يلاحقون الشيعة تحت كل حجر ومدبر كما أنهم يسعون بكل حيلة ووسيلة لإبطال أمر الإمامة وبدأ التشكيك فيها وإثارة الشبهات حولها.. .

ولأجل ذلك: فإن من الطبيعي أن لا يكون الحكام آنئذ بمنأى عن ساحة الصراع العقائدي والفكري، بل كانوا يترصدون لها بدقة ومهارة. وكانوا يرون أن عليهم أن يهتموا بهذا الأمر اهتمامهم بوجودهم وحياتهم ومستقبلهم.. . فلا بد من أن يعملوا تارة بالعلن وأخرى بالخفاء على تقوية وتنشيط ذلك الفريق لأن في هذا التعامل ضماناً أكيدة وحقيقية لمستقبلهم بجميع حالاته وتقلباته.

وأول من تنبه إلى هذا الأمر المأمون العباسي الذي كان يتميز عن غيره من الحكام بالحنكة والدهاء، وأبعدهم نظراً في السياسة وأسرارها، فوجدوا أن الظهور بمظهر المشجع والمناصر للفكر والعلم، والمدافع عن حرية الكلمة وقدسيتها، أمراً يخدم قضيتهم ووجودهم في الحكم بصورة عامة.

ولا يخفى ما كان وراء هذا الستار الزائف الكثير من الخداع والتضليل، والكثير من التزوير والتزييف لكثير من الحقائق التي تخالف سياستهم ولا تخدم مصالحهم^(١).

(١) والذي يثير الانتباه هو تناقضهم في مواقفهم، ففي الوقت نفسه الذي كانوا يتظاهرون فيه بتشجيع الفكر والعلم فإنهم يفرقون تلامذة الرضا في الآفاق ويمنعون ابن عباس من الكلام والتفسير.

ففي هذه الحالة وجد المأمون المحنك بالسياسة وأحاييلها وأنشط
الحكام العباسيين بالمكر والدهاء، من أولى اهتماماته بالمعتزلة .
لأن المعتزلة كانوا في تلك الفترة بالذات في أوج نضجهم وتكامل
مدرستهم من الناحية الفكرية .

المعتزلة:

رأى الحكام العباسيون أنثذ: أن من مصلحتهم الخاصة تأييدهم
المعتزلة، والشد على أزر علمائهم وتنشيطهم في حركتهم المعتمدة على
العقل، وذلك حتى يستفيدوا من نفوذهم وسائر ما يملكون من قدرات،
مادية ومعنوية في مجال ترسيخ وتثبيت خطهم، وضرب الفئات الأخرى بهم
وبصورة خاصة فكرة الإمامة والتشيع . .

ففي اعتقادهم أنهم قد يحطمون نفوذها ويزعزعون موقعها من خلال
المعتزلة .

وخط الإعتزال هذا: يكاد يكون متطرفاً إلى حد كبير في اعتماده على
العقل وأحكامه، ورفض كل ما لا يتوافق معه، فكانوا يعتمدون القياس
المرفوض عند الشيعة الإمامية، والمعارض لأحكام الشريعة الإسلامية،
حيث كانوا يقيسون النصوص الدينية كلها على العقل، فما أيده بشكل
صريح قبلوه، وما عداه رفضوه وردوه، أو تصرفوا به وأولوه على منوالهم . .
والمقصود بالعقل هنا: هو عقولهم هذه القاصرة عن الوصول إلى
حقائق الأمور، والتي تعتمد على وسائل إدراك تبقى محدودة المجالات،
لأن عقولهم هذه لا تملك أية ضمانات من أن تتعرض للقهر والابعاد من قبل
سلطان الهوى، ونوازع الشهوة وطغيان العاطفة والغريزة . . .

الشيعة:

تعتبر الشيعة الإمامية من أشهر الفرق وأعرقها، وأبلغها حجة، وأشدّها

في الصراع الفكري . ولقد بلغ من عظمة دعوتها أن السلطة العباسية اضطرت للتعامل مع قائدها وزعيمها الإمام الرضا عليه السلام الذي اغتالته بالسم، بذلك الأسلوب الخاص والفريد من نوعه . وذلك بالبيعة له بولاية العهد، حتى إذا رأوا أنهم قد فشلوا في تحقيق مقاصدهم، بادروا إلى التخلص منه بالطريقة المألوفة عندهم، وهي دس السم^(١) .

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على قوة الحجة عند الأئمة الأطهار، ثم على مدى قوة ونفوذ طائفة الشيعة الإمامية، وتأثير كلمتها وآرائها في الناس، في أفكارهم وعواطفهم ومواقفهم .

والملفت أن سائر الفرق، أصبحت ترى فيها: أنها أقوى منافس فكري عقائدي لها . لأنها كانت تقدم الحجة الواضحة، والدليل البين، واعتقد أنه لو فسح لها المجال لكتسحت الساحة واستقطبت مختلف قطاعات الأمة الإسلامية، بما تملكه من فكر أصيل وموقف وحيد قوي وأصالة متجذرة في أعماق العقل والفطرة والوجدان . وهذا يعني: أن أي حدث عقائدي فريد من نوعه، وخطير تتعرض له الشيعة بالذات . . . كضرورة الإمامة إلى من هو في سن السبع أو الثمان سنوات . . . لسوف يلفت أنظار خصومها، ويشد عقولهم إليه، وسوف تطريهم السلطة وطبيعة الحدث معاً، بالاستفادة من هذه الحالة العارضة، لشن هجوم عنيف، يستهدف الفكر العقائدي للشيعة الإمامية في الصميم .

والواضح أن مثل هذا الهجوم يريح السلطة الحاكمة ويثلج صدرها، ولن تدخر وسعاً في المساعدة عليه، وخلق الظروف الملائمة والمنشطة لتحقيق أكبر قدر ممكن من النجاح له . . . لأنه ينسجم تماماً مع اطروحتها للتخلص من الفكر العقائدي للشيعة، ومحوه تماماً من الوجود . وإذا ما أتيح

(١) تعلموا هذه الطريقة من معلمهم معاوية الذي قال: «إن لله جنوداً من عسل» .

للسلطة ذلك، فإن جميع فرص النجاح على الصعيد العام يتاح لهم. وبهذه الحالة يتاح لهم الحلم بمستقبل زاهر، يحقق لهم معه كل الامتيازات والمكاسب، دونما حسيب أو رقيب، ودونما منازع خطير يهدد مستقبلهم السياسي والعائدي على حد سواء..

فرصة للتشكيك والشبهات:

إن معاصرة الشيعة لتلك النهضة الفكرية القوية جداً منذ بدايتها، ولمدة طويلة، في أعظم الأمور حساسية: هو أمر الإمامة والقيادة.

وهو أمر مثير للإنتباه يشير للخصوم بأن الشيعة هم في أشد حالات الضعف والوهن - بنظرهم - المتمثل: في صغر سن الإمام الجواد عليه السلام ثم الإمام الهادي عليه السلام ثم الإمام المهدي الحجة المنتظر صلوات الله عليهم جميعاً.

وقد استمرت هذه الحالة لسنوات كثيرة ترافق ذلك التجارب الفكري الذي من شأنه أن يهيء الفرصة السانحة لطرح ما أمكنهم من الأسئلة التشكيكية، وإثارة كل ما يقع تحت أيديهم من الشبهات في أعظم قاعدة دينية، تبذل دونها المهج وتهرق من أجلها اللجج حتى يقول الشهرستاني: «وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذا ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية، مثل ما سل على الإمامة في كل زمان»^(١).

وقد تخيلوا وتوهموا أن الإحراج والمضايقة سيجران الشيعة الإمامية إلى الإنسحاب من الساحة لتقع في زوايا الإهمال والضياع، وينتهي أمرها كما انتهى أمر كثير غيرها من الفرق الأخرى إلى التلاشي والإضمحلال.

(١) الملل والنحل، ج ١، ص ٢٤.

الشيعة والعقل:

نعود فنكرر أن الشيعة الإمامية تهتم بالعقل وأحكام العقل إلى حد كبير، وان جميع قضاياها وأحكامها قد دل عليها الدليل القاطع والبرهان الساطع. وأنها منسجمة كل الإنسجام مع الفطرة السليمة، وحكم العقل الصريح الذي يرضاه الوجدان الصحيح. . . . والشيعة تفخر بهذا الأمر على كل خصومها، مؤكدة تأكيداً جازماً أنها لا تحيد عن هذا الخطر أبداً، ولا تتنازل عنه البتة مهما كانت الظروف أيأ كانت النتائج. وهي كانت وما زالت حتى اليوم متمسك بحقها الثابت المبني على العقل الصريح والفطرة السليمة والوجدان الصحيح. . . .

الشيعة موجودة في كل المواقع:

يعيش الشيعة في قلب مقر الخلافة، حيث العاصمة العلمية والثقافية، والقلب النابض بالحركة والحياة والحيوية. . . بل هم موجودون في كل موقع فيه العلم، والفكر، والمعرفة والثقافة.

وهم ليسوا معزولين في الأصقاع النائية، ولا يخفون شيئاً من عقائدهم وأفكارهم، ولم يتركوا شيئاً من ذلك إلا أعلنوا عنه وصرحوا به، ولم يكن عندهم شيء في الخفاء وقد كان الإعلام والعلماء من الشيعة لا يزالون يحاورون جميع خصومهم بالدليل القاطع والحجة الدامغة، انطلاقاً من العاصمة، دار الخلافة، ووصولاً إلى كل ناد ومجتمع، بل إلى كل بيت يعيش فيه العلم والمعرفة والثقافة، ويتعاطى كل قضايا العقيدة السليمة والإيمان الراسخ الصحيح. وكانوا وما زالوا حتى اليوم منفتحين على جميع الفرق والمذاهب بكل ما عندهم من صراحة ولا يخافون في الله لومة لائم. . . .

المرحلة المصرية:

إن لاجتياز الشيعة المرحلة المصرية البالغة الحساسية وتمكنهم من ربح المعرفة الفكرية، وحفظهم لدورهم الطبيعي على الصعيد الفكري العام، وعلى صعيد الواقع فإنهم قد يبرهنون بشكل قاطع ونهائي على حقانيتهم، وإثبات جدارتهم، ليس فقط بالنسبة للجيل الذي عاصر الحدث وعاش تلك الإنطلاقة الفكرية في أوج قوتها . . . وإنما هو الدعامة الكبرى للأجيال الناشئة التي تأتي فيما بعد الذين يعيشون الفكرة ويتمسكون بها طوال حياتهم والسبب في ذلك . . . أن انتصار الشيعة في هذا الظرف بالذات، قد جاء على خصوم أشداء في أفضل حالاتهم وأقواها ولا سيما من الناحية السياسية والفكرية والمجالات الأخرى العديدة.

استفاد الشيعة من هبة الدولة العباسية القوية عسكرياً واقتصادياً ونفوذاً في المحيط العربي، وكانت أعظم نشاطاً ثقافياً ومخابراتياً، ويحكمها أعظم خلفاء بني العباس في العلم والدهاء وفي السياسة والمكر . . .

لقد مر الشيعة في أدق مرحلة وأخطرها، فواجهت خصومها وهم في أقصى درجات القوة، وهي في أشد حالات الضعف مع عدم وجود ما يمنع من الإحتكاك المباشر والصريح، وأبراز كل ما يملك أولئك من قدرات وطاقات واندفاع غير عادي للانقضاض عليها وتمزيقها.

ولقد استطاعوا ذلك بتمسكهم بعقيدتهم واستفادتهم من أخطاء غيرهم.

ظاهرة الإمامة البكرية في مدرسة أهل البيت

يشكل وجود الإمام الجواد برهاناً واضحاً على صحة عقيدة أهل البيت في الإمامة. وأن ظاهرة تولي شخص في سن الطفولة لمنصب الإمامة وما يرافقها من إمكانات وشؤون يقدم لنا دليلاً قاطعاً على سلامة هذه العقيدة التي يتميز بها مذهب أهل البيت عما سواه من المذاهب في قضية الإمامة باعتبارها منصباً ربانياً لا يكون على أساس الترشيح والانتخاب البشري وإنما يكون على أساس التعيين والمنصب الإلهي لشخص تجتمع في شخصيته كل عناصر الكفاءة والقدرة الحقيقية لإدارة هذا المنصب الرباني من قيادة فكرية وعلمية ودينية وعملية للمؤمنين بإمامته.

أجمع المؤرخون على أن الإمام الجواد قد توفي أبوه وعمره لا يزيد على سبع سنوات، وتولى منصب الإمامة وهو في هذه السن من سني الطفولة.

وهذه الظاهرة هي أول ظاهرة من نوعها في حياة أئمة أهل البيت ولو درسنا هذه الظاهرة على أساس المعايير الإلهية من جانب والوقائع التاريخية لوجدناها كافية لوحدها للإقناع بحقانية مدرسة الإمام الجواد وخط أهل البيت الذي كان يمثله الإمام الجواد.

إذ يمكن أن نفترض فرضاً آخر غير الإمامة الواقعية الربانية في شخص لا يزيد عمره عن سبع سنين ويقوم فعلاً بقيادة وهداية هذه الطائفة في جميع المجالات الروحية والدينية والفكرية والفقهية .

إن الإمام الجواد بدعوته الإمامة المبكرة وتحديه لكل من وقف أمامه، وصموده أمام كل الاثارات والتساؤلات والاختيارات شكل دليلاً تاريخياً علمياً قاطعاً على حقانية دعواه ومذهبه، وخطه هو خط أهل البيت الذي كان يمثله الإمام الجواد عليه السلام في مجال إمامة المسلمين وزعامة الأمة الإسلامية التي بدأت بالقيادة النبوية، تلك الأمة التي خلفها الرسول الأكرم لتتكامل وتؤسس الحضارة الإسلامية على أساس التهيئة وقيم ثابتة لا تتغير مع تغير الزمان والجماعات .

الإمام الجواد يعالج ظاهرة التشكيك بإمامته:

قام الإمام الجواد بأعباء الإمامة الشرعية للأمة الإسلامية وهو لما يبلغ الحلم على نحو ما حدث لعيسى بن مريم عليه السلام حيث أوتي النبوة وهو في المهد فتكلم في سريرة وشفى الأبرص وأحى الميت بإذن الله .

لقد أوجدت هذه الظاهرة حالة من التساؤل لدى البعض من الموالين لأهل البيت عليهم السلام والمعتقدين بامامتهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

لكن الإمام الذكي الموهوب استطاع أن يدحض هذه التشكيكات فأجاب على كل التساؤلات الخفية والمعلنة بما أوتي من فضل ربه من علم رباني وحكمة نبوية .

وأما التساؤلات فقد تم حسمها من خلال الأحاديث النبوية والإشارات التي صدرت عن والده الإمام الرضا عليه السلام فانتشرت بين مقربيه والرؤساء والقوى الموالية لأهل البيت عليهم السلام في البلدان كمصر والحجاز والعراق وبلاد

فارس والإمام الجواد نفسه قد قام بنشاط ملحوظ لتبديد تلك الشكوك التي أثرت بشكل أو بآخر بعد وفاة الإمام الرضا عليه السلام .

١ - أورد السيد المرتضى عليه السلام أنه لما قبض الرضا عليه السلام كان سن أبي جعفر نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمة بين الناس في بغداد وفي الأمصار، واجتمع الريان بين الصلت، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمن بن الحجاج، ويونس بن عبد الرحمن، وجماعة من وجوه الشيعة في دار عبد الرحمن بن الحجاج في (بركة زلول) يتوجعون من المصيبة، فقال لهم يونس: دعوا التوجه والبكاء! من لهذا الأمر! وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا؟ يعني أبا جعفر عليه السلام .

فقام إليه الريان بن الصلت، ووضع يده في حلقه، ويقول له: أنت تظهر الإيمان لنا وتبطن الشك في قلبك .

كان أمره من الله جل وعلا فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه، وإن لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة فهو واحد من الناس، هذا مما ينبغي أن يفكر فيه، فاقبلت الجماعة عليه توبخه وتعذله .

وكان يوم الموسم فاجتمع فقهاء بغداد والأمصار وعلماءهم ثمانون رجلاً، فخرجوا إلى الحج، وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام . أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنها كانت فارغة ودخلوها وجلسوا على بساط كبير، وخرج إليهم عبد الله بن موسى، فجلس في صدر المجلس وقام مناد وقال:

هذا ابن رسول الله فمن أراد السؤال فليسأله .

فسئل عن أشياء أجاب عنها فورد على الشيعة ما حيرهم .

واضطرب الفقهاء، وهموا بالإنصراف، وقالوا في أنفسهم: لو كان أبو جعفر عليه السلام يكمل لجواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان، ثم فتح عليهم باب من صدر المجلس: ودخل موفق وقال: هذا أبو جعفر فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلموا عليه. فدخل الإمام الجواد عليه قميصان وعمامة بذؤابتين وفي رجليه نعلان وجلس وأمسك الناس كلهم. فقام صاحب المسألة، فسأله عن مسأله، فأجاب عنها بالحق، ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا:

إن عمك عبد الله أفتى بكيت وكيت فقال: «لا إله إلا الله يا عم إنه عظيم عند الله إن تقف غداً بين يديه فيقول لك:

لِمَ تفتي عبادي بما لم تعلم، وفي الأمة من هو أعلم منك؟!»^(١).

٢ - وروى أنه جيء بأبي جعفر عليه السلام إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت أبيه، وهو طفل، وجاء إلى المنبر ورقا منه درجة ثم تكلم، فقال:

«أنا محمد بن علي الرضا، أنا الجواد، أنا العالم بالإنسان في الأصلاب أنا أعلم بسرائركم وظواهركم وما أنتم صائرون إليه منحنا به قبل خلق الخلق أجمعين، وبعد فناء السماوات والأرضين، ولولا تظاهر أهل الباطل، ودولة أهل الضلال ووثوب أهل الشك، لقلت قولاً تعجب منه الأولون والآخرون.»^(٢).

٣ - وقال اسماعيل بن بزيع: سأله - يعني الإمام الجواد - عن شيء من أمر الإمام، فقلت: يكون الإمام ابن أقل من سبع سنين؟ فقال: «نعم وأقل من خمس سنين»^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٥٠، ص ٩٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٠٨.

(٣) حلية الأبرار ج ٢، ص ٣٩٨.

٤ - وقال علي بن اسباط: «رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج علي فأخذت أنظر إليه وجعلت أنظر إلى رأسه ورجليه، لأصف قامته لأصحابنا بمصر فينا أنا كذلك حتى قعد، فقال عليه السلام :

يا علي إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوة، فقال: ﴿وَمَا آتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١) ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾^(٢) . ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(٣) .

إن تصدي الإمام الجواد عليه السلام لإمامة المسلمين وهو صبي كان معجزة بذاته .

ومن الأدلة التي تجسد مدى علاقة الإمام الجواد وعمق ارتباطه بالله تعالى وقربه منه وحجم الدعم الغيبي الذي كان يحظى به عليه السلام هو من عند الله عز وجل .

(١) سورة مريم، الآية: ٦٢.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٤.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

تعريف الإمامة

الإمامة عند أهل البيت هي ذلك الإمتداد الحي لمسيرة النبوة في قيادتها الإلهية للأمة نحو هدفها الأسمى .

والإمامة بحقيقة مضمونها هي المعين الذي يزود الفكر فيمد الأمة بالحياة الهائلة السعيدة المستمدة من القرآن الكريم ومن حقائق الإسلام، وبالتالي من النبي الأعظم الذي لا ينطق عن الهوى .

فلا بد والحالة هذه من أن يعلن من له الحق بقبوله لهذا الامتداد من موقع معرفته العميقة بأحوال الناس، وبتفويضه تلك المهام الكبرى لمن يرى فيهم الجدارة الكاملة، والأهلية لتحمل المسؤوليات الجسام .

عالم السرائر يغذي الفكر والروح:

لا بد للعالم بالسرائر من أن يعلم الناس، كل الناس، بالمصدر الأصيل الصافي، الذي يتزود بالرصيد الكافي من المعارف العامة والعلوم الخاصة لتفدية الحركة الفكرية، ومنح العقل والروح بما لا بد منه في مسيرة الإنسان التكاملية الرائدة نحو الهدف المنشود والحياة السعيدة السامية .

أركان الإمامة:

لا بد لهذا الصرح العظيم، صرح الإمامة، من أن يقوم على ركنين أساسيين هما :

الأول: النص، والثاني العلم الخاص.

ولو فقد أي ركن منهما، فإن الإمامة تفقد مضمونها الحقيقي والعلم الخاص، الذي اختص به الأئمة عليهم السلام أخذوه بالإلهام أو عن آبائهم عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله.

هذا بالإضافة إلى سائر ما هم عليه من الأهلية والجدارة والقدرة على النهوض بأعباء المسؤولية.

الأمر الذي يعني توفر الملكات والخصائص لمثل هذا المقام العظيم، لأن الأئمة ورثة الأنبياء. والإمام من شأنه أن يحفظ المسيرة، ويضمن سلامة الاتجاه، مثل:

صفة العصمة، والحكمة، والحلم، والشجاعة، والكرم.. وما إلى ذلك من الصفات الإنسانية النبيلة. من أجل ذلك نجد اهتمام الأئمة الأطهار عليهم السلام بأبراز تلکم الأمور، ولا سيما الركنين الأساسيين في جميع المناسبات. وقد وقفوا وقفة بطولية في وجه الظالمين وضحوا بأعلى ما عندهم من أجل أن تبقى كلمة الله هي العليا وما ثنأهم عن ذلك احتمالات مواجهة المشاق والتعرض للأخطار المحدقة بهم نتيجة ذلك، مهما كثرت ومهما عظمت وما زالوا حتى اليوم يجابهون الظالمين ويقدمون أرواحهم من أجل صيانة الرسالة النبوية والحق الصريح مهما كلفهم ذلك من ثمن. لقد سلكوا الطريق الحسينية ومن سلك هذا الطريق فلا يهن ولا يضعف ولا يفشل بإذن الله.

وما أجدرنا نحن اليوم في عاشوراء أن نحیی هذه الأيام العشر المباركة ونجعلها مثلاً أعلى لنا في كل رسالتنا النضالية،. وأفضل شاهد على صدق هذا القول:

المقاومة الإسلامية التي سطرت صفحات بيضاء على صفحات التاريخ العربي والعالمي، قاومت الظلم وقاومت الطغيان ونجحت بإذن الله وعونه.

والنداء الشريف النبيل المجيد الذي نطقه اليوم:

كونوا حسينين أعزاء تفوزوا برضى الله سبحانه وتعالى ورضى الرسول الأكرم ﷺ.

١ — الاهتمام بالنص:

ركز الأئمة عليهم السلام بالركنين المشار إليهما تركيزاً كبيراً ١ - النص ٢ - العلم الخاص . والأمثلة كثيرة ومتواترة يكفي أن نشير إلى استشهاد أمير المؤمنين ﷺ بالصحابة لحديث الغدير، في رحبة الكوفة، وفي صفين، ويوم الجمل . . . حيث كان يشهد له به عدد كبير من الصحابة والبدريين . ثم الإمام الحسين ﷺ الذي جمع أصحابه في منى، وذكرهم بفضائل أبيه، وبحديث الغدير، وأفعال معاوية المشينة كل ذلك . . من أجل التركيز على قضية الإمامة وتثبيتها وللحفاظ على النصوص المثبتة لها من الضياع، أو من التحريف وعبث العابثين لأهداف خاصة^(١).

٢ — الإهتمام بالعلم الخاص:

إلى جانب هذا نذكر التصريحات الكثيرة للأئمة ﷺ التي يذكرون فيها: أن عندهم العلم الخاص، يعني علم الإمامة الذي اختصهم به النبي الأكرم ﷺ بأمر من الله جل وعلا . مثل تلك الأحاديث التي تقول: إن عندهم الجفر، والجامعة وما إلى ذلك مما نجده موجوداً في المصادر

(١) راجع الغدير للعلامة الأمين ج ١، ص ١٥٩ - ٢١٣ دلائل الصدق للمظفر، وأنساب الأشراف ج ٢، ص ١٥٩ والحياة السياسية للإمام الحسين ﷺ ص ٩٠ وما بعدها بالإضافة إلى سائر البحوث التي تعرضت للنصوص النبوية المرتبطة بالإمامة.

والمراجع الكثيرة. مثل: الكافي، وبصائر الدرجات، وبحار الأنوار، وفي إحقاق الحق وملحقاته، وفي سائر المجاميع الحديثية، وما يعد بالمثلثات وبالألوف بمختلف الصيغ.

وضوح النص:

لا يخفى على كل من يملك بصر وبصيرة وضوح النص، مهما حاول خصوم أهل البيت إنكار النص على أمير المؤمنين، وعلى الأئمة الأطهار من ولده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . . .

وقد حاولوا تأويل حديث الغدير وتخريجه بوجوه عديدة يأبأها الذوق السليم ويمجها الطبع القويم .

ولما فشلوا ولم يتمكنوا من إنكار الحديث المتواتر عندهم والذي يتحدث: أنه يكون بعد النبي ﷺ إثنا عشر خليفة أو أميراً، أو إماماً كلهم من قريش أو من بني هاشم .

عمدوا إلى الإفتاء المفضوح والتكذيب من قبل الرواة الماجورين إلى التزوير والتلاعب بالألفاظ . . .

وفي كثير من النصوص تصريح واضح بأسمائهم ﷺ قال القندوزي الحنفي: «ذكر يحيى بن الحسن في كتاب العمدة من عشرين طريقاً، في أن الخلفاء بعد النبي ﷺ إثنا عشر خليفة كلهم من قريش . في البخاري من ثلاثة طرق، وفي مسلم من تسعة طرق، وفي أبي داود من ثلاثة طرق، وفي الترمذي من طريق واحد . وفي الحميدي من ثلاثة طرق»^(١).

وهناك كتب كثيرة تكفلت تجمع طرق هذا الحديث، ومنهم العلامة الشيخ لطف الله الصافي، الذي جمع في كتابه مئات الأحاديث بالطرق

(١) ينابيع المودة، ص ٤٤٤.

الكثيرة، من سنية وشيعية، وكلها تؤكد خلافة وإمامة الإثني عشر من بعده ﷺ^(١).

وأخيراً.. صرح السيوطي بأن عبارة:

«يكون بعدي إثنا عشر خليفة» فجمع على صحتها، وواردة من طرق عدة^(٢).

اغتيال الإمامة:

لقد أصر الحكام الأمويون وغيرهم من الخصوم، ومن أرباب الفرق الأخرى على اغتيال الإمامة والتخلص منها، فمرة عن طريق التشكيك بالنصوص، وأخرى عن طريق إفراغها من مضمونها الفكري والعلمي.

ولما فشلوا في ذلك اتجهوا إلى اغتيال شخصية الإمام عن طريق الاشاعات الكاذبة وتلفيق التهم الباطلة وعن طريق التزوير والمزورين من الرواة المتكسبين..

وحتى هذه الطريقة لم تنجح أيضاً ولم يبق أمامهم إلا طريقة واحدة وهي اغتيال الإمام جسدياً، علناً تارة وبالخفاء مرة أخرى، عندما يرون في هذه العملية خطراً حقيقياً على واقعهم ومركزهم الذي ضحوا في سبيله كل ما لديهم في حياتهم الحاضرة، وقد صبوا اهتمامهم في تثبيت دعائم حكمتهم وتقوية أركانه في المستقبل.

ومن أجل ذلك جعلوا الخلافة وراثية فأصبحت ملكية تنتقل من الأب إلى ابنه، واستغنوا عن النص النبوي وتنكروا للعلم الخاص. وكما وصفها المؤرخون أصبحت الخلافة كسروية أو قيصرية...

(١) راجع منتخب الأثر ص ١٠ - ١٤ وأعلام الوري ص ٣٨١ - ٣٨٦.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

ولعل أفضل نموذج نسوقه هنا هو المأمون والطريقة التي اتبعها مع الإمام الرضا عليه السلام أولاً ثم مع الإمام الجواد ثانياً حيث حاول بطريقة ماكرة الكيد للإمام الرضا عليه السلام بالبيعة بولاية العهد بعده .

فالمأمون هذا بالذات هو الذي قام بأكثر من محاولة في سبيل النصر النهائي والحاسم على الفكر الإمامي . وقد أدرك خطأ أسلافه في تعاملهم مع أئمة أهل البيت عليهم السلام فحاول اعتماد أسلوب آخر يخفي وراءه مكرراً شديداً وكيداً عظيماً .

التيارات السياسية الصبغية بصيغة الدين

قام أفراد من ذوي الأطماع والمصالح الشخصية يدعون الناس إلى أنفسهم باسم الخلافة وهم فاقدون لشروطها ومؤهلاتها، فالتف الناس حولهم وراجت بضاعتهم.

وقام آخرون يدعون الناس إلى آرائهم وأفكارهم الشاذة التي ما أنزل الله بها من سلطان، فوجدوا التجاوب من كل ناعق ومن الذين يميلون مع كل ريح.

والسؤال المطروح: هل أن الدين الإسلامي بطبعه وطبيعته يتطلب الإنقسام والتفرقة؟ أم أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تأسس على الوحدة والاتحاد ونهى عن التفرقة والاختلاف؟ الإجابة من القرآن الكريم والحديث الشريف.

قال تعالى:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(١) ويقول عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٢).

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١).

وقال الرسول الأكرم ﷺ: أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ حول هذا الموضوع يطول ذكرها . . .

فمن أين - إذن - جاءت التفرقة؟! وكيف تكونت المذاهب؟! وكيف حصل الاختلاف بين المسلمين في عقائدهم وأحكامهم؟!
وتختصر القول فيما يلي:

لقد بعث الله نبيه محمد ﷺ رسولاً إلى الناس كافة، فجاء بالدين الكامل الجامع الذي يتضمن سعادة الدنيا والآخرة، وأنزل الله القرآن تبياناً للناس، فيه ما يحتاج إليه البشر من العقائد والأحكام والأخلاق، وكان رسول الله يفسر من القرآن كل ما يحتاج إليه الناس:
من الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك . . .

وآمن برسول الله ﷺ من آمن، واهتدى به من اهتدى وحيث أن رسول الله هو خاتم الأنبياء ولا نبي بعده وحيث أن القرآن هو آخر كتاب سماوي أنزله الله وحيث أن الله أرسل رسوله إلى الناس كافة.

وحيث أن الشريعة الإسلامية هي آخر الشرائع الإسلامية.

وحيث أن «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة» فلا نسخ ولا تغيير ولا تبديل في أحكام الإسلام.

وبعد هذا فلا بد وأن يكون الدين الإسلامي جامعاً لجميع جوانب الحياة البشرية حتى لا يحتاج الناس إلى دين آخر أو إلى قوانين أخرى أو إلى شريعة غير الشريعة الإسلامية. وحيث أن المسلمين في عهد

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

الرسول ﷺ كانوا في دور التكوين، ولم يكن عندهم النضج الفكري في العقائد والأحكام، من حيث التحليل والتعليل ومعرفة فلسفة الأحكام وغير ذلك.

لأن العقائد الفاسدة يوم ذاك كالجبر والتفويض والحلول والتناسخ والتثليث والتنويه وما شابه ذلك - لم تكن معروفة عندهم. فكان لا بد من تعيين أفراد أكفاء وعناصر شريفة تقوم بهذه المهام في الأجيال التي جاءت بعد عصر الرسول ﷺ لدفع شبهات الملاحدة، والإجابة على أسئلة المنحرفين وحل المشاكل العلمية والمسائل الفقهية والتشريعية.

فإذا كانت المدرسة بحاجة إلى مدير، والحكومة بحاجة إلى رئيس.

والعائلة الواحدة لا يستغني عن كبير يشرف على أمورها، ويوفر لها ما تحتاج إليه.

أما يحتاج المجتمع الإسلامي إلى قائد عليم حكيم عالم بجميع الأمور وتتوفر فيه جميع شروط القيادة العادلة الصحيحة كي يقتدي به المجتمع الإسلامي وينطوي بمحبة تحت لوائه؟! وهل يمكن أن تعيش أمة من الأمم حياة آمنة مطمئنة سعيدة بلا رئيس؟!

من الواضح أن رسول الله ﷺ كان أكثر أهل العالم علماً ومعرفة وحكمة وبصيرة بالأمور، فهل من المعقول أن يترك هذا النبي الحكيم العارف أمته بلا قائد وبلا إمام؟!

فإذا نسبنا إلى سيد الأنبياء إهمال أمور أمته فقد ظلمناه ووقعنا في درجة الكفر ما عاذا الله! وإذا قلنا أن الرسول قد رعى هذه الأمور المهمة وهذه الجوانب العظيمة، وعين من يقوم مقامه لسد هذا الفراغ كي يخلفه من بعده فمن هو ذلك الخليفة الذي عينه رسول الله ﷺ ونصبه لامته؟.

يقولون أن الأمر جعله شورى بين أمته، يختارون من شاءوا، ليقوم
بأعباء الخلافة وقيادة المسلمين!!!

سبحان الله! ما أبعد هذا القول عن الصواب! كيف يصنع رسول الله
العادل العالم هكذا؟

وهو القائل: وستفترق أمتي من بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة في
الجنة، والباقون في النار؟!!

أليس معنى ذلك أن رسول الله ﷺ هو الذي ساعد على اختلاف أمته،
وسبب التفرقة بين المسلمين؟!!

أليس معنى هذا هو الضياع والإهمال للدين؟ ذلك الدين الذي بذل
رسول الله لأجله كل غال ونفيس، وتحمل ما تحمل من الأذى لأجله حتى
قال: «ما أؤذي نبي بمثل ما أؤذيت»! نعم إن رسول الله ﷺ قام بما نلزم وما
يجب تجاه هذه الأمور، واتخذ أفضل التدابير اللازمة لسد كل فراغ في
الإسلام، وخطط لكل ما يحتاج إليه المسلمون من جميع النواحي واتخذ كل
الوسائل الوقائية أمام كل انحراف عقائدي أو شذوذ فكري، وذلك عن طريق
نصب الأئمة وتعيينهم من بعده.

فكانت دعوته إلى التوحيد والتأخي، والنبوة مشفوعة بالدعوة إلى
الإمامة والخلافة من بعده.

ومن الواضح: أن رسول الله ﷺ لا يقدم على نصب الخليفة من عند
نفسه، واتباعاً لهواه أو عواطفه وحاشا رسول العظمة من هذه التصرفات بل
لا بد وان يكون التعيين من عند الله الخبير البصير، الذي يعلم ضمائر
القلوب، وعواقب الأمور، لأن الخلافة تالية للنبوة، فلا بد من توفر
المؤهلات واللياقة والكفاءة والاستعداد للقيام بما يتطلبه هذا المقام الرفيع
المنيع.

وانطلاقاً من هذه النقطة فلقد قام ﷺ بهذه المهمة من أوائل بعثته، يوم كان في مكة، وكان عدد المسلمين - يومذاك - قليلاً جداً.

النبي يعين الخليفة:

لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) (١).

نصب رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بالخلافة والإمامة والولاية في مأدبة جامعة أقامها لعشيرته وكانوا حوالي أربعين رجلاً. والقصة مشهورة ومفصلة ومشهورة في أكثر كتب الأحاديث من الشيعة والسنة (٢).

وأكثر هذه الأحاديث اختصرها الغربيون ومنهم كارليل في كتابه الأبطال وقد بذل رسول الله ﷺ جهوداً كثيرة خلال سنوات نبوته في سبيل تثبيت قواعد الإمامة والخلافة.

فتارة يقول: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وأنكم لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما» (٣). وتارة يوم الغدير كان يرفع صوته ويقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» (٤).

ولقد تكرر منه القول: «الأئمة بعدي إثنا عشر كلهم من قریش» (٥).

إلى غير ذلك من النصوص والتصريحات حول الإمامة والخلافة.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢، ص ٢١٦ - تاريخ ابن الأثير ج ٢، ص ٢٢ مسند أحمد بن حنبل ج ١، ص ١١١ و ١٥٩ و ٣٣١.

(٣) مستدرک الصحيحین للحاکم ج ٣، ص ١٠٩ وصحيح مسلم ج ٢، الخصائص للحافظ النسائي ص ٢٠.

(٤) تفسير الرازي ج ٣، ص ٦٣٦ وتفسير ابن كثير ج ٢، ص ١٤ وتفسير الألوسي ج ٢، ص ٣٥٠ وتفسير الطبري ج ٣، ص ٤٢٨ والغدير ج ١، للأميني.

(٥) كفاية الأثر للثقفى والبخاري ج ٤، ص ١٧٥ ومسلم ج ٢، ص ١٣٤.

والحقيقة أن طائفة كبيرة من تلك المساعي والجهود التي بذلها رسول الله ﷺ في هذا السبيل قد ذهبت أدراج الرياح، وذلك بعد وفاته حيث تبدلت الأمور، وتغيرت الأوضاع، ومنعوا الإمام علياً ﷺ عن القيام بأعباء الخلافة، ثم حالوا بينه وبين انجازاته وأجلسوه في بيته وسلبوه امكانيته وحاربوه اقتصادياً وسياسياً وبكل الوسائل الممكنة وأخيراً قتلوه وهو يصلي! وهكذا الأئمة الذين جاؤوا بعده كان مصيرهم مصير الإمام علي ﷺ .

وخلاصة القول :

إن النبي لم يترك الأمة الإسلامية بلا قائد ولا راع بل عين خلفاء وأئمة اثني عشر كلما غاب منهم نجم طلع نجم آخر يمثل رسول الله ويتولى القيادة الشرعية للأمة الإسلامية .

زواج الإمام الجواد من أم الفضل

من هي أم الفضل؟ وهل اختارها الإمام الجواد؟

وكيف تم ذلك الزواج من طرف واحد؟

أم الفضل:

بنت المأمون العباسي وزوجة الإمام الجواد عليه السلام تلك الزوجة المشؤومة، والمرأة المعقدة بعقد نفسية لأنها لم تنجب عند الإمام الجواد. وهذا من ألطاف الله تعالى، لأنه عز وجل لم ير فيها المؤهلات لتكون أماً للإمام فتفوز بسعادة الدنيا والآخرة. لقد كانت تتوقع أن يبقى الإمام الجواد معها مقطوع النسل، محروماً من الذرية من أجل مشاغباتها ضده ولما كانت أم الفضل لا تقدر المعنويات، ولا يهملها سوى عواطفها فقط، فإن الإمام الجواد عليه السلام يجب أن يحافظ على نسله ولا يكتفي بالمرأة العقيم العاقر.

لذلك وجب على الإمام أن يتزوج امرأة أخرى كي لا ينقطع حبل الإمامة، وهو يعلم جيداً أن ثلاثة من أئمة الهدى سيكونون من نسله آخرهم الإمام المهدي صاحب الزمان عليه السلام.

وتزوج الإمام الجواد عليه السلام بامرأة أخرى. وهذه الزوجة جارية مغربية اسمها سمانة اشتراها الإمام الجواد، وهي السيدة التي التجبت للإمام

الجواد أولاداً وبناتاً . وهذا ما أزعج أم الفضل وأحدث في نفسها الحسد والحقد وتدبير المكاييد .

وكم مرة كانت تشكو الإمام الجواد عليه السلام إلى أبيها المأمون بسبب زواجه وشرائه الجارية ففي نظرها هذه جارية وهي بنت خليفة وفرق كبير بينهما . لكن المأمون الذكي لم يعبأ بقولها ولم يبال ، لأن قصور المأمون كانت حافلة بالجواري والغلمان ، وكان يقضي معظم أوقاته معهن وربما كانت تدخل على أبيها في ساعة اللهو والشرب بعد أن يستولي عليه السكر فتبكي وتشكو من الإمام الجواد عليه السلام فتفتري على الإمام وتقول للمأمون :

إنه يشتمني ويشتمك ، ويشتم العباس وولده ، فيستولي الغضب - المشفوع بالسكر - على المأمون .

مات المأمون وتسلم بعده المعتصم ، وهو يعلم أن ابنة أخيه أم الفضل تطيب نفسها أن تقتل زوجها - ابن رسول الله - وهو في ريعان شبابه ونضارة عمره ، بسبب الحقد الدفين في قلبها وانحرافها الموروث منذ سنين .

ولما كان المعتصم يلم بكل هذه الأوضاع ، فلما لا ينتهز الفرصة المناسبة ليتخلص من الإمام الجواد عليه السلام عن طريق زوجته أم الفضل؟! إذ لا مانع لدى أم الفضل من تنفيذ الجريمة الكبرى والفاجمة العظمى!؟

وليست هي أول امرأة ترتكب مثل هذه الجريمة ، فقد سبقتها جعدة بنت الأشعث التي دست السم إلى زوجها الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة ، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

دست إليه السم يطلب من معاوية في مقابل صرة كبيرة من الذهب ، ووعدا بالتزويج من ابنه يزيد الفاجر الأثيم ، حفيد أبي سفيان . وقطب المشركين فأم الفضل تعلمت الدرس من جعدة بنت الأشعث ونفذت الجريمة فاغتالت زوجها ، ذلك الزوج لا مثل له على وجه الكرة الأرضية

نسباً، وعلماً وفضلاً وعبادة فالإمام الجواد عاش في زمن ضاعت فيه المقاييس وتبدلت المفاهيم عند الشواذ من الناس المنحرفين والاثمين الكفار، وتغيرت الموازين حتى أصبح:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معكوساً. زمن الغدر والخيانة، والمكر والخداع، والتشبث بأمور الدنيا الزائلة والتنكر لدنيا الآخرة الباقية. ففي هذا الوسط عاش الإمام وبيارادته وعلمه وإيمانه استطاع تثبيت إمامته، والدفاع عن خط جده الرسول الأكرم ﷺ.

اقتراف الجريمة متوقع من وقت الزواج:

لقد حضر المعتصم العباسي الوسيلة والإداة منذ اللحثة الأولى لذلك الزواج المشؤوم.

قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه:

أن الكثيرين أعلنوا بالفعل، أن أولئك الحكام قد اقترفوا هذه الجريمة تصریحاً تارة، وتلويحاً أخرى^(١).

لقد كان ذلك متوقعاً منذ اللحظات الأولى للزواج. وقد بلغ وضوح هذا الأمر جداً أصبح الإمام الجواد الطاهر التقي عليه السلام يعد من جملة الثمانية أعداء، الذين قتلهم المعتصم.

وقد سمي المئتمن، لكثرة التمانيات التي اتفقت له في حياته حسبما يقولون.

(١) راجع المناقب ج ٤، ص ٣٨٠، وإثبات الوصية ص ٢١٩ - ٢٢٠ وعيون المعجزات ص ١٢٩ وتاريخ الشيعة ص ٥٥ - ٥٧ ونور الأبصار ص ١٦٣، وتذكرة الخواص ص ٣٥٩ والبحار ج ٥٠، ص ١٧ و ٢ و ٩ و ٨ و ٧ عن الروضة ومروج الذهب ج ٣، ص ٤٦٤ وأعيان الشيعة ج ٢، ص ٣٥ وروضة الواعظين ص ٢٤٣ والفصلو المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٦٢.

يقول الصفدي، وابن شاکر الکتبی: «وقتل ثمانية أعداء: بابک، وباطيش، ومازيار، والأفشين، وعجيف، وقارون، وقائد الرافضة، ورئيس الزنادقة»^(١).

وبعد كل ما تقدم علينا أن نسجل هذه الحقيقة وهي:

أن الإمام الجواد عليه السلام قد قام بأعظم المهمات وأخطرها . . . ولو أنه لم يقيم بأي نشاط آخر، سوى ما ذكرناه من تثبيت دعائم الإمامة، وحفظ خط الوصاية والزعامة في أهل البيت عليهم السلام . . . لكفاه ذلك رفعة وفخراً، وعظمة ومجداً على مدى الدهور والعصور.

ولما عجزوا عن النيل من مقام إمامته عليه السلام بقي هو الوصي الأمين والزعيم القائد، والإمام العظيم. ولما فشلوا، رغم صغر سنه - عن مواجهته في أعظم ما يدعيه، ورغم أنه لم يتلق العلوم والمعارف من أحد من الناس سوى من أبيه الذي عاش معه فترة وجيزة، فهذا فقط يكفي في المراد والمقصود.

كما أن قبول الشيعة بهذا الأمر، وهم الطائفة التي تأخذ على نفسها الإنسجام مع المنطق والعقل، ومع البرهان القاطع مهما كانت الظروف والنتائج:

إن هذا وذاك هو من أهم الأدلة القاطعة على أحقية هذا الخط السليم، وسلامة هذا المنهج ووضوح هذا السبيل.

وحتى عندما عملوا على قتله عليه السلام بذلك الأسلوب الجبان وكان عمره الشريف أقل من عمر أبيه حين تصدى لأمر الإمامة فوقف يتحداهم، ويهرهم بالحالة نفسها التي بهرهم بها أبوه من قبل.

(١) الوافي بالوفيات ج ٥، ص ١٣٩.

ثم تولى الإمامة بعده الإمام الحجة عليه السلام وكان في سن أصغر من ذلك، ما يقارب الخمس سنين .

وكان كل من هؤلاء الأئمة المعصومين النجباء عليهم السلام أعظم الدلالات، وأوضح المناهج لتعريف عامة الناس بمقام الإمامة، الذي أراد أعداؤهم بكل ما لديهم من وسائل خبيثة لتعمية الدلالات عليه وطمس السبل إليه .

ومما نلفت إليه أن إمامة الهادي، بعد الإمام الجواد عليه السلام كانت تتحدى سلطاناً ظالماً متعصباً لا يطيق ذكر الإمام بأي خير أبداً . وهو الذي حرث قبر سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وأجرى عليه الماء كي يطمس معالمه، ويعفى أثره وكان منقاداً لتيار أهل الحديث الذين يعتمدون النصوص أساساً لحركتهم الفكرية والإيمانية .

وهؤلاء جميعاً كانوا في أوج قدرتهم، وفي عصرهم الذهبي، في ظل زعيمهم الكبير، أحمد بن حنبل، وحراب السلطة تحميمهم لا تخاف أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، مع حرصهم الشديد والأکید على التشكيك بالنصوص . . . وخصوصاً ما كان منها في حق الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام وبصورة خاصة ما يثبت إمامتهم وحقهم في تسلم الخلافة .

ومما لا ريب فيه أن الرسول الأعظم عليه السلام هو الذي بدأ التمهيد لهذا الحديث الهائل، وذلك حينما بايع الحسين عليه السلام في بيعة الرضوان - ولم يبايع صبيّاً غيرهما - حسبما ألمح إلى ذلك المأمون نفسه في كلامه المنقول عنه :

وكذلك حينما أشهد الحسن عليه السلام علي كتاب لثقيف، ثم أخرجه النبي عليه السلام مع أخيه عليه السلام للمباهلة مع نصارى نجران .

الزواج المؤامرة:

كان المأمون العباسي قد زوج ابنته أم الفضل من الإمام الجواد عليه السلام حينما عقد لاييه الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد بعده^(١) أو أنه قد سماها له آئذٍ على أقل تقدير^(٢).

وقد رفض العباسيون هذا الزواج وطالبوا المأمون ليغير رأيه فيه، فقالوا له:

«أتزوج ابنتك، وقرّة عينك صبيّاً لم يتفقه في الدين، ولا يعرف حلاله من حرامه، ولا فرضاً من سنة؟ فلو صبرت حتّى يتأدّب، ويقرأ القرآن، ويعرف الحلال من الحرام؟!».

فقال المأمون: «إنه لأفقه منكم، وأعلم بالله ورسوله، وسنته وأحكامه وأقرأ لكتاب الله منكم، وأعلم بمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وخاصة وعامه وتنزيله وتأويله منكم، فاسألوه. فاسألوه وفشلوا جميعهم.

وعلى أي حال: فإن كل الدلائل والشواهد تشير إلى أن زواج الإمام عليه السلام من ابنة المأمون كان زواجاً سياسياً مفروضاً إلى حد ما . . . كما لا نستبعد أن يكون زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل سياسياً يطمئنون إليه، خصوصاً بعد عودته إلى بغداد. حيث أراد بذلك أن يوثق علاقاته مع الفرس، وليبرئ نفسه من دم الفضل بن سهل، ويكسب ثقة أخيه الحسن بن سهل المعروف بنفوذ وراثته.

وللسبب نفسه أيضاً كان يتظاهر بالإحترام والتبجيل للإمام عليه السلام وإن كان

(١) البداية والنهاية ج ١٠، ص ٢٦٩ وتاريخ الطبري ج ٧، ص ١٤٩ ومروج الذهب ج ٣، ص ٤٤١ والبحار ج ٤٩ ص ١٣٢ وتذكرة الخواص ص ٣٥٢.

(٢) أعيان الشيعة ج ٢، ص ٣٣.

يضيق عليه في الباطن^(١). وكذلك الحال بالنسبة لإكرامه للعلويين، حيث صرح هو نفسه بأن إكرامه لهم ما كان إلا سياسة منه ودهاء، ومن أجل الوصول إلى سياسة معينة.

وهذه أمور كانت تراود ذهن الخليفة (القناص)، ولكنه على ما أظن أنه كان «غير مأمون» حتى على عقيدته التي كان يدين الله تعالى بها! فقد كان بزعمي مسلماً يعبد الله على حرف، وخليفة أعمى بصيرته الملك.

وها هو قد قطع يقينه أن الجواد إمام وإن كان صغيراً مصداقاً لما قاله الشاعر العباسي الكبير المتنبّي:

وتسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح لهامتنا، عليها شواهد

(١) وقد سبقه إلى ذلك سليمان عم الرشيد، عندما أرسل غلمانه فأخذوا حيازة الإمام الكاظم عليه السلام من غلمان الرشيد وطردهم ثم نادوا عليه بذلك النداء المعروف اللائق بشأنه فمدحه الرشيد واعتذر إليه، ولام نفسه، حيث لم يأخذ في اعتباره ما يترتب على ما أقدم عليه من ردة فعل لدى الشيعة، ومحبي أهل البيت عليهم السلام والذين لا يكون للرشيد القدرة على مواجهتهم

التعريف بالأمين ابن هارون الرشيد

أمه هي الست زبيدة العربية، أما عن صفاته ونزعاته السياسية فليس عنده أي صفة كريمة أو نزعة خاصة يستحق بها منصب الخلافة في الإسلام، وهي بلا ريب منصب خطير وهام في حياة الأمة الإسلامية. وهذا ما أجمع عليه أغلب المترجمين له، فعامتهم قالوا بأنه لم يتصف بأي نزعة شريفة تستحق الذكر، إنما قلده والده منصب الخلافة بسبب تأثير زوجته زبيدة عليه لأنه كان يحبها ويفضلها على زوجته الثانية أم المأمون. وكان لها تأثير واضح في الحاكم والحكومة.

١ - كان ضعيف الرأي، أعطي الملك العريض ولم يحسن سياسته وقد وصفه المسعودي بقوله:

«كان قبيح السيرة ضعيف الرأي يهمل أمور الخلافة ويحب اللهو، ويترك الأمور الجليلة في الخلافة على غيره من حاشيته ويشق ثقة عمياء بهم^(١) فهان عليه القبيح فاتبع هواه، ولم ينظر في شيء من عقباه.

وقد وصف بالبخل على إطعام الناس ولا يبالي أين يجلس ولا مع من يشرب. ولا ريب من كانت هذه صفاته لا يجد من يحترمه ويقدره من

(١) التنبيه والإشراف ص ٣٠٢.

أصحاب الفكر والعلم لأنه لا يملك أصالة التفكير والرأي وهي من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتولى أمور المسلمين .

٢ - وكان يكره العلم ويحتقر العلماء لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب على حد أقوال المؤرخين له . والعجب العجيب كيف قلده والده الرشيد الخلافة الإسلامية؟!^(١) .

احتجابه عن الرعية:

احتجب الأمين عن أهل بيته أولاً كما احتجب عن الرعية ثانياً واستخف بأمر عماله وولاته وانصرف إلى اللهو والصيد والطرب . وقد عهد إلى الفضل بن الربيع كل أمور دولته حيث جعل يتصرف فيها حسب رغباته وميوله دون رقيب ولا حسيب . وكان من جملة أصحابه اسماعيل بن صبيح له تأثير عليه وحظ عنده، خف إليه يوماً وقال له :

يا أمير المؤمنين^(٢) إن قوادك وجندك وعامة رعيته، قد خبثت نفوسهم، وساءت ظنونهم وكبر مقتهم لك لما يرونه من احتجاجك عنهم، فلو جلست لهم ساعة من نهارك ودخلوا عليك فإن في ذلك تسكيناً لهم ومراجعة آمالهم .

استجاب له الأمين فترة من الزمن وجلس في بلاطه ودخل عليه الشعراء فانشدوه قصائدهم، وبعد ذلك انصرف إلى الحراقة^(٣) مركبها واصطفت له الخيل وعليها الرجال على ضفاف دجلة وحملت معه المطابخ والخزائن وخرج كعادته إلى الصيد واللهو ونختصر القول : كان الأمين إنساناً فاشلاً

(١) المقرئ ج ١، ص ١٦ من كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك .

(٢) هذا اللقب لا يصح إلا لعلي بن أبي طالب .

(٣) الحراقة هي سفينة على مثال أسد لم ير الناس منظرأ كان أبهى من ذلك المنظر .

تماماً اتجه إلى ملذاته وشهواته، ولم يعن بأي شيء من أمور الخلافة بل ترك مهامها على عاتق الفضل بن الربيع.

٤ — خلعه للمأمون:

تقلد الأمين الخلافة يوم توفي الرشيد، فتسلم خاتم الخلافة والبردة والقضيب وهي أدوات يتسلمها كان من يتقلد الخلافة من ملوك العباسيين. وحينما استقرت له الأمور أول عمل قام به خلعه لأخيه المأمون وجعل العهد لولده الطفل الصغير موسى وسماه: الناطق بالحق. وأرسل إلى الكعبة ما جاءه بكتاب العهد الذي علقه فيها أبوه الرشيد، وقد جعل فيه ولاية العهد للمأمون بعد أخيه الأمين، وحينما أتى به مزقه . . .

ولما عرف المأمون كانت:

٥ — الحروب المدمرة:

وبعدما خلع الأمين أخاه المأمون عن ولاية العهد، وأبلغه ذلك رسمياً اختار لحربه من بين قواده علي بن عيسى، وأعطاه قيلاً من ذهب وقال له: أوثق المأمون، ولا تقتله حتى تقدم به إلي موثقاً ودفع له مقابل ذلك مليوني دينار سوى الأثاث والكرع ولما علم المأمون ذلك سمى نفسه أمير المؤمنين، وقطع عنه الخراج، والغي اسمه من الطراز والدراهم والدنانير.

وبعد ذلك ندب لحربه طاهر بن الحسين، وهرثمة بن أعين. التقى الجيشان بالري، والتحما في معركة طاحنة جرت فيها أنهار من الدماء وقتل من الجيشين عدد لا يستهان به من العسكر المحاربين، وأخيراً انتصر المأمون على الأمين بعد أن قتل القائد العام لجيش الأمين وهزم جيشه هزيمة كبرى. وعند ذلك:

كتب طاهر بن الحسين إلى الفضل بن سهل وزير المأمون يخبره بهذا الانتصار الباهر . وقد جاء في رسالته :

« كتبت إليك ، ورأس علي بن عيسى في حجري ، وخاتمه في يدي والحمد لله رب العالمين »^(١) .

دخل الفضل على المأمون فسلم عليه بالبنللفة ، وأخبره بالأمر ، عندها تأكد المأمون بالنصر الباهر وأرسل إلى طاهر القائد العام في جيشه بالهدايا والأموال ، وشكره شكراً جزيلاً على حسن معرفه وسماه بعد هذا الانتصار :

« ذا اليمينين وصاحب خيل اليدين » ثم أمره إلى احتلال العراق المركز الرئيسي والقضاء على أخيه الأمين .

خفت جيوش المأمون إلى احتلال العراق والعاصمة بغداد ، بقيادة طاهر بن الحسين ، فحاصر بغداد ، مدة طويلة تخربت فيها كل معالم الحضارة التي عمرها الرشيد ، وعم البؤس والفقر جميع سكانها وكثر العابثون وقطاع الطرق ، والمجرمون الذين قاموا باغتيال الأبرياء ، ونهبوا الأموال وطاردوا النساء وقتلوا الأطفال ، حتى تهيأت جماعة من خيار الناس تحت قيادة رجل عظيم اسمه سهل بن سلامة فمنعوا العابثين بالأمن وقطعوا أيديهم وتصدوا لهم بالسلاح حتى أخرجوهم من بغداد^(٢) .

ثم زحفت جيوش المأمون الجرارة وطوقت قصر الأمين وهزمت جيشه هزيمة نكراء ، ولم تتمكن قوات الأمين من الصمود أمام جيش المأمون

(١) الله أكبر!! من هو رب العالمين الذي يسبحه في أخ يقتل أخاه!

(٢) وهل لنا اليوم من رجل آخر مثل سهل بن سلامة اليمع القتل والتفجير في بغداد اليوم ويخرج الصابئين بالأمن ويقضي على المجرمين المحتلين .

الذي كان يملك العتاد الضخم والسلاح الرهيب والعدد الغفير من الجند
المقاتلين^(١).

٦ — قتل الأمين:

لا ندري أين أصبح القيد الذهبي الذي أرسله الأمين مع علي بن عيسى
ليقيد به المأمون ولا يقتله حتى يقدم به إليه؟ كان الأمين في تلك المحنة
مشغولاً بلهوه وجواربه، إذ كان يصطاد سمكاً مع جماعة من الخدم وكان
فيهم (كوثر) الذي كان مغرمًا به ويوافيه الأخبار بهزيمة جنوده، ومحاصرة
قصره، فلم يعن بذلك، وكان يقول:

اصطاد كوثر ثلاث سمكات وما اصطدت إلا سمكتين!! ثم هجمت
عليه طلائع جيش المأمون فاجهزت عليه وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين
قائد جيش المأمون فنصبه على رمح وتلا قوله تعالى: ﴿اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي
الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ...﴾^(٢).

(١) كنا نتمنى أن يستعمل هذا السلاح في بغداد اليوم بدل السيارات المفخخة!!
(٢) حياة الإمام محمد الجواد ص ١٩٣ - يا إلهي كيف تستعمل هذه الآيات المباركة في
غير مواضعها!!

التعريف بالمأمون ابن هارون الرشيد

لا بد لنا والحالة هذه أن نتعرف عن والد أم الفضل، المأمون العباسي .
يمتاز عن أسلافه بثقافة واسعة مشفوعة بالدهاء وسياسة مرادفة
للنفاق، وهذا شأن كل سياسي يظهر بمظاهر مختلفة . وهؤلاء موجودون في
كل زمان يتلونون بألوان مختلفة تفرضها سياسة مؤقتة فمرة مع المعارضين
ومرة أخرى مع المواليين، وقد شاهدنا الكثيرين منهم^(١) .

فبعضهم كان يحارب الدين باسم الدين وبعد فترة يظهر نفسه بمظهر
المتدين الغيور، والتحمس للإسلام والمسلمين هكذا كان المأمون
العباسي، كان ذكياً في ألعابه وخداعه بحيث التبس أمره على أهل زمانه،
وعلى الأزمنة اللاحقة وحتى زماننا هذا نجد الكثير ممن يدافعون عنه
ويحسنون الظن به، بل يعتبره البعض من الشيعة، اعتماداً على كلام منقول
من بعض المتحذلقين قوله :

«أعلمتم كيف تشيعت»؟

والواقع أن الكلام يبقى كلاماً إذا لم يطبق على الأرض . فكيف تشيع
وقد نكل بالشيعة؟ كيف تشيع وخان بالشيعة وأخيراً دس السم إلى
الإمام عليه السلام .

(١) وعندنا اليوم نماذج مشابهة لهم، معروفون يتلونهم . . .

السم عن طريق ابنته أم الفضل؟

وعلى أي حال فالسياسة فرضت على المأمون أن يخضع للإمام الرضا عليه السلام بل وتنازل له عن عرش الخلافة!! لكن الإمام الرضا المعصوم لم ينخدع بتلك الألعاب السياسية وامتنع عن قبول الخلافة التي يهبها له المأمون محبة كاذبة وتقديراً مخادعاً.

إن إمامة الإمام الرضا عليه السلام وخلافته وولايته ثابتة من عند الله عز وجل، سواء رضي الناس بذلك أم أبوا، وقد نص عليه جده رسول الله صلى الله عليه وآله في أحاديث متواترة مشهورة عند عامة المسلمين.

وأما الخلافة التي معناها المنصب الإلهي، التالي لمنصب النبوة الخلافة التي تثبت بانتخاب الله تعالى واختياره، وينص من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن كانت وصلت إلى المأمون بصورة شرعية، فلا يجوز له أن يتنازل عن حقه الشرعي، وعن مقامه الذي جعله الله تعالى له.

وإن كانت الخلافة كما أرادها الأمويون والعباسيون قد وصلت إلى المأمون بصورة غير شرعية فلا يجوز له أن يهب ما لا يملك.

وبعد هذا، من أعطاه الحق، حق الإختيار والانتخاب لأمر المسلمين؟!!

نعم، هو يعلم جيداً بأنه كان غاصباً للخلافة ظالماً لآل محمد صلى الله عليه وآله فاقداً المؤهلات، ثم يعلن للأمة الإسلامية بأن الخليفة الشرعي هو الإمام الرضا عليه السلام كما فعله معاوية بن يزيد بن معاوية الذي استقال عن الخلافة، وعزل نفسه عنها وأعلن لأهل الشام أن الخليفة الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله هو الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وهذه القصة مشهورة في التاريخ.

لكن المأمون كان قد خطط بأسلوب آخر، فقد يتنازل عن الخلافة

للإمام الرضا عليه السلام ومن الطبيعي أن الإمام الرضا سيجعله ولياً للعهد جزاءً لإحسانه (حسب تفكير المأمون) وعند ذلك يسهل عليه اغتيال الإمام وتنتقل الخلافة إليه .

وبهذه الطريقة يكون قد تخلص من مشاكل السياسة التي فرضت عليه الخضوع للعلويين ، وتغيير السلوك معهم وإعطائهم الحريات التي كانت مكبوتة أيام أبيه هارون الرشيد .

المأمون يتمتع بالذكاء طبعاً لكنه كان يجهل أن الإمام الرضا هو أعلم وأعرف وأذكى من أن تتلاعب به الأهواء وأن يصير ألعوبة لسياسة المأمون الغدار . ولما رأى المأمون امتناع الإمام الرضا عن قبول الخلافة الموهوبة له! ورأى أن هذه الخطة باءت بالفشل ولم تنجح فكرته الشيطانية الخبيثة ، فكر بطريقة أخرى فعرض على الإمام الرضا عليه السلام قبول ولاية العهد وهذا تنزيل لمكانة الإمام الرضا عن مقامه الأسمى .

فالإمام الجواد الإمام المعصوم هو بالأصل الخليفة وهو المسؤول شرعاً عن إدارة شؤون الأمة الإسلامية فالتخلي عن مركزه هذا يحط من مقامه بالنسبة للرأي العام الإسلامي .

وفوق هذا كله ، فالإمام الجواد رفض أبداً الخلافة الموهوبة من المأمون فكيف يرضى أن يكون ولياً للعهد؟!!

ولما رفض الإمام الجواد الخلافة ورفض ولاية العهد ضاقت الأجواء السياسية على المأمون ، فماذا بقي له من الخيل؟

لقد هدد المأمون الإمام الرضا بالقتل إن هو امتنع عن قبول ولاية العهد!!

من هنا توضحت النوايا الشريرة للمأمون ، فلو كان يعتقد في الإمام

الرضا اعتقاداً سليماً لم يتجرأ على تهديده بالقتل ولكنها السياسة التي لا تؤمن بالدين ولا بالمعتقدات وإنما تؤمن بالمصالح والظروف فقط!!

ولما رأى الإمام أن الأمر قد وصل إلى هذا الحد الخطير وأن حياته مهددة بالقتل وافق على ولاية العهد بشرط عدم التدخل نهائياً في شؤون الدولة، من عزل ونصب وغير ذلك .

وعلى كل حال فقد سولت نفسه الشريرة أن يدس السم إلى الإمام الرضا عليه السلام ففارق الحياة مسموماً شهيداً كغيره من أئمة أهل البيت المظلومين .

لكن المأمون الخائن والخبيث خرج في تشييع الجنازة حافي القدمين، وقد حل أزرار ثيابه حداً وحزناً - على حد زعمه لكن المجتمع لا يخلو من أفراد أذكاء، لا تخفى عليهم الحقائق ولا ينخدعون بالمظاهر .

وأخيراً أشيع في خراسان أن المأمون هو الذي دس السم إلى الإمام ولا ريب أن مثل هذا العمل المنكر والجريمة النكراء قد جعل المجتمع يتأزق وينفر من سياسة المأمون حتى أنه لم يعد يستطيع البقاء في خراسان، فقصده نحو بغداد ليغطي الجريمة، ويتعد عن المجتمع الناقم عليه .

انتشر خبر وفاة الإمام الرضا عليه السلام في البلاد، وأكثر الشيعة القاطنين في البلاد النائية لا يعرفون الإمام القائم مقام الإمام الرضا عليه السلام ولم يسمعوا - حينذاك - النصوص الدالة على إمامة الإمام الجواد عليه السلام .

ومن المعروف أن المدينة المنورة، موطن آل الرسول عليه السلام يسكنها أكثر العلويين من آل الرسول عليه السلام فلا بد والحالة هذه من البحث والتحقيق عن الإمام بعد الإمام الرضا .

لقاء الوفود بالإمام الجواد عليه السلام

توافدت وفود الشيعة إلى المدينة من شتى الأقطار لمعرفة الإمام، وأتى من بغداد خاصة حوالي ثمانين عالماً من مشاهير علماء الشيعة وفقهائهم للتحقيق عن الموضوع. فقصدوا دار الإمام الرضا عليه السلام التي كان يسكنها قبل سفره إلى خراسان، وهي دار الإمام الصادق التي قد تعودت الشيعة التردد عليها، والباب يبقى دائماً مفتوحاً في وجوه الوفود والحجاج، فدخل عبد الله بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عم الإمام الجواد عليه السلام وهو شيخ كبير، ثم يدخل الإمام الجواد عليه السلام ويقوم أهل المجلس كلهم احتراماً وتقديراً وينظرون إليه، وينظر بعضهم إلى بعض نظر تعجب من صغر سن الإمام.

فيتقدم أحد الحاضرين ليلقي مسألة فقهية على عبد الله بن موسى، فيجيبه عبد الله جواباً غير صحيح، فتظهر علامة الغضب على الإمام الجواد، ويزجر عمه على إجابته - لتلك المسألة - بغير ما أنزل الله تعالى، فيتراجع عبد الله الشيخ الكبير ويعتذر من الإمام الجواد الصغير ويستغفر الله، لأنه أفتى بما لا يعلم. ثم يجيب الإمام الجواد جواباً صحيحاً على خلاف جواب عمه عبد الله بن موسى.

ثم يتبادر الناس إلى الإمام الجواد عليه السلام ليوجهوا إليه الأسئلة الفقهية، وكانت أكثر هذه الأسئلة بقصد الإمتحان.

سأل فقهاء الشيعة الأجلاء والعلماء العارفون بالأحكام الشرعية، وسألوا الإمام الجواد عنها ليتأكدوا من صحة إمامته وثبوتها.

والإمام الجواد عليه السلام يجيب على تلك الأسئلة بسرعة وبلا تأمل طويل، يجيبهم بالأحكام الشرعية الواقعية القطعية، وليس اعتماداً على الظن والوهم والقياس فانفض المجلس، وتفرق الحاضرون وهم مقتنعون تماماً بإمامة الإمام الجواد عليه السلام :

وكان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قد أسس قرية في ضواحي المدينة سماها (صرتاً) وكان الإمام الجواد عليه السلام يخرج إلى تلك القرية ليبتعد عن عيون الجواسيس التي كانت تراقبه باستمرار .

ولكن الكثيرين من الشيعة كانوا يذهبون إلى (صرتاً) بحثاً عن الحق وتبياناً للحقيقة، والإمام الجواد عليه السلام حاضر الذهن دائماً يفيض عليهم بكل المعارف، ويظهر لهم الدلائل الواضحة والبراهين الواقعية، فلا يبرحون إلا وهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بإمامته عليه السلام .

ولا عجب فالإبن سر أبيه عليهما الصلاة والسلام .

من أبرز صفات المأمون

١ — الدهاء:

لم يعرف العصر العباسي من هو أدهى وأذكى من المأمون، ولا من هو أدري منه في الشؤون السياسية العامة، حتى أنه استطاع بقدراته السياسية وحنكته أن يتغلب على كثير من الأحداث الخطيرة التي ألمت به، وكادت تقضي على حياته وسلطانه. فقد استطاع أن يقضي على منافسه الخطير أخيه الأمين الذي كان يتمتع بتأييد مكثف من قبل الأسرة العباسية، والسلطات العسكرية، كما استطاع أن يقضي على أعظم حركة عسكرية مضادة له، تلك ثورة أبي السرايا التي اتسع نطاقها فشملت الأقاليم الإسلامية حتى سقط بعضها بيد الثوار، وكان شعار تلك الثورة:

الدعوة إلى الرضى من آل محمد ﷺ فحمل الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان، وكان زعيم الأسرة العلوية وعميدها، فأرغمه على قبول ولاية العهد، وعهد إلى جميع أجهزة حكومته بإذاعة فضائله ومآثره، كما ضرب السكة باسمه، فأوهم بذلك على الثوار والقوى الشعبية المؤيدة لهم أنه جاد فيما يفعله، فأيقنوا أنه لا حاجة إلى الثورة وإراقة الدماء، بعد أن حصل الإمام على ولاية العهد.

وبذلك يكون قد قضى على الثورة وقوى معالمها وهذا كان من أول

منجزاته وأروع المخططات السياسية التي عرفها العالم في جميع مراحل التاريخ.

٢ — الغدر:

لقد بايع للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد، وبعدهما تحققت مآربه السياسية دسّ إليه السم فقتله وسار وراء جنازته حاسر الرأس حافي القدمين!!

٣ — القسوة:

إنعدام الرحمة والرأفة من قلبه انقاسي البارد، وأبرز ما يدعم ذلك قتله لأخيه الأمين، ولو أنه كان يملك شيئاً من الرحمة لعفا عنه ولم يقتله. كما أنه عامل العلويين بعد قتله الإمام الرضا عليه السلام بمنتهى القسوة والشدة، فعهد إلى جلاديه بقتلهم والتنكيل بهم أينما وجدوا وغدر بهم وشردهم في الآفاق.

٤ — ميله إلى اللهو:

غلب على طبع المأمون اللهو فأقبل عليه بنهم شديد وفيما يلي بعض ما أثار عنه:

أ - لعبه بالشطرنج:

أحب المأمون كل الملاهي لكنه كان يفضل لعبة الشطرنج^(١) فقد تولع بهذه اللعبة ولعاً كبيراً. حتى أنه وصفها بهذه الأبيات:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| أرض مربعة حمراء من آدم | ما بين الفين موصوفين بالكرم |
| تذاكرا الحرب فاحتلالها شبيهاً | من غير أن يسعيا فيها بسفك دم |
| هذا يغير على هذا وذاك على | هذا يغير وعين الحرب لم تنم |

(١) العقد الفريد ج ٣، ص ٢٥٤.

فانظر إلى الخيل قد حاشت بمعركة في عسكريين بلا طبل ولا علم^(١).
فالذي يتقن لعبة الشطرنج يقول: هذا الوصف دقيق جداً ولعله أسبق
من نظم فيه الشعر المحيط بأوصافه، وأبوه الرشيد كان مولعاً أيضاً بلعبة
الشطرنج، وقد أهدى إلى ملك فرنسا أدواته وتوجد حالياً في بعض متاحف
فرنسا.

ب - هيامه بالموسيقى:

كان المأمون مولعاً ولعاً شديداً بالغناء والموسيقى، وكان معجباً كثيراً
بأبي اسحاق الموصلي، الذي كان من أعظم العازفين والمغنين في العالم
العربي. وكان يحيي لياليه بالغناء والرقص والعزف على العود ولم يذكر اسم
الله وذكر الأنبياء في قصوره الفخمة!!

٥ - تظاهره بالتشيع:

فرض الواقع السياسي على المأمون أن يتظاهر بالتشيع، حتى اعتقد
الكثير من الشيعة بصحة تلك الظاهرة الغريبة، ومن ذكائه ودهائه قام بما
يلي:

أ - تفضل علي بن أبي طالب عليه السلام على الصحابة:

لقد قام المأمون بأجراء خطير على هذا الصعيد فأعلن رسمياً فضل
الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على عموم الصحابة كما أعلن على
المنابر الحط من شأن معاوية بن أبي سفيان.
كان هذا الإجراء من أهم المخططات التي تلفت النظر إلى تشيعة
الموهوم.

ب - ردّة فدك للعلويين:

رد المأمون فدك إلى العلويين بعد أن صادرتها الحكومات السابقة

(١) المستطرف ج ٢، ص ٣٠٦.

أبي السرايا، فرأى المأمون أن خير وسيلة للقضاء عليها وإخفاؤها بمهاماتها الإحسان إلى الشيعة بغية تهدئتهم لكنه كشف أمره وبانت نيته المجرمة ولم تخف على أحد لأنه كما قال الشاعر العباسي:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقفة تأمل عند سلوك المأمون:

كانت حياة المأمون حياة جد ونشاط وتقشف قبل توليه الخلافة على عكس أخيه الأمين الذي كان يميل إلى اللعب والبطالة أكثر منه إلى الجد والحزم. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن المأمون لم يكن كأخيه، يشعر بأصالة محتده، ولا كان مطمئناً إلى مستقبله وإلى رعا العباسيين به كخليفة بعد أبيه، ولهذا فقد وجد أنه ليس لديه أي رصيد يعتمد عليه غير نفسه، فاعتمد حياة الجد وبدأ يخطط لمستقبله منذ أن أدرك واقعه.

والملاحظ أنه كان يستفيد من أخطاء أخيه الأمين والفضل عندما رأى اشتغال الأمين باللهو واللعب، أشار على المأمون بإظهار الورع والدين، وحسن السيرة، وكان كلما اعتمد الأمين حركة لهو اعتمد المأمون حركة جد. من هنا يتبين السر فيما يبدو من رسالته للعباسيين حيث نصب فيها نفسه تقياً واعظاً أيام الجمعة، وزاد على ذلك هالة من الورع والزهد في الدنيا، والإلتزام بأحكام الشريعة الإسلامية ليقنع الناس أنه أفضل من أخيه الأمين المستهتر اللامهي.

بالإضافة إلى التظاهر بالورع، كان يمتلك معرفة واسعة في الآداب والعلوم والفنون، حتى أنه فاق جميع خلفاء بني العباس، ولم يكن في بني العباس من هو أعلم منه^(١).

(١) راجع حياة الحيوان ج ١، ص ٧٢

وقال عنه ابن النديم: «هو أعلم الخلفاء بالفقه والكلام»^(١).

وإذا راجعنا الذين كتبوا عن المأمون من المؤرخين وغيرهم نراهم يشهدون له بالتفوق والتقدم على جميع علماء بني العباس.

وما يهمننا في هذا المجال هو مجرد الإشارة إلى حال المأمون وما كان عليه من الدهاء والسياسة.

وبالرغم من جدارة المأمون فيما إذا قورن إلى أخيه الأمين باعتراف والده هارون الرشيد في أكثر من مناسبة، فإنه - الرشيد - قد اعتذر من اسناد الأمر إليه بل أسنده إلى الأمين - ابن السيدة زبيدة العريية - لأن العباسيين لا يرضون بالمأمون خليفة عليهم.

ويرى بعض المؤرخين أن السر في عدم رضا العباسيين بالمأمون يرجع إلى أن الأمين كان عباسياً، بكل ما لهذه الكلمة من معنى . . . وقد كان في كنف الفضل بن يحيى البرمكي أخي هارون الرشيد في الرضاة، وأعظم رجل نفوذاً في بلاط الرشيد، وكان يشرف على مصالحه الفضل بن الربيع، العربي الأصل الذي لم يكن ثمة شك في ولائه للعباسيين.

أما المأمون فقد كان في كنف البرامكة - جعفر بن يحيى البرمكي الذي كان أقل نفوذاً من أخيه الفضل، وكان مؤدبه الذي يشرف على جميع مصالحه، حيث لم يكن العباسيون يرتاحون إليه . . . لأنه كان متشيعاً ومتهماً بالميل إلى العلويين . . . وفوق هذا كله فأأم المأمون خراسانية غير عربية.

من هنا نعلم كيف استعان المأمون بالخراسيين، أخواله على قتل أخيه الأمين!!!

(١) الفهرست ص ١٧٤.

العقبات التي واجهت حكم المأمون:

لقد جابه المأمون تحديات خطيرة كانت تهدده أثناء حكمه وكادت تدمر كيانه، لذلك كان بقاءه في الحكم بعد قتل أخيه الأمين يحتاج إلى كثير من الدهاء..

وأهم ما كان يواجهه المأمون من التحديات:

١ - تحرك الشيعة ضده، فكانت ثورة أبي السرايا التي عمت الكثير من الحواضر الإسلامية.

٢ - تكتل العائلة العباسية ضده ووقوفها إلى جانب أخيه الأمين أولاً، ثم عزلها له وتعيين عمه إبراهيم بن المهدي، بعد ذلك.

٣ - تحرك الخوارج والفئات المناوئة الأخرى.

٤ - وجود المخاطر الخارجية من جانب الدول المتربصة بالدولة الإسلامية وخصوصاً الدولة البيزنطية.

وأمام هذه التحديات ماذا فعل المأمون!!؟

أولاً: تصفية أخيه الأمين والقوى المتحركة القوية ضده.

ثانياً: القيام بلعبة تولية الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد بالإكراه ليظهر للأمة أنه مع القيادة الشرعية، وهذا من شأنه أن يخفف من الروح الثورية للأمة باتجاه إقامة الحكم بقيادة أهل البيت عليهم السلام.

ثالثاً: تصفية ثورات العلويين.

رابعاً: التصفية الجسدية للإمام الرضا عليه السلام.

خامساً: إشاعة فتنة خلق القرآن لإشغال الناس بها عما يهمهم.

سادساً: تصفية قوى المعارضة من قبل الخوارج.

سابعاً: محاربة الدولة البيزنطية ودفع خطرها عن حكمه.

ملاحظات لا بد منها:

يبدو أن الأمة كانت تؤيد سياسة أهل البيت عليهم السلام وتعتقد بها ولكن ضمن شروط:

١ - عموم الأمة التي أصبحت مؤمنة بقيادة أهل البيت دون ارتباطها بهم برباط عميق.

٢ - المعارضون للدولة الذين يعتمدون الكفاح المسلح لاسقاطها وإقامة الحكم الإسلامي، وثورة أبي السرايا نموذج لذلك.

٣ - المؤمنون الواعون بالقيادة الشرعية وهم أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وأنصاره.

احتواء المأمون لهذه الشروط الثلاثة:

انتهج المأمون سياسته المعروفة لاحتواء هذه الشروط الثلاثة واجهاضها بحنكة ودهاء بالشكل التالي:

١ - التصدي لمواجهة الثوار المواليين لأهل البيت عليهم السلام وتصفيتهم عسكرياً، منهم: أبو السرايا لما قويت شوكته دعا إلى بعض أهل البيت عليهم السلام فقاتله الحسن بن سهل، وكانت الغلبة لجيش المأمون وقتل أبو السرايا.

٢ - احتواء التوجه الشعبي لأهل البيت: ابتكر المأمون سياسة بارعة لاحتواء هذا التوجه وذلك ببيعة الإمام الرضا عليه السلام ولياً للعهد والتظاهر بموالاة أهل البيت عليهم السلام لامتناع هذا الإعتراض.

٣ - كان المأمون حذراً من الإمام الرضا عليه السلام يتحين الفرص لاغتياله، وقد فعل ذلك في أول فرصة مناسبة فاوعز لعملائه باغتياله^(١).

(١) قبض الإمام الرضا بطوس من أرض خراسان في صفر سنة ٤٠٣هـ وله من العمر ٥٥ سنة.

طبيعة حكم المأمون:

لقد أوضح لنا السيد عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن طبيعة حكم المأمون وأساليبه بصورة مفصلة تسلط مزيداً من الأضواء على العلاقة بين هذا الحاكم وبين الإمام الجواد عليه السلام. فقد كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى وهو متوار منه يعطيه الأمان ويضمن له ولاية العهد بعده، كما فعل بعلي بن موسى ويقول:

ما ظننت أن أحداً من آل أبي طالب يخافني بعدما عملته بالرضا وبعث الكتاب إليه فكتب عبد الله بن موسى وقال:

وصل كتابك وفهمت، تحتلني فيه عن نفسي حتى القانص، وتحتال عليّ حيلة المغتال القاصد لسفط دمي، وعجبت من بذلك العهد وولايته لي من بعدك، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا! ففي أي شيء ظننت أنني أرغب من ذلك؟ أفي الملك التي قد غرتك حلاوته؟!

فوالله لأن أقذف - وأنا حي - في نار تتأجج أحب إليّ من أن ألي أمراً بين المسلمين أو أشرب شربة من غير حلها مع عطش شديد قاتل، أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا؟

أم ظننت أن الاستتار قد أملني وضاق به صدري؟ فوالله إنني لذلك، ولقد مللت الحياة وأبغضت الدنيا، ولو وسعني في ديني أن أضع يدي في يدك حتى تبلغ من قبلي مرادك لفعلت ذلك، ولكن الله قد حظر عليّ المخاطرة بدمي، وليتك قدرت عليّ من غير أن أبذل نفسي لك فتقتلني، ولقيت الله بدمي، ولقيته قتيلاً مظلوماً فاسترحت من هذه الدنيا.

واعلم أنني رجل طالب النجاة لنفسي، واجتهدت فيما يرضي الله عزّ وجل عني وفي عمل القرب به إليه، فلم أر رأياً يهدي إلى شيء من ذلك

فرجعت إلى القرآن الذي فيه الهدى والشفاء، فتصفحته صورة صورة، وآية آية. فلم أجد شيئاً أزلف للمرء عند ربه من الشهادة في سبيل مرضاته.

ثم تتبعته ثانية أتأمل الجهاد أليه أفضل، ولأي صنف، فوجدته جلاً وعلا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١) فطلبت أي الكفار أضر على الإسلام وأقرب من موضعي فلم أجد أضر على الإسلام منك، لأن الكفار أظهروا كفرهم، فاستبصر الناس في أمرهم، وعرفوهم فخافوهم، وأنت ختلت المسلمين بالإسلام، وأسرت الكفر، فقتلت بالظنة، وعاقبت بالتهمة، وأخذت المال من غير حله فانفقته في غير محله وشربت الخمر المحرمة صراحاً، وأنفقت مال الله على الملهيين وأعطيته المغنين، ومنعته من حقوق المسلمين، فغششت بالإسلام وأحطت بأقطاره إحاطة أهله، وحكمت فيه للمشرك وخالفت الله ورسوله في ذلك خلافة المضاد المعاند، فإن يسعدني الدهر، ويعينني الله عليك بأنصار الحق، أبذل نفسي في جهادك بدلاً يرضيه مني.

وإن يمهلك ويؤخرك ليجزيك بما تستحقه في منقلبك أو تحترمني الأيام قبل ذلك فحسبي من سعبي ما يعلمه الله عز وجل من نيتي، والسلام»^(٢).

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ص ٤٦٥.

موقف المأمون من الإمام الجواد عليه السلام

كان حاكم المدينة يومذاك يرفع التقارير إلى المأمون ضد الإمام الجواد عليه السلام وكلها كاذبة ولا تخلو من المبالغة والتهويل والتهم، كل ذلك من أجل كسب رضا المأمون والتقرب من السلطان.

يقرأ المأمون هذه التقارير فيعلم بالتفاف الناس حول الإمام الجواد عليه السلام وتقديرهم واحترامهم لمقامه، فلا بد له من رسم خطة جديدة يعدها ضد الإمام عليه السلام فكتب إلى والي المدينة يأمره بإرسال الإمام الجواد إلى بغداد، ليكون قريباً منه وتحت مراقبته المشددة بعيداً عن مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله.

وصل الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد، وهو في الحادية عشرة من العمر، ولكن قد تكاملت فيه صفات العظمة والتقدير وتوفرت فيه كل شروط الإمامة ومؤهلاتها.

كان الإمام لا يحب أن يلتقي بالمأمون في البلاط، فكيف إذن يتم اللقاء به؟

كان يعلم الإمام اليوم الذي يخرج فيه المأمون إلى الصيد فوقف عليه السلام في طريقه حين خروجه وكان في الطريق أطفال يلعبون.

وصل موكب المأمون مع الحرس والخدم وكلاب الصيد والصقور،

فتفرق الأطفال اتقاءً من شر ذلك الموكب، لكن الإمام الجواد بقي في مكانه لا يعبأ بذلك الموكب المحاط بالبذخ والكبرياء.

كان لوقوفه في الطريق ما شد انتباه المأمون له، فتقدم إليه وسأله لماذا لم تهرب أنت مع من هرب؟! فأجابه الإمام عليه السلام:

بأن الطريق لم يكن ضيقاً حتى أوسعته، ولم أرتكب ذنباً حتى أخشى العقوبة!

فانكسرت شخصية المأمون وتصاغت أمام هذا الجواب الجريء. سأل المأمون الإمام عن اسمه فقال عليه السلام أنا محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

يفتخر الإمام بهذا النسب الأقدس والأرفع، يفتخر بأبائه الأئمة الطاهرين الذين أذهب عنهم الله الرجس وطهرهم تطهيراً.

يتذكر المأمون أن هذا الفتى الجريء المحترم هو يتيم الإمام الرضا عليه السلام وأنه هو الذي أيتم هذا الشاب وحرمه من عواطف والده.

وهل ينسى المأمون أن هذا الفتى هو ضحية جرائمه؟

يترك المأمون الإمام ويكمل طريقه إلى الصيد واللعب ويطلق صقره فيحلق في الجو ويغيب في الغيوم ثم يعود وفي منقاره سمكة صغيرة فيها بقية من الحياة. ويمر المأمون من الطريق نفسه الذي التقى فيه بالإمام الجواد عليه السلام وقد قبض على السمكة في كفه، ويقول للإمام: قل أي شيء في يدي؟

فأجاب الإمام عليه السلام: أن الغيم حين يأخذ من ماء البحر يداكه سمك صغار فتسقط منه، فتصطادها صقور الملوك فيمتحنون بها سلالة النبوة!!

عند ذلك نزل المأمون عن فرسه وقبل رأس الإمام وعرف أن هذا الفتى مميز وليس كسائر الفتيان، بل هو ركن من أركان أهل الحكمة والفصاحة والبلاغة والشجاعة وهو الإمام الحق بعد أبيه الإمام الرضا عليه السلام.

فالمأمون اعتبر أن هذه الشخصية خطراً عليه فأخذ يعمل لتجميد هذه الشخصية، فماذا لديه من جديد من طرق وحيل ومشاريع؟

لقد قرر أن يزوجه ابنته أم الفضل التي كانت يومذاك صغيرة.

ولما تقشى الخبر قامت قيامة العباسيين وكانوا يوماً أصحاب السلطة ورجال دولة ويشكلون طائفة كبيرة حتى أُجريت بعض الإحصائيات في ولد عباس في عيد المأمون فكانوا ثلاثاً وثلاثين ألف نسمة!

لكنهم لم يفهموا هدف المأمون الذكي الخبيث من ذلك التزويج، فظنوا أن الإمام الجواد عليه السلام سوف يستلم زمام الحكم، وبذلك سوف يتقلص نفوذهم، وتضعف امكانياتهم إذا تم زواج الإمام الجواد بابنة المأمون.

لذلك بذلوا المحاولات الكثيرة للحيلولة دون هذا الزواج ولكن المأمون كان مصراً على ذلك، لكنه لا يستطيع أن يخبرهم عن الهدف من هذا الزواج.

وأخيراً، تم عقد النكاح - ذلك النكاح المشؤوم، وصارت ابنة المأمون في عهدة الإمام الجواد عليه السلام.

وقد صرف المأمون أموالاً طائلة في جو من البذخ والترف في إقامة حفلة القران. لكن الإمام الجواد عليه السلام لم يكن راضياً بتلك التشريفات البعيدة عن الزهد وبساطة العيش، فالأمر بيد السلطان وخارجاً عن اختياره ولم يكن مسؤولاً عن هذا التبذير والإسراف.

وبالرغم من أن الإمام الجواد كان صهراً لخليفة في ذلك الزمان وهذا

يقضي إن تكون حياته رخاء وسعادة وغنى ، فإنه لم يكن سعيداً أبداً بذلك الزواج المشؤوم ، لأنه كان يدرك جيداً أنه يعيش بين الأعداء الألداء ، والحساد الأشداء الذين كانوا ينزعجون من وجوده ﷺ وهذا أمر طبيعي لأن الإمام الجواد من طينة والخلفاء من طينة أخرى . فالإمام الجواد مثال التقوى والورع يتجسد فيه الإسلام الصحيح ، بينما خلفاء ذلك الزمان كانوا لا يعرفون شيئاً سوى المملذات واشباع رغباتهم ونزواتهم وشهواتهم ، من الجوارى والغلمان والمغنين والمغنيات ، وشرب الخمر ليلاً نهاراً وبذل الأموال الطائلة للشعراء المداحين المغالين .

أو للمضحكين الذين يضحكون الخليفة بقصصهم وأزيائهم وأما القضاة وفقهاء العصر العباسي فكانوا لا يرتاحون لوجود الإمام الجواد الزاهد الورع الرزين العالم . .

وهذا أمر طبيعي ، فهذا كبيرهم يحيى بن أكثم - قاضي القضاة ، كان ينصب القضاة في البلاد الإسلامية وكان يحس بالخجل والصغر أمام شخصية الإمام الجواد ﷺ فمن الطبيعي أن هؤلاء الحساد ما كانوا يسكتون أمام تلك الفضائل التي كان يتحلى بها الإمام الجواد ﷺ فيسعون لمضايقاته بشتى الوسائل وهو يضيق ذرعاً بهم فيقول : «الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً» فهو يعتبر الموت فرجاً وراحة له من تلك الحياة المحفوفة بالمكاره ، وكم مرة كان يخبر الناس أنه يموت بعد انقضاء سنتين ونصف على موت المأمون .

وهنا وجد الإمام الجواد الأفضل العودة إلى المدينة بين أهله وأصحابه ، مدينة جده رسول الله ﷺ وتتقضي سنوات ويبلغ الإمام من العمر ثمانية عشر سنة ثم يعود إلى العراق في الوقت الذي كان المأمون عازماً على غزو بلاد الروم ، وقد وصل إلى مدينة تكريت ووصل الإمام الجواد إلى المدينة نفسها .

قال الطبري :

فلما صار المأمون إلى تكريت قدم عليه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام من المدينة، في صفر ليلة الجمعة من هذه السنة، ولقيه بها، فأجازه وأمره أن يدخل بابنته أم الفضل، وكان زوجها منه، فادخلت عليه في دار أحمد بن يوسف التي على شاطئ دجلة فأقام بها، ولما كان أيام الحج خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة ثم أتى منزله بالمدينة فأقام بها .

وتساءل ما الهدف من هذا الزواج؟!

أدرك المأمون عظمة هذا الصبي وبعد رؤيته في شتى الأمور فاصطحبه إلى قصوره حيث الرفاه ونعومة الحياة بجوارها وقيانها، لكن الخليفة علم أن الصبي لا تستهويه أبهة الملوك ولم يسترع انتباهه الجمال الفاني، فقرروا في مناورة سياسية هادفة - اضطياد ثلاثة في رمية واحدة .

- ورميته الأولى نفذها بتزويجه من ابنته الجميلة الصغيرة (زينب) الممكنة بام الفضل، ولا فضل لها .

- وثانياً: أنه يصرف الإمام الصبي اليافع إلى ملاذ الحياة فتنتشي نفسه بقرب النساء، ومن ثم سوف يشغفن قلبه شيئاً فشيئاً فيصبو اليهن وينسى هدفه .

- وثالثاً: أراد المأمون أن يجعل من ابنته وخدمها رقيباً دائماً على كل حركة للإمام، وعلى كل من يتصل به من الشيعة ثم أنه أسكنه بالقرب منه كي يحد من اتصال الشيعة به لأن القصور الملكية لا يتيسر دخولها لكل انسان ولو بالأمر اليسير .

- رابعاً: هو أن يجعل من نفسه قريباً من البيت العلوي، فهو عم ولدهم

الإمام الجواد عليه السلام اليوم، وجدأ لصيبتهم غدأ الذي هو ابن الرسول الأعظم، وهذا مكسب سياسي واجتماعي مهم جداً.

وفيما لو أصابت رمياته هذه فسوف يكف أفواه الطالبين ويقطع أي تحرك لهم، ضد السلطة العباسية. وهو العالم المتيقن بأنهم أحق بالخلافة من أي إنسان على وجه الأرض وبناء على تحقيق هذه الأغراض وغيرها مما كان يدور في رأس المأمون خطى خطواته الأولى وقرر أن يتم الزواج من جانب واحد مهما يكن من أمر، ورغم كل المعترضين من الأقرباء والأبعاد؟!!

وبعد المأمون يأتي دور أخيه المعتصم الذي كان يكره العلويين عامة وللإمام الجواد خاصة فقد احتال هو الآخر على الإمام الجواد عليه السلام للوقية به، وإيجاد مبرر لسجنه ثم قتله!!

فاتهمه زوراً بجمع السلاح، وأنه يريد الثورة عليه. وأشهد بذلك عليه شاهدين زوراً وكذباً أنهما رأيا الإمام الجواد يجمع السلاح.

لكن الإمام المعصوم تخلص من هذا الموقف بأن أراهم معجزة أربهم بها فخاف المعتصم سوء العاقبة فتركه لسبيله دون أن يتعرض له فعمر مضمراً عليه حقداً دفيناً^(١).

حيرة وذهول:

هل كان المأمون جاهلاً بمقام الأئمة عليهم السلام؟! لا شك، وهو المثقف والذكي، كان عارفاً جيداً بمقام الأئمة ويقدر علومهم وعطاءاتهم ومقاماتهم الجليلة ويعلم بأن الحق معهم ولهم، وأنهم هم سفينة النجاة والعروة الوثقى والحجة الدامغة على أهل الدنيا.. وكان يعلم أيضاً:

(١) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٤٥.

إنهم أعلم أهل الأرض وأتقى الناس، وأعبدهم، وأكملهم وأفضلهم .
ولكنه مع كل ذلك . . كان يعمل بكل طاقاته وجلاوزته لإطفاء معالم
الإمام الجواد، وبذلك إطفاء نور الحق ما وجد إلى ذلك سبيلاً . . لكن
تقديراته كانت سراب والسبب واضح للعيان فهو يحب الدنيا والجاه ويرغب
في ظلها الزائل، ولذتها العاجلة . .

لقد كانت التقديرات المأمونة والعباسية من ورائها تتجه بنحو الاعتقاد
بأن ما يجري على لسان هذا الطفل في قضية البايز الأشهب ويحيى بن
أكثم، ربما كانت رمية من غير رام، أو احتمال أن يكون لديه خبر بذلك عن
أبائه عليه السلام كما ألمح إليه هو نفسه في جوابه للمأمون .

وقد اعتقدوا أن هذا الطفل قد فارق أباه مدة، ولم يقض معه عليه السلام مدة
يمكنه فيها تلقي العلوم والمعارف الكافية من أبيه، وكان بحسب ما ألفوه
غير قادر على استيعاب جميع ما يلقي إليه من معارف .

لكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً لكل تقديراتهم، وأثبت لهم الطفل المعجزة أنه
إمام ابن إمام ابن إمام زق العلم زقاً . وفرض قدرته رغم صغر سنه على
الإجابات الكثيرة في العلوم العقلية، مهما كانت عميقة ومعقدة .

المأمون غير مأمون:

ولا مجال لإحسان الظن به، لقد حاول النيل من مقام الإمام عليه السلام
بصنوف من المكر والتآمر، ثم اغتاله أخيراً بأسلوب عاجز وجبان .

والمأمون هو نفسه الذي يتعامل الآن مع الإمام الجواد عليه السلام، مستفيداً
إلى حصيلة واسعة من الخبرة والتجارب، وقد أصبح أكثر إصراراً على
المضي في خططه الماكرة، الرامية لإنهاء أمر الإمامة والإمام، ما دام يرى
فيهما خطراً جدياً، يتهدد وجوده ومستقبله في الحكم ويقلقه باستمرار .

والعجب العجيب كيف نصدق بأن المأمون قد أصبح بين عشية وضحاها تقياً ورعاً فيما يدعيه من الاعتقاد بإمامة الأئمة، ومهتماً بإظهار علومهم ومعارفهم التي اختصهم الله تعالى بها.

ثم تزويجه ابنته أم الفضل للإمام الجواد وإظهار المحبة والإكرام له، كما فعل سابقاً مع أبيه الإمام الرضا عليه السلام من تزويجه ابنته الأخرى مع إظهاره المزيد من المحبة والتبجيل المصطنع له أيضاً. حتى أنه جعل الإمام الرضا ولي عهده...

فإذا كان ذلك عن سياسة دهاء ومكر، كما ثبت بشكل قاطع فليكن ما يجري منه تجاه الإمام الجواد كذلك أيضاً، ما دامت الدلائل والمبررات لذلك الدهاء لا تزال قائمة.

المأمون ابن أبيه هارون

يقال الولد سر أبيه، والمأمون نشأ وتعلم فن الحكم من ظلم وجور ومكر وطغيان من أبيه هارون.

ولدينا رسالة أرسل بها إمام مكة سفيان بن عيينة إلى الخليفة هارون الرشيد.

وملخص هذه الرسالة التي تعد وثيقة تاريخية هامة في تلك الفترة من الزمن، لأنها تصور حقيقة الوضع في عهد هارون. وشأنها شأن رسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون وكلاهما يعطينا صورة واضحة عما كان يمارسه خلفاء ذلك الوقت من جرائم وموبقات.

وحكاية هذه الرسالة هي: أن الرشيد أرسل إلى ابن عيينة كتاباً يتودد إليه فيه، ويطلب منه أن يقدم عليه.

فلما وصل الكتاب إلى سفيان بن عيينة، رماه من يده، وقال لآخوانه: ليقراه بعضكم؛ فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم...

فلما قرعوه، أمره أن يكتب إلى هارون الظالم فقالوا:

«من العبد الميت سفيان، إلى العبد المغرور بالآمال هارون الذي سلب حلاوة الإيمان، ولذة قراءة القرآن..»

أما بعد:

فإني كتبت إليك أعلمك : أني قد صرت حبلك ، وقطعت وذك وقليت موضعك ، وأنت جعلتني شاهداً عليك ، باقرارك على نفسك في كتابك : بما هجمت على بيت المسلمين ، فانفقته في غير حقه ، وأنفذته بغير حكمه ، ولم ترض بما فعلته ، وأنت ناء عني ، حتى كتب إلى تشهدني على نفسك ، فأما أنا فإنني قد شهدت عليك ، أنا واخواني الذين حضروا قراءة كتابك ، وسنؤدي الشهادة غداً بين يدي الله الحكم العدل . .

يا هارون ، هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم . هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم ، والعاملون عليها بأرض الله ، والمجاهدون في سبيل الله ، وابن السبيل ؟ أم رضي بذلك حملة القرآن ، وأهل العلم ؟!

أم رضي بفعلك الأيتام والأرامل ؟!

أم رضي بذلك خلق من رعيتك ؟!

فشد يا هارون مثزرك ، وأعد للمسألة جواباً ، وللبلاء جلباباً ، واعلم أنك ستقف بين يدي الله الحكم العدل ، فاتق الله في نفسك ، إذا سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة قراءة القرآن ، ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً ، وللظالمين إماماً . .

يا هارون ، قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت ستوراً دون بابك ، وتشبهت بالحجة برب العالمين . ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون ، ويشربون الخمر ، ويحدون الشارب ويزنون ، ويحسدون الزاني ، ويسرقون ، ويقطعون أيدي السارقين ، ويقتلون ، ويقتلون القتال .

أفلا كنت هذه الأحكام عليك ، وعليهم ، قبل أن يحكموا بها على الناس ؟! فكيف بك يا هارون غداً ، إذا نادى المنادي من قبل الله :

احشروا الظلمة، وأعوانهم، فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان إلى عنقك، لا يفكهما إلا عدلك وإتصافك، والظالمون حولك، وأنت لهم إمام، أو سائق إلى النار.

وكانني بك يا هارون.. . وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك، وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك، بلاء على بلاء، وظلمة فوق ظلمة، فاتق الله يا هارون في رعيتك، واحفظ محمداً ﷺ في أمته. واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك، إلا وهو صائر إلى غيرك، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها، واحداً بعد واحد فمنهم من تزود زاداً نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته.

وإياك، ثم إياك أن تكتب إلي بعد هذا؛ فإني لا أجيبك.. . والسلام.. .».

ثم أرسل الكتاب منشوراً، من غير طي، ولا ختم.. .

لقد تغدى المأمون من لبن أبيه، وشرب من مشربه، وتعلم منه فنون الظلم والغدر والحقد على الأئمة والإمامة كان همه كرسي الحكم والصولجان والسلطان وباع آخرته الباقية بدنياه الفانية.

توسع في فتوحاته وأمتلك البلاد الواسعة والمال الوافر فأصابه الغرور والنشوة والانتصار فتنكر للعباد وظلم الأئمة الأبطال أبناء الرسول الأكرم ﷺ.

وهكذا فعل المأمون ابن هارون بل زاد أباه جرأة على هضم حقوق الرعية فظلم وما عدل وقتل وما ندم، حتى سولت له نفسه فقتل أخاه الأمين من أجل التفرد بكرسي الحكم. ولا غرو.. . فمن سهل عليه قتل أخيه إلا يسهل عليه قتل الإمام الجواد.. .

سياسة دهاء والتآمر

المأمون الذي كان قد حاول النيل من مقام الإمام الرضا عليه السلام بصنوف شتى من المكر والدهاء والتآمر، ثم اغتاله أخيراً بأسلوب حقير جبان وعاجز، هو نفسه المأمون الذي يتعامل الآن مع الإمام الجواد عليه السلام معتمداً إلى حصيلة واسعة من التجارب والخبرة، ولعله أصبح أكثر إصراراً على المضي في خطته الماكرة والرامية قبل كل شيء إلى إنهاء أمر الإمامة والإمام، هذه الفكرة التي أفلقت منذ زمن بعيد ويحاول بكل ما أمكن من القضاء عليها. لأنه يرى فيها خطراً جدياً يتهدهده في وجوده ومستقبله في الحكم، ومعه بنو أبيه العباسيون.

ولكن نسي المأمون: ﴿...وَيَأْتِ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَزَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) ^(١).

والغريب العجيب كيف أصبح المأمون بين عشية وضحاها ورعاً، صادقاً فيما يدعيه من الاعتقاد بإمامة الأئمة ومهتماً باظهار علومهم، ومعارفهم التي اختصهم بها رب العالمين!!

ثم نقطة أخرى وهي تزويجه أم الفضل للإمام الجواد عليه السلام وإظهار المحبة له، لا يصلح أبداً شاهداً على ذلك، إذ هو ليس بأكثر من تزويجه

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

ابنته الأخرى لأبيه الإمام الرضا عليه السلام!! من قبل مع إظهاره المزيد من المحبة والتبجيل والإكرام له أيضاً، حتى أنه جعل أباه ولي عهده . .

فإذا كان ذلك عن سياسة دهاء ومكر وسوء نية - كما ثبت بشكل قاطع - فليكن ما يجري منه تجاه الإمام الجواد كذلك أيضاً، ما دامت الدلائل القوية والشواهد لاستمرار هذا المكر، وذلك الخداع لا تزال قائمة .

فشل التقديرات المأمونية:

كان هم المأمون الأكبر هو أن ينقطع الإمام الجواد عليه السلام ولو في مسألة واحدة، كما كان دأبه مع أبيه الإمام الرضا عليه السلام من قبل . . لكنها كلها كانت فاشلة .

أما بالنسبة للإمام الجواد فقد كانت التقديرات المأمونية ومن ورائها العباسية تتجه نحو الاعتقاد بأن ما جرى على لسان هذا الطفل في اختيارات عديدة ربما كان لديه خبر بذلك عن آبائه وأجداده عليهم السلام مما لو طرحوا عليه مسألة صعبة ودقيقة، لا تدرك بالعقل، بل تحتاج إلى تعليم، فإن هذا الطفل قد فارق أباه مدة طويلة، ولم يقض معه ما يمكنه فيها تلقي العلوم والمعارف الكافية، لأنهم بحسب ما الفوه في مجتمعهم آنذاك، غير قادر على استيعاب جميع ما يلقي إليه من علوم عديدة ومعارف مختلفة ومعقدة .

عودة إلى مؤامرة جديدة

لقد توهموا عجز الإمام الفتى عن مسائل يحيى بن أكثم الصعبة والمعقدة بمحضر من الأعيان، والقواد، والحجاب وغيرهم، ولسوف يظهر للناس جميعاً:

أن إمام الشيعة، وقائدهم طفل صغير، لا يعقل، ولا يعلم شيئاً، وأن ما يدعونه الشيعة في أئمتهم، إنما هو ظل زائل وترهات باطلة لا حقيقة لها

ولا واقع. وجاءت صياغة هذا الحدث بنحو لافت وطريف، مما يعطي المأمون الفرصة السانحة والمبرر المقنع للإمتناع عن تسليم الإمام الجواد عليه السلام زوجته أم الفضل، التي كان قد عقد له عليها منذ سنوات، أو على الأقل كان قد سماها في احتفال عام، لم يبق أحد في الدولة الإسلامية المترامية الأطراف إلا وقد عرف به، وتعجب منه، وتتبع أخباره بدقة متناهية. . لقد استطاع المأمون الداهية أن يجد المبرر للإمتناع عن تزويج ابنته إلى رجل يدين بإمامته الشيعة، وسوف يشيع بين الناس وفي جميع الأقطار، ولا سيما العلماء الحضور مع سعة نفوذهم وأهميتهم في ذلك المجتمع المزيف والمادي، وسيصبح حديث إمام الشيعة في كل المحافل والندوات، أن المأمون حرم الإمام من زوجته لقصوره سيما وهي ابنة أعظم رجل في العالم الإسلامي.

وقد يحصل هذا الخبر لأن كل أجهزة الإعلام والتشهير بيده، ويبرر لهم المأمون سبب هذا الحرمان!!

لكن هذه المؤامرة المأمونية ولت أدراجها الرياح كغيرها من المؤامرات السابقة، والسبب القاطع في ذلك أجوبة الإمام عليه السلام الجامعة والدقيقة أفشلت المأمون وجعلت الأمور تسير في غير صالحه، وعلى خلاف ما يريد وانقلب السحر على الساحر.

أدرك جميع الناس سوء النوايا:

أدرك الناس جميعاً، حتى من غير الشيعة، سوء نوايا السلطة في قصة تزويج الإمام بينت المأمون، ويعلمون جيداً عن هذا التزويج المكروه، أنه للقضاء على الإمام عليه السلام والتخلص منه ومن الإمامة.

حدّث الحسين بن محمد بن علي، عن محمد بن حمزة الهاشمي عن علي بن محمد قال :

«دخلت على أبي جعفر عليه السلام صبيحة عرسه، حيث بنى بابنة المأمون، وكنت تناولت من الليل دواء، فأول من دخل عليه من صبيحته أنا، وقد أصابني العطش وكرهت أن أدعو بالماء، فنظر أبو جعفر عليه السلام في وجهي وقال: أظنك عطشاناً.

فقلت: أجل.

فقال: يا غلام، أوجارية، أسقنا ماء.

فقلت في نفسي: الساعة يأتونه بماء يسمونه به، فاغتنمت لذلك، فأقبل الغلام ومعه الماء..

فتبسم في وجهي، ثم قال: يا غلام ناولني الماء. فشرب، ثم ناولني فشربت وأظلت عنده، فعطشت وكرهت أن أدعو بالماء، ففعل ما فعل بالأولى.

فلما جاء الغلام ومعه القدح، قلت في نفسي مثل ما قلت في الأولى، فتناول القدح، ثم شرب، فناولني وتبسم.

قال محمد بن حمزة: فقال لي محمد بن علي الهاشمي:

والله، إنني أظن أن أبا جعفر يعلم ما في النفوس كما يقول الرافضة^(١).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بين الإمام عليه السلام والمأمون والعباسيين ولا عند حد ما جرى بين الإمام والمأمون ويحيى بن أكرم، حينما أراد أن يقطع الإمام ولو في مسألة واحدة..

(١) البحار ج ٥٠، ص ٥٠ - ٥٤ والارشاد للمفيد ص ٣٦٦. والكافي ج ١، ص ٤١٤ - ٤١٥.

بل عادت المحاولة الخبيثة من جديد، في ثوب يحيى بن أكثم لي طرح مسائله على الإمام عليه السلام وعلى عادته عليه السلام يتسم بمرارة وسخرية ويجيب على المسائل بجرأة واطمئنان .

وهو يعلم: أن هذه المحاولات ستزيد المأمون خزيًا وحقداً وتزيد الإمام قوة في استقطاب سائر الجماهير من الشيعة وغير الشيعة .

وقد جاءت الأسئلة هذه المرة بلون مختلف، إذ أنها ترتبط بفضائل أبي بكر وعمر . وذلك بحضور جماعة كثيرة من العلماء وفيهم المأمون . وكالعادة كلها باءت بالفشل والخسران^(١) .

احتفاظ الإمام بالخط المحمدي الصحيح:

لكن الإمام التقي العالم عليه السلام استطاع في إجابته على تلك الأسئلة المحرجة أن يحتفظ بخطه الصحيح - خط أهل البيت عليهم السلام ، وأعطى رأيه الصريح والصائب في جميع الأمور التي طرحت عليه من جهة، وأن يسد الطريق أمام العامة من الناس وأهل العلم والفقهاء الذين يخالفونه الرأي في هذه المسائل من جهة أخرى .

وزد على ذلك: إلى أنه لم يترك أي مجال لاستغلال غير مسؤول، من قبل المتربصين الفرصة لذلك وعلى رأسهم المأمون العباسي بالذات، الذي فشل وافتضح أمره أمام الجماهير عامة . حيث أن الإمام عليه السلام قد طرح القضية بشكل علمي هادئ، قائم على المنطق الصريح الذي لن يجد أحد عنه محيصاً، فقد تعلم من أبيه وجده عليهم السلام الرصانة في التعبير، والتهديب في الحديث، والصراحة في الأسلوب، والرجاحة في الأخلاق، والسماحة في المعاطاة مع جميع الناس، العدو والصديق على حد سواء .

(١) راجع ذلك فيما سبق .

فشل المناظرات المأمونية:

لم نجد لتلك المناظرات العلمية، التي كان يهتم بها المأمون في عهد الإمام الرضا عليه السلام أي أثر سوى هذه الأحداث الثلاثة المشار إليها، والتي قد جرت بين يحيى بن أكثم والإمام عليه السلام باغراء من المأمون نفسه، علناً تارة، وفي الخفاء تارة أخرى.

والسؤال: لماذا اختفت رغبة المأمون بجمع العلماء وإقامة مجالس المناظرة مع الأئمة عليهم السلام واختفى معها ما كان يتظاهر به من حب العلم والعلماء، وبصورة نهائية؟!

فسبحان الله علام الغيوب وكاشف الكروب.

اسئلة تحريض وافتراء:

فمن خلال طرح هذه الأسئلة يتوضح التحريض على الإمام عليه السلام لأنه إذا أخذنا مكانة أبي بكر وعمر في الناس من جهة وأخذنا بنظر الإعتبار أيضاً: أن الإمامة لأهل البيت عليهم السلام معناها رفض إمامة غيرهم واعتبارهم معتدين وغاصبين فإننا نعرف أن طرح هذه الأسئلة على الإمام قد جاء في سياق خطة تحريضية مأكرة وخبيثة، وذلك:

لأن الإمام عليه السلام إذا قبل بتلك الكرامات والفضائل التي تنسب إلى أبي بكر وعمر، فإنه يكون قد نقض الأساس الذي تقوم عليه إمامته، وإمامة آباءه الطاهرين.

إضافة إلى ذلك أن الكثير من شيعته وأتباعه سوف يرتابون بالأمر، لعلمهم بأن ذلك خلاف ما عرفوه عنه وعن آباءه عليهم السلام وخلاف ما ثبت لديهم في هذا المجال . . .

وقد لا يمكنهم تفسير ذلك على أساس مبدأ العمل بالتقية لأنهم يرون أن المأمون معه وإلى جانبه، وهذا ما يوقعه في تناقض مريب وصریح معهم.

وفوق ذلك: أن اتباع الخلفاء سوف يعتبرون هذا نصراً لهم، وسيتمكنون من خداع الكثيرين بهذا الإقرار الصريح أما من جهة أخرى، أي أنه إذا أنكر تلك الفضائل وردّها فإن عامة الناس، وأرباب سائر الفرق، سوف يشعرون ضده، ولعل ذلك يتم بتحريض خفي من المأمون نفسه وقد لا يرضيهم إبعاده من موقعه، الذي ترى السلطة نفسها مضطرة لأن تضعه فيه . . . فيطالبون بما هو أشد وأعظم، وأخطر وأدهى، ليس بالنسبة لشخص الإمام الجواد التقي المعصوم وحسب، وإنما بالنسبة لكل أتباعه ومحبيه وفي سائر الأمصار والأقطار . . .

سراب خادع:

وبعد كل ما تقدم يمكن القول أن المأمون بقي على حاله من حيث تظاهرة بوده للإمام الجواد قبل تزويجه بام الفضل أو بعد تزويجه، فلم يكن يوماً إنساناً خيراً كريماً ويوماً شيطاناً خبيثاً بل كان أحدهما في يومه معاً، والأحداث والوقائع التي سبقت وتلت، هي التي تثبت أيهما كان!! ومهما يكن من أمر فقد غر ظاهر المأمون كثيرين من أرباب العلم والفضل، حتى أنهم توهموا أنه كان يكره الإمام الجواد على الحقيقة، وأنه كان يعتقد بفضله، وعلمه، وأنه كان يوده ويحبه حتى أحله محل مهجته . . . على حد تعبيرهم^(١).

وخدع البعض فقالوا:

«قصد المأمون من عقد مجالس المناظرة مع الإمام الرضا عليه السلام لزعة مركزه ليهبط به، بينما كان قصده من المناظرة مع الإمام الجواد عليه السلام أن يظهر للملأ فضله . . .»^(٢).

(١) راجع الإرشاد للشيخ المفيد وإعلام الوري، وغيرها من المصادر التي تقدمت لقضية الزواج. وراجع أيضاً أعيان الشيعة ج ٢، ص ٣٣.
(٢) الإمام الجواد، لمحمد علي دجيل ص ٦٥.

بينما قد مر التصريح منه أكثر من مرة بما ينم على دخيلة نفسه ويؤكد سوء نيته كما في حديث طلبه من ابن أكثر أن يقطع الإمام ولو في مسألة واحدة، وأنه احتال عليه بكل حيلة... ولكن رغم كل تلك المؤامرات الرامية إلى الحط من الإمام الجواد عليه السلام في المناسبات المختلفة فإن الإمام بقي - جبلاً لا يهزه الريح - ولم تنل منه دسائس المبطلين وعوادي المنافقين. حتى قال المؤرخون: «احتال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكل حيلة، فلم يمكنه فيه شيء»^(١).

رب ضارة نافعة؟..

بعد هذه المؤامرات المأمونية والدسائس الخبيثة الرامية إلى الحط من الإمام الجواد عليه السلام في المناسبات المختلفة، ازداد الإمام سموخاً وتألقاً، وزاد أمره تجذراً ورسوخاً في قلوب طلاب الدنيا وعلى رأسهم المأمون نفسه..

واستطاع الإمام الجواد جوداً وتجاوز بالإمامة والأمة ذلك الخاض الصعب على أفضل ما يمكن...

فأقام الحجة الدامغة، وركز دعائم الدين، وأثار السبيل للمشككين والمدلجين حتى تجسد فيه قول أبيه الإمام المعصوم علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام أعظم بركة منه»^(٢).

(١) الكافي ج ١، ص ٤١٣، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٤، ص ٣٩٦. والبحار ج ٥٠، ص ٦١.

(٢) البحار ج ٥٠، ص ٢٣ و ٣٥، واعلام الورى ص ٣٤٧ والارشاد للشيخ المفيد ص ٣٥٨ والكافي ج ١، ص ٢٥٨، وروضة الواعظين ص ٢٣٧ والصراط المستقيم ج ١، ص ١٦٧ وإثبات الوصية ص ٢١١.

وفي زيارتنا له عليه السلام نقرأ ما يلي :

«هادي الأمة، ووارث الأئمة، وخازن الرحمة، وينبوع الحكمة وقائد البركة، وعديل القرآن في الطاعة، وأحد الأوصياء في الإخلاص والعبادة، وحجتك العليا، ومثلك الأعلى، وكلمتك الحسنى، والداعي إليك، والذال عليك، الذي نصبته علماً لعبادك، ومترجماً لكتابك، وصادعاً بأمرك وناصرأً لديك، وحجة على خلقك، ونوراً تخرق به الظلم وقدوة تدرك بها الهداية، وشفيعاً تنال به الجنة . . .»^(١).

ولم يزل أمر الإمام عليه السلام يعلو، ونجمه يتألف حتى أصبح بالرغم من صغر سنه يقر له بالعلم والفضل العدو والصديق، والمؤلف والمخالف . . . وقد أصبحت تلك المجالس التي كانت السلطة وراء إقامتها قد ساهمت في إظهار علمه وفضله، وانتشار صيته إلى حد بعيد . . .

وإذا عدنا إلى حادثة التزويج المكروه من بنت المأمون أم الفضل . نجد الثناء العظيم عليه، وكان عمره آنذاك تسع سنين - حيث يذكر المأمون نفسه : إنه اختاره لتمييزه على كافة أهل الفضل علماً، ومعرفة، وحلماً، على صغر سنه».

كما أنه «لم يزل مشغولاً، لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه، وكمال عظمته، وظهور برهانه، مع صغر سنه»^(٢).

(١) مفاتيح الجنان ص ٤٨١ عن ابن طاووس.

(٢) راجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٥٤ - ٢٥٣ والصواعق المحرقة ص ٢٠٤، ونور الأبصار ص ١٦١، وروضة الواعظين ص ٢٣٧، وكشف الغمة ج ٣، ص ١٤٣ - ١٦٠ واعلام الورى ص ٣٥٠ - ٣٥١ والارشاد للمفيد وغير ذلك مما تقدم في حديث ذلك الزواج . . .

وقال ابن الجوزي :

«وكان على منهاج أبيه في العلم، والتقى، والزهد، والجود»^(١).

وما نلفت إليه أن الجاحظ المعتزلي العثماني النزعة، والمنحرف عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته الأطهار، والذي كان معاصراً للإمام الجواد، ولابنائه من بعده عليه السلام :

قد جعل الإمام الجواد عليه السلام من الذين يعد من قريش، أو من غيرهم، ما يعده الطالبيون في نسق واحد، كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسك، شجاع، جواد، زاك، فمنهم خلفاء ومنهم مرشحون: ابن، ابن، ابن، هكذا إلى عشرة وهم:

الحسن بن علي، بن محمد، بن علي، بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن علي، بن الحسين، بن علي.

وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب، ولا من العجم...»^(٢).

(١) تذكرة الخواص، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٢) آثار الجاحظ ص ٢٣٥.

خطان مختلفان

خط الأئمة المعصومين:

مهما يكن من أمر... كان خط الأئمة عليهم السلام، رغم جهود السلطة لضربه، كان يزداد قوة وعمقاً، ولاسيما في الأوساط الثقافية، وفي قطاع العلماء، وأرباب الفكر وكان الأئمة عليهم السلام محط أنظار الناس ومهوى أفئدتهم ومنتج أفكارهم، يتمتعون بالاحترام والتقدير من مختلف الفئات الإجتماعية، الجميع يقر بفضلهم وعلمهم وعظيم تقواهم وطهارتهم.

والأمثلة كثيرة جداً. فعندما دخل الإمام الرضا عليه السلام نيسابور تجمهر الناس لاستقباله بين صارخ وبكاء...

فاملئ عليهم الحديث الشريف: «لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي...».

وعد الجماهير في ذلك الإستقبال العظيم ما يزيد على العشرين ألفاً^(١).

(١) عيون أخبار الرضا ج٢، ص ١٣٥ والصواعق المحرقة ص ٢٠٢ ونبأيع المودة ص ٣٦٤ و٣٨٥ وبحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٢٣ و١٢٦ و١٢٧ - والفصول المهمة ص ٢٤٠ - وكشف الغمة ج ٣، ص ٩٨ وحلية الأولياء ج ٣، ص ١٩٢ ونور الأبصار ص ١٥٤ وأمالى الصدوق ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

خط الخلفاء العباسيين:

يظهر من سير الأحداث أن الأئمة عليهم السلام بعد الإمام الكاظم قد بلغ من عصمتهم في نفوس المسلمين:

إن وجد الخلفاء أنفسهم بين نارين، فهم من جهة أصبحوا غير قادرين على إيصال الأذى إليهم بصورة علنية وسافرة تثير عواطف الناس وتجرح مشاعرهم؟

كما أنهم لا يمكنهم من جهة أخرى أن يتركوهم وشأنهم، يتصرفون بحرية تامة، وكما يشاؤون. فاضطرهم ذلك لانتهاج سياسة جديدة تجاههم عليهم السلام فكان قضية لعبة ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام من قبل المأمون. ثم موقفه من الإمام الجواد وبعد ذلك موقف المتوكل العباسي، الطاغية الظالم الذي كان من أشد الناس بغضاً لأهل البيت عليهم السلام، من الإمام الهادي عليه السلام حيث استقدمه إلى سامراء، ليجعله على مقربة منه، فكان يكرمه في ظاهر الحال، ويغني له الغوائل في باطن الأمر فلم يقدره الله عليه^(١).

سؤال يطرح نفسه:

من اللافت أن الأئمة عليهم السلام لم يظهر أنهم يخططون لتسلم زمام الحكم والسلطان بالفعل، مع أن الناس في ظاهر الأمر إما في خطهم، أو على الأقل ليس لديهم حساسية تجاههم ولا يرفضون السير في خطهم... ولاسيما أن الطليعة الواعية المثقفة، التي كان فكرها يهيمن على مختلف القطاعات في الأمة، كانت إلى حد كبير مدينة لهم عليهم السلام. في فكرها وفي بناء شخصيتها، فلماذا لا نجد بوادر جديدة من قبلهم في هذا الإتجاه؟! في هذه العجالة لا بد من أن نعطي تصوراً ولو محدوداً عن واقع الفترة

(١) الفصول المهمة ص ٢٢٦ والارشاد ص ٢١٤ والبحار ج ٥٠، ص ٢٠٣.

التي عاشوها، وعن مدى إمكانية القيامة بحركة حاسمة على هذا الصعيد،
وقيام ثورة عارمة؟! نقول:

الثورة قبل اوانها خسارة فادحة:

مع العلم من تخرج الكثير من الطلاب الذين تخرجوا من مدارس الأئمة
المعصومين، وتمكين الأئمة من تربية العديد من العلماء، وتخريج الكثير من
جهاذة العلم. . .

وإن كان هذا الأمر ينعكس على كافة القطاعات في الساحة الإسلامية
وكان له الأثر في التكوين الفكري والعاطفي لكن هذا الأثر لم يتعد بعده
العاطفي، ولم يصل إلى درجة أن يصبح التكوين العقائدي الراسخ، الذي
من شأنه أن يجعل الفكر الحي، يتفاعل مع العاطفة الصادقة، ليكون وجداناً
حياً، من شأنه أن يتحول بصورة عفوية وطبيعية إلى موقف رسالي على صعيد
الحركة والعمل.

وعلى هذا. . فلم يكن الممكن من الإعتماد على هذا الوعي ولا على
تلك العاطفة في القيام بحركة تغييرية جذرية وحاسمة، ولا سيما بما كان
يسيطر على الناس عموماً من ميل إلى الراحة والحياة المادحة، ومن
الاستسلام لحياة اللذة والترف، التي تستتبع الركود والضعف والخوف من
الإقدام على أي حركة تغييرية تستهدف التغيير فيما ألفوه واعتادوا عليه.

ولو فرضنا أنهم في غمرة هيجانهم العاطفي قد نجحوا في حسم
الموقف لصالح الإتجاه الآخر، فإن رصداً فكرياً وعاطفياً وحسب، أي من
دون بعد عقائدي، وأصالة في الضمير وفناء وجداني لن يكون قادراً على
حماية استمرار الحركة وسلامتها، ولا على تحمل مسؤولياتها التغييرية.

بل سوف تترد هذه الحركة على نفسها وتنقض مبادئها.

وتستأصل نبضات الحياة فيها . . وذلك لأن العاطفة تخمد ويخبو وهجها، ما دام لم يعد ثمة ما يثيرها ويؤججها . . وسيصبح الفكر خامداً جافاً، حينما تهب عليه رياح المصالح والأهواء الخاصة، فتجعل منه بالتالي هشيماً تذروه الرياح، إن لم يعمل على اصلاحها وتوجيهها ليهتئ لها الفرصة على النحو الأكمل والأمثل .

ما أثبتته التجارب المتكررة:

الزيدية . . للإعتبار: رأينا بوضوح كيف فشلت الحركة الزيدية الكبيرة، وكيف سهل القضاء عليها، حتى وكأن شيئاً لم يحدث رغم سعة نفوذ الزيدية على مختلف الأصعدة وفي جميع المجالات، ورغم سيطرتها التامة على الأمور، سياسياً واعلامياً، وثقافياً، وعاطفياً. وما ذلك إلا لأن حركات الزيدية، هي حركات سياسية بالدرجة الأولى، ولا يميزها سوى أنها تدعو إلى كل من قام بالسيف من آل محمد ﷺ ولم يكن لها أصالة فكرية وعقائدية راسخة، تنبع من الوجدان، وتنطلق من الروح .

إن هذه الحركات - إنما كانت تعتمد على هذا المد العاطفي المتأجج، وعلى ذلك الوعي العقلي الناشف، الذي لم يصل إلى حد مزج العاطفة بالفكر، والفكر بالوجدان، لينتج من هذا الامتزاج موقفاً رسالياً، تبذل دونه المهج، بل كان يجد من العراقيب والمعوقات النابعة من داخلهم، ما يجعل الإعتماد عليه كمن يعتمد على سراب . أو كالغريق الذي يتمسك بالطحلب .

إذن . . لم يكن للأئمة ﷺ والحالة هذه: أن يقدموا على المجازفة فتزج الأمة الإسلامية في صراع لن تكون نتيجته سوى الفشل الذريع، والخيبة القاتلة، في ذلك الوقت الراهن والظروف غير المناسبة .

ومعنى ذلك هو: أن تتلاشى دعوتهم بسهولة وينتهي أمرهم تماماً كما

كان الحال بالنسبة للزيدية وأمثالهم، ومن الواضح، عند الإنسان المنصف، أن إنهاء أمر الأئمة، عليهم السلام، يعني إنهاء أمر الإسلام وتدمير الأمة، والقضاء على كل نبضات الحياة الشريفة، وذلك أم خطير للغاية بحيث لم يبق لدى الجماعة العادلة ما يناسبهم من أمور التغيير ولن يبقى لديهم حجة قاطعة ليقولوا عن الأخطاء الفاحشة في السياسة والسفه في التدبير، والخيانة العظمى. لأن الأئمة هم سفينة النجاة من ركبها نجا ومن تركها عمي عن الحق وضل السبيل.

سَوَّكَ سَاوَرَتْ عَقْرُكَ الْبِطَاءُ

قد يسأل سائل عما حمل الإمام الجواد عليه السلام على الأذعان للأمر الواقع، والانقياد إلى أمر يعرف عقباه؟ .

وكيف وافق على مصير هو عالم حق العلم بأنه ملاقيه؟
وكيف يأمن جانب مأمون غير مأمون قتل أباه بالسم فقتل الآباء يبعد الأبناء .

وهل يقنع عاقل بأن إماماً معصوماً عارفاً، يمضي مع عدوه إلى آخر الطريق الذي يعلم نهايته؟!!

هذه التساؤلات - وما شابهها هي غاية الأهمية والصدارة وهي تستحق الإجابة عليها لولا أنه: إمام وحجة على الخلق مضى على ما مضى عليه جده أمير المؤمنين عليه السلام حين برز إلى مسجد الكوفة، مضجع قتله . . .

وجده الإمام الحسين، سيد الشهداء، يوم خرج إلى مصرعه في كربلاء وهو يعلم يقيناً مصيره؟ وغيره من آباء الأئمة الطاهرين المنتجبين، الذين شربوا السم وكلهم عالمون بذلك، مدعون لمشية الله عزَّ وجلَّ .

فالأئمة المعصومون كانوا محل بلاء الله واختباره، كرُسله . . . ابتلوا بالظالمين وابتلى بهم الظالمون، وامتحن أصحاب الظنون وضل عن معرفة سرهم وفلسفة تصرفاتهم الجاهلون .

وبهذا قال الإمام الجواد عليه السلام :

«الصبر على المصيبة، مصيبة عند الشامت بها».

لقد أجاد الإمام الجواد بقوله هذا على خلفية السلبيات في هذه التساؤلات في أذهان الجاهلين الحاقدين، ومحا بقوله علامات الاستفهام والتساؤلات التي ترسم في مخيلات الشاكين والمرتابين، حين يروونه صابراً على العيش مع أعدائه وقتله أبيه، وعلى رأسهم السلطان المتربع على قمة هرم العداوة، الذي زوجه بنته أم الفضل لعنها الله وهو يعلم أن «ذاك» أو هذه» أو «هما معاً» سيقتلانه لقد كان الإمام الفتي يجثم على صدورهم وترتعد منه فرائسهم ويضج أركان سلطانتهم حين لا يداريهم ولا يجاريهم في الجهر بالحق! ..

وماذا كانت النهاية هو أب إلى جنة المأوى مع أبيه وأجداده ومع جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهم أبوا بالخزي والعار، والنار وغضب الجبار إلى جهنم وبئس المصير.

لقد كان بينهم إماماً محترماً موقراً ومات بأيديهم الملطخة بدمائه الزكية وبقي إماماً وحجة لله وولياً للأحياء وميتاً» كانوا قبل قتله ظالمين وبعد قتله خائفين وجلين، ماتوا خاسرين الدنيا التي لم يخلدوا فيها، والدين الذي ضيعوه، وللآخرة التي هم في موقفها سامدون!

حيث ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ (١).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

فیتلقاهم ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللّٰهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (١).

وعلى أي حال فالسياسة التي كانت متبعة مع الهاشميين من قبل الحكم الإسلامي لم تتبدل منذ لحوق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى هي سياسة تضيق وإفقار يؤدي أولاً إلى الإقامة الجبرية، ثم ينتهي بالعنف الذي يتصل إلى القتل، حتى لكأن ذرية النبي ﷺ كانت غريبة عن الإسلام، عدوة للمسلمين أو لكأنها ذخيلة على الإسلام من الترك أو الديلم! .. لا بل أن الترك والديلم قد تحكّموا ببعض الخلفاء، ولعبوا بعروشهم وولوا من أرادوا، وصرفوا المال، وقتلوا الرجال، وقادوا الجيش وحكّموا الناس، وزووا الخليفة في قصره، وتصرفوا كما أرادوا في البلاد والعباد.

في حين أن الإسلام هو دين العدالة والمساواة والإنسانية لم يفرق بين عربي وعجمي. لكن أهل البيت ﷺ تعاملوا بالقسوة والظلم والحرمان، فهل كان هذا جزاء الرسول الأكرم في عترته!!!

لقد طلب من المسلمين أن يوادوا أهل بيته فحادوهم!

وأوصى أن يحفظوه بحفظهم.. فقتلوهم!

ورغب في حبهم فابغضوهم!

وركز طيلة عهد الرسالة على توليهم، فأنكورهم وأبعدوهم! كل ذلك في سبيل الملك الذي قال عنه المأمون بعد أن قتل أخاه الأمين وأمر بنصب الرأس على خشبة في صحن الدار. ولما عوتب على ذلك من بعض أصحابه قال:

«يغتفر كل شيء إلا القدح في الملك!».

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

ولما خُلف إليه الأمر قال: هذا مُلك لولا أنه بعده هلك!
وهذا سرور لولا أنه غرور.

«إن الملك عقيم لا رحم له»^(١).

وبعد هذا هل نستغرب أن يدس السم إلى الإمام الرضا عليه السلام وبعده إلى
إبنته الإمام الجواد؟!!

(١) راجع مروج الذهب ج ٣، ص ٤١٣ و ٤١٩.

مهمة هامة في التاريخ الإسلامي

لكل إمام من الأئمة المعصومين مهمة هامة قام بها على أكمل وجه حسب ما تمليه عليه الظروف المحيطة به، من اجتماعية وعسكرية وسياسية . . .

وكانت مهمة الإمام الجواد عليه السلام صعبة جداً وهامة جداً .

تسلم الخلافة وهو فتى لا يزيد عمره عن تسع سنوات، وقام بمسؤولية الإمامة على أكمل وجه حتى أعجب به الجميع من قريب أو بعيد .
وأهمية ما قام به هذا الإمام العظيم له أثر كبير :

- في تثبيت قواعد الدين، والحفاظ على خط الإمامة .

- وفي التمهيد لذلك الحديث الكبير والعظيم الذي تجسد بإمامة الإمام المهدي المنتظر - عجل الله فرجه الشريف، وأرواحنا له الفداء، ثم غيبته الصغرى والكبرى عليهما السلام وإذا كان ثمة أحداث كبرى لا يمكن أن تنسى في حياة الأمة والأئمة عليهم الصلاة والسلام، فإن هذا الحدث لا بد أن يكون منها وفي طبيعتها أيضاً فإنه لا يقل في أهميته .

- عن هدية الإمام الحسن عليه السلام مثلاً .

- ولا عن البيعة بولاية العهد للإمام علي الرضا عليه السلام .

- ولا عن غيرهما من الأحداث الهامة والخطرة . .

وذلك لأنه يرتبط مباشرة بالهيكلية العقائدية للأئمة ولهذه الطائفة، التي تدين باستمرار بخط الإمامة المنصوص عنها من الرسول الأعظم ﷺ .
وعلىنا نحن أنصار الأئمة وأتباعهم أن نجهد في دراسة حياة الأئمة عليهم الصلاة والسلام من كافة جوانبها، وذلك للاستفادة منها في حياتنا الفكرية والعملية، فإنهم ﷺ هم القدوة، وهم الأسوة، وهم أئمة الهدى، وأعلام التقى، وسفينة النجاة.

وقد اتبع الإمام الجواد طريقة أبيه وأجداده في أمور هامة نذكرها باختصار:

١ - وضع معالم نظام المرجعية والتقليد حيث يكون المرجع هو ولي أمور الأئمة نيابة عن الإمام المعصوم، ويقوم بجميع مسؤوليات الإمام ويستمد شرعية طاعته من وجوب طاعة الإمام.

وقد وضع الإمام حسن العسكري ﷺ حدود وضوابط المرجعية والتقليد بوصفه آخر إمام كان على اتصال مباشر بالشيعة.

٢ - تشجيع الحركة الفكرية من خلال فتح باب الاجتهاد لذوي الكفاءة والخبرة الدينية ليتمكن المسلمون من تطبيق شريعة الإسلام في كل زمان ومكان ومواكبة تطور الحياة والحث على طلب العلم وتكريم العلماء قال تعالى:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾﴾^(١).

وقال الإمام الصادق ﷺ: وقد ذكر عنده عدد من أصحابه المقربين:

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

«لولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا الفقه، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي ﷺ على حلاله وحرامه وهم السابقون إلينا في الدنيا والآخرة»^(١).

أما الحدث على العلم وتكريم العلماء فقد بلغ حداً بعيداً. وقد بين الإمام الهادي ﷺ دور العلماء المخلصين في صيانة الدين ونقله عبر الأجيال لهداية الناس. قال ﷺ:

«لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم ﷺ من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بمسبح الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل»^(٢).

٣ — الحث على التدين والتأليف:

السنة الشريفة هي شرح وتوضيح للقرآن الكريم، والحفظ وحده لا يكفي لانه عرضة للنسيان والتحريف والاشتباه في النقل عن قصد وعن غير قصد. فلا بد والحالة هذه من ضم الحديث الشريف إلى القرآن الكريم لتكون الصورة واضحة وهذا معنى حديث الثقلين المشهور:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً»^(٣).

حاول حكام العصر الأموي والعباسي طمس آثار أهل البيت ﷺ

(١) الغدير ج ١٠.

(٢) سيرة الأئمة الإثني عشر ج ٢، ص ٥٦٦.

(٣) الإحتجاج ج ٢، ص ٢٦٠ ونقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية للمؤلف د. حسين الحاج حسن ج ١، ص ٩٥.

فمنعوا التدوين للحديث الشريف وعاقبوا عليه حتى كانت نهاية العصر الأول الهجري في عهد عمر بن عبد العزيز حيث أمر بتدوين الحديث .
ولا ريب أن أئمة أهل البيت، أئمة الهدى والبيان، والأصل في شرح معاني القرآن رفضوا الانصياع لهذا القرار المجحف وواصلوا تدوين الحديث^(١) .

واستمرت حركة التدوين وبلغت قمتها في عهد الإمامين :
الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما الصلاة والسلام، فقد ألف أصحابهما أربعماية كتاب سميت بالأصول الأربعماية تحوي جميع نصوص أحاديثهم^(٢) .

كما نشطت حركة التأليف في زمن الإمامين العسكريين الإمام الهادي والإمام حسن العسكري عليهما السلام في المناطق الآمنة من رقابة السلطة .

وكانت مدينة قم في الجمهورية الإسلامية تنصدر المراكز الشيعية في هذه الحركة الفكرية المباركة حيث بلغت أوجها .

فكانت تعرض الكتب بأمر الإمام عليه السلام على علمائها للتأكد من صحتها ومطابقتها لأصول المذهب^(٣) .

٤ — وضع شروط وضوابط للحديث:

اهتم علماء الشيعة في تدوين الحديث ووضع شروط وضوابط فكتبوا في:

أقسام الحديث وصفات المتحدث وكيفيات تحمل الحديث، وطرق

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) راجع عقيدة الشيعة للإمام الصادق عليه السلام ص ٢١٨ .

(٣) سيرة الأئمة الإثني عشر ج ٢، ص ٥١٦ .

رواية الحديث، وطبقات الرواة، ومشكلة الوضع في الحديث، ووضع قواعد الموضوع من الحديث:

مع علامات الوضع في السند وعلامات الوضع في المتن^(١).

٥ - التنبيه على الطابور الخامس:

اندس فريق من أعداء أهل البيت عليهم السلام على وضع الأحاديث المكذوبة والتحريف الصحيح وبت الأفكار الفاسدة والعقائد المنحرفة. مما دفع علماء الشيعة الجهابذة بفضحهم على رؤوس الأشهاد والتحذير من أتباعهم قال الإمام الصادق عليه السلام: . . . «إنما الأمور ثلاثة:

- أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يرد حكمه إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله، حلال بين وحرام بين، وشبهات تتردد بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات، وهلك من حيث لا يعلم»^(٢).

وعند عدم الاطمئنان بالحكم مطلقاً، فقد حثوا عليهم السلام على الاحتياط في جميع الأمور ما أمكنهم ذلك.

٦ - ضرورة اهتمام المسلمين بعضهم بأمور البعض:

فانطلاقاً من حديثهم الشامل لكل الأمة:

«من أصبح ولا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»^(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) راجع نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية ج ١، ص ٣٦٥.

(٢) الإحتجاج ج ٢، ص ١٠٦ ووسائل الشيعة ج ١٨.

(٣) السيرة ج ٢، ص ٥٧٥.

«من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»^(١).

٧ — عدم الرجوع إلى قضاة السلطة:

من الأصح التحاكم إلى قضاة من أصحابهم لحل الخصومات فيما بينهم، وعدم الرجوع إلى قضاة السلطة لحلها، لأنهم كانوا أبواق السلطة ينطقون برأيها الظالم والجائر قال أبو عبد الله عليه السلام :

«من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الجبت والطاغوت المنهي عنه، وما حكم له به فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت، ومن أمر الله عز وجل أن يكفر به، قال تعالى: «يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به»^(٢).

٨ — التأكيد على توثيق العلاقات الإجتماعية:

وذلك لزيادة الإلفة والتقارب. ومن هذه المناسبات زيارة المرضى، والتهنئة بالأفراح، وتشيع الجنائز والتعزية بالمصائب واطعام الطعام، وافشاء السلام^(٣).

يروى أن صعصعة بن صوحان مرض ف جاء إليه أمير المؤمنين عائداً زائراً ومما قال له عليه السلام :

لا تتخذن زيارتنا إياك فخراً على قومك، فاجابه:

لا يا أمير المؤمنين ولكن ذخراً وأجرأ^(٤).

(١) جامع السعادات ج ٢، ص ١٧٦.

(٢) السيرة ج ٢، ص ٥٧٤.

(٣) جامع السعادات وأصول الكافي.

(٤) وسائل الشيعة ج ١٠.

ومشى الإمام الكاظم عليه السلام في جنازة قلما أنزل الميت إلى قبره قال: إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله وإن شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف من آخره.

وعزى أمير المؤمنين عليه السلام عن ميت مات لهم فقال عليه السلام:

إن هذا الأمر ليس لكم بدأ ولا إليكم انتهى، وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض أسفاره، فإن قدم عليكم وإلا قدمتم عليه^(١).

وعزى أمير المؤمنين الأشعث بن قيس عن ابن له فقال:

يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد استحقت منك ذلك الترحم وإن تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف.

يا أشعث، إن صرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور، يا أشعث ابنك سرّك وهو بلاء وفتنة، وحزنك وهو ثواب ورحمة^(٢).

نخلص من كل هذا إلى القول أن الأئمة عليهم الصلاة والسلام يشاركون الناس في السراء والضراء والمناسبات الإجتماعية ليعلموا شيعتهم هذا السلوك الإيجابي الفعال في بناء العلاقة بين أفراد الأمة على المحبة والتآلف ليكون صفواً واحداً موحداً.

(١) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٧، ص ٣٩٤.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٧، ص ٣٩٤.

دور الإمامة في إصلاح الأمة

لا بد للإمام المعصوم أن يمارس المهام نفسها التي كان يمارسها النبي ﷺ في حياة الأمة من تبليغ الرسالة، وهداية الأمة إلى الرشاد. . أصالة عن دوره في تحمل أعباء الإمامة المتعينة من قبل السماء والتي «هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء»^(١) ونيابة عن النبوة الخاتمة باعتبارهم الإمتداد الطبيعي لها بما اكتسبوه من عصمة في الفكر والسلوك. و«إن الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول ﷺ»^(٢).

ولهذا فإن حاجة الناس إلى الإمام حاجتهم إلى النبي ﷺ لتعليق نظام أمورهم الدينية والدنيوية.

ذلك كانت دراسة حياة الأئمة باعتبارهم أوصياء رسول الله واجبة أن تعتمد المنهجية الأصيلة في البحث، فتبرز خصائص الإمام الذاتية وسيرته وسلوكه على أنها متممة للسيرة النبوية المباركة من جهة، ولا يبرز التكليف الإلهي لمنصب وصاية الأنبياء، ثم هداية الشعوب والأمم إلى خط الإسلام الصحيح الأصيل، كما كان يفعل رسول الله ﷺ إبان الدعوة وبعد انتشار الإسلام.

(١) الكافي ج ١، ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

وهكذا تحتفظ مسيرة حركة الأنبياء بتعجيلها في انطلاقها إلى نهاية عمر الدنيا، حيث أن الإسلام رسالة خاتمة وليس بعده نبوة أو رسالة.

ولهذا اكتسب منصب الإمامة والوصاية أهمية بالغة وخطيرة في حركة الأمة، ومن هنا ندرك معنى قول النبي ﷺ:

«من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي»^(١).

فمن خلال هذه السلسلة الطاهرة لأئمة الهدى الإثني عشر نطالع النموذج الأمثل لسيرة أولياء الله الصالحين. الهادين المهديين، وهي تضارع سيرة الأنبياء إن لم تكن تماثلها أو تسمو عليها.

وهكذا نجد أن جميع الأئمة كل له دوره المتميز الذي يتناسب مع الظروف، وهم جميعاً متدون في الصفات والأهداف ومنهم أمامنا الجواد الذي لا يختلف عن آبائه المعصومين ورغم قصر حياة الإمام الجواد عليه السلام فقد تميزت حياته بدور فاعل ومؤثر في حركة المجتمع خاصة، فقد مهد الطريق وهيا الأجواء لثلاثة أئمة أتوا من بعده.

توجيه علاقات الناس مع حكامهم:

كان دور الإمام ضرورياً لرسم التصرف الذي يرضي الله تبارك وتعالى وتقوم عليه الحجة الشرعية بأمر الإمام خصوصاً. فالمواعظ التي صدرت من الأئمة عليهم السلام في هذا الإتجاه كانت متنوعة تبعاً لاختلاف الظروف.

فقد يشتهر على الأمة أمرها وتختلط عليها الأوراق فتضع التصرف في مورد غير مناسب، وهذا ما يحصل باستمرار عندما تبتعد الأمة عن قيادتها

(١) كتر العمال ج١٢، ص١٠٣ عن الطبراني بإسناده عن ابن عباس.

الحقيقية فتنته في معارج الفتن، كما يحصل اليوم عندنا في الأمة العربية الإسلامية. وهنا على الحاكم أن يوجه ويبين عدة نقاط منها:

١ - عدم الركون إلى الظالمين ورفض ولايتهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَكُّوْا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(١).

وهذا أمر اهتم به الأئمة كثيراً لعلمهم أن المسلمين سوف يعرضون عنهم فما جرّ على الأمة الويلات بسبب مداهنة الحكام والتملق لهم. قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِمَعْثُرِهِمْ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَثِيرٌ﴾^(٢).

وقال الإمام الجواد:

«العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء وقال الإمام زين العابدين عليه السلام لمحمد بن مسلم الزهري^(٣).

بعد أن حذره من إعانة الظلمة على ظلمهم:

«أوليس بدعائهم إياك حين دعوك جعلوك قطباً أداروا بك رحي مظالمهم وجسراً يعبرون بك إلى بلاياهم وسلماً إلى ضلالاتهم وداعياً إلى غيهم سالكاً سييلهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون قلوب الجهال إليهم فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم فما أقل ما أعطوك في

(١) سورة هود الآية: ١١٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.

(٣) هو فقيه أخذ العلم من الإمام السجاد عليه السلام ثم أخذته اغراءات الأمويين فدخل في دنياهم وعمل في بلاطهم.

قدرما أخذوا منك وما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول»^(١).

وجاء في حديث للإمام الصادق في الإلزام بالمقاطعة لما في معونة الظالمين من بقائهم وميل المعاون إليهم:

«وذلك إن ولاية الجائر دروس الحق كله وإحياء الباطل كله وإظهار الظلم والجور والفساد»

جواز الانخراط في أعمالهم:

يجوز الاشتراك وأحياناً الوجوب في أعمال الحكام شرط أن يؤدي ذلك إلى تحقيق الخير للإسلام والمسلمين في دينهم ودنياهم.

كان علي بن يقطين وزيراً لهارون فاستأذن الإمام الكاظم عليه السلام بترك العمل معه فقال له: عسى أن يجبر بك الله كسراً ويكسر بك نائرة المخالفين من أوليائه.

يا علي: كفارة أعمالكم الإحسان إلى اخوانكم، ولما قدم الإمام عليه السلام إلى العراق قال علي بن يقطين: أما ترى حالي وما أنا فيه؟ فقال عليه السلام:

يا علي إن الله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم»^(٢).

ونذكر ضمن هذه النقطة إذن الأئمة عليهم السلام للكثير من أصحابهم في الانضمام إلى جيوش المسلمين التي انطلقت لنشر الإسلام وكان فيها عيون الشيعة مثل:

سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وأبي أيوب

(١) سفينة البحار، ج٢، ص٢٥٢.

(٢) الإحتجاج ج٢، ص١٦٠ وسفينة البحار ج٢، ص٢٥٢.

الأنصاري... وغيرهم ما دام في ذلك منفعة للإسلام.. . جاء في بعض الأخبار أن سيدي شباب أهل الجنة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام قد شاركا في جيوش الفتح في أذربيجان وشمال أفريقيا^(١).

وقد تقلد الإمارة بعض منهم في الكوفة والمدائن لما عرفت السلطات منهم نكران الذات والاندفاع في الدفاع عن الإسلام.

٣ — فضح السلطة الحاكمة وتعريتها:

وذلك للكشف عن وجهها الحقيقي والتصدي لمؤامرتها العلنية أحياناً والخفية أحياناً أخرى. وقد كلف ذلك تقديم الضحايا لبقاء ضمير الأمة الإسلامية حياً يقظاً، ولتوعيتها بما يدور حولها من مؤامرات لتعرف أين هي من الأحداث. وهذا قد يدخل ضمن:

وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ففي مثل هذه الحالات كان الأئمة عليهم السلام يعتبرون السكوت عن هذه المظالم إعانة للعدو لأنه يشجعه على الاستمرار على الظلم ما دام قد أمن من العقاب والاعتراض، وبالتالي يكون الساكت أول ضحاياه، قيل للإمام الرضا عليه السلام: «أما تخاف هؤلاء؟»

يعني السلطة - فقال: «لو خفت عليها كنت عليها معيماً»^(٢).

وإياك ثم إياك أن تتعرض للهلاك، وأن تترك التقية التي أمرتك بها فإنك شائط بدمك ودماء إخوانك معرض لزوال نعمك ونعمهم، مذلهم في أيدي أعداء دين الله وقد أمرك الله باعزازهم»^(٣).

وقد اشتهر قولهم في هذا المجال:

(١) السيرة ج ٢، ص ١٧.

(٢) السيرة ج ٢، ص ٣٨٠ والمراد: لو خفق منها لكنت لها معيماً. إذ لو خاف عليها لكان صديقاً لها، ولكنه على أي حال لا يخاف عليها فليس هو لها معيماً.

(٣) الميزان ج ٣، ص ١٦٢.

«لا دين لمن لا تقية له» لأنه قد يؤدي جهل أو حماقة أحد إلى إثارة سخط الحكام وغضبهم لذا أوصوا أصحابهم بالحنذر وعدم إعطاء أي ذريعة للسلطات للاضرار بهم وكم مرة حاول المرتزقة عند الحكام من ضبط أي وثيقة إدانة أو سلاح في بيت الإمام الذي يداهمونه لعلمهم يتذرعون بها، لكنهم دائماً يقشلون فلم يجدوا إلا المصحف والمصلى .

وقد كثر القول على الشيعة بسبب التقية لجهلهم بمفهومه وأحيل تشييعه . فإنه تشريع اسلامي بحيث نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿لَا يَجِدِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنْنَا نَبِيٌّ وَّ شَيْءٌ اِلَّا اَنْ تَكْفُرُوْا مِنْهُمْ تَقٰنَةً وَيُعٰذِرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسُهُ وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُ﴾^(١) .

والتقية سيرة عقلانية يقوم بها الناس في ظروفها الموضوعية وقد كانت من المعالم البارزة في مذهب التشيع .

وقد أخذ بها المسلمون في بدء الشريعة كعمار بن ياسر وروي أن اثنين تعرضا للإهانة ثم الإحراج فثبت أحدهما ولم يعط الحكام الظالمين ما يريدون ، وأعضاهم الآخر فعلق الإمام المعصوم عليه السلام وقال :

بان الأول استعجل الرواح إلى الجنة والثاني أفتقه من صاحبه .

(١) سورة آل عمران، الآية : ٢٨ .

الإمام الجواد عالم ومعلم

دوره في الحياة العلمية:

إن أئمة أهل البيت جميعاً هم أبواب مدينة علم رسول الله ﷺ لا يختلفون سعة، ولا يتميزون عمقاً، ولا تتباين أهدافهم أبداً، وإنما التباين والتنوع في أدوار كل منهم، يعود تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية والإقليمية التي تتحكم في ساحة تحرك كل إمام على الساحة الإسلامية.

ففي نص الشريعة الإسلامية هناك دور مفروض للأئمة عليهم السلام وهو دور رئيسي في صيانة تجربة الإسلام، وتعميق الرسالة فكرياً وروحياً، وسياسياً في الأمة... والمحافظة على المقياس العقائدي والرسالي في المجتمع الإسلامي.

ولقد تمثل هذا الدور الإيجابي لأئمة أهل البيت عليهم السلام في أنهم استطاعوا المحافظة على الأصول الدينية الأساسية للأمة الإسلامية، والحفاظ على طابعها الرسالي وهويتها الفكرية من ناحية، ومقاومة التيارات الفكرية التي تشكل خطراً على الرسالة، وضربها في بدايات تكوينها من ناحية أخرى^(١).

وكما هو معروف أن الرسالة الإسلامية تعنى بالإنسان من كل نواحي الحياة وقد اعتمدها الأئمة المعصومون جميعاً اهتماماً بالإنسان بينه وبين

(١) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف السيد الشهيد محمد باقر الصدر ١٤٧ - ١٣٦.

ربه، وبينه وبين نفسه، وبينه وبين أفراد عائلته، وهو في المدرسة، وفي المجتمع، وفي السياسة وفي الإقتصاد وفي أي مجال من مجالات حياته^(١).

من هنا كان يتوجب في القائد أن يكون على اطلاع ومعرفة بكل مناحي الحياة، واستيعاب لمجمل العلوم التي يحتاجها أهل الأرض، وهو ما لم يتحقق في غير النبي ﷺ وبمن أودعهم مكنون علومه من أهل بيته المنتجبين الأبرار ﷺ وقد ورد في الأخبار أن من صفات الإمام ﷺ:

«ان يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وضروب أحكامه وأمره ونهيه، وجميع ما يحتاج إليه الناس، فيحتاج الناس إليه، ويستغني عنهم»^(٢).

من هنا نعرف أن علم الأئمة الإثني عشر ﷺ واحد، فعلم أولهم كعلم آخرهم، علم إلهامي يتوارثونه خلفاً عن سلف، صغيرهم وكبيرهم فيه سواء. وقد ورد:

إن الامامة تنتقل إليهم بعض موارث الأنبياء ﷺ كالسيف والخاتم والعصا وغيرها إضافة إلى ما يعلمونه من أحكام جميع رسالات السماء السابقة.

وحديثهم أيضاً واحد ليس فيه اختلاف أو تعارض لأنه صادر من منبع واحد، فهم ﷺ يحدثون عن آبائهم عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تبارك وتعالى، وذلك ما جاء في قول الإمام الصادق ﷺ:

«إن حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي

(١) المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٢) بحار الأنوار المجلسي ج ٥، ص ٦٤.

حديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله قول الله عز وجل^(١).

بعد هذه الكلمة القصيرة نعود إلى إمامنا الجواد عليه السلام كي نستلهم من فيض علومه ما نتمكن من خلاله استشفاف واستقراء نشاطه العلمي والفقهية والأدبية... خلال حياته القصيرة جداً، ورغم سني التضييق والإقامة الجبرية في بغداد التي لم تكن قليلة بالنسبة إلى المدة التي عاشها.

وفوق هذا كله زواجه من أم الفضل بنت المأمون الذي أكره عليه. كيف لا وهو يعلم جيداً أن أباه المأمون هو الذي دس السم إلى الإمام الرضا عليه السلام والد الإمام الجواد!!

مصادر علم الإمام الجواد:

إن الشيعة الذين اعتقدوا بإمامة الإمام الجواد عليه السلام قد اختلفوا في تقديراتهم لمصدر علومه.

فقال بعضهم: إنه تلقى علومه من كتب أبيه، وما رسم له فيها من الأصول والفروع.

وقال آخرون: إنه لم يتعلم كل علومه من أبيه، لأنه حمل إلى خراسان، وهو ابن أربع سنين وأشهر.

والواقع أنه عند بلوغه يهيب له الله أسباب العلم؛ كالإلهام، والنكت في القلب، والرؤية الصادقة.

وقالت فرقة أخرى:

يمكن أن يعلم بكلا الطريقتين^(٢).

(١) أصول الكافي ج ١، ص ٥٣ وإلا رشا للشيخ المفيد ج ٢، ص ١٨٦.
(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٩٨ - ٩٩ والمقالات والفرق لسعد بن عبد الله الأشعري ص ٩٧ - ٩٨.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا الحديث - وإن لم يكن قد أثر على اعتقاد جمهور الشيعة في أصل الإمامة، لأنهم كانوا على درجة عالية من المعرفة والوعي، وعلى بينة واضحة من أمرهم، إلا أنه قد اتخذ ذريعة لتأكيد الشبهة لدى تلك القلة التي كانت قد وقفت لتأكيد الشبهة لدى تلك القلة التي كانت قد وقفت على الإمام الكاظم عليه السلام أو قالت بإمامة أحمد بن موسى فراحوا بسبب ضعفهم يتخبطون خبط عشواء في الليلة الظلماء.

ومهما يكن من أمر فإن جمهور الشيعة كانوا يعتقدون بأن صغر سن الإمام عليه السلام لا يؤثر على قدرته على تلقي العلوم والمعارف، ما دام علمه وراثي إلهي إلهامي.

بالإضافة إلى تصريح بعض الروايات بأنه عليه السلام قد تلقى قسطاً من علومه من أبيه مباشرة رغم صغر سنه. ^(١) وما يمنعه من ذلك . . فالعناية الإلهية معه والله سبحانه وتعالى هو الذي اصطفاه، وهو الذي يؤهله لهذا المقام السامي الإنساني، وكما استطاع عيسى المسيح أن يكون نبياً وهو في المهد، وقد أتاه الله الكتاب وكما أتى الله يحيى بن زكريا الحكم صبياً . . .

فلماذا لا يؤتى هذا الإمام المعجزة والعظيم القدرة على التعلم من أبيه جميع علوم الإمامة في خلال وقت قصير فضلاً عن أربع سنوات؟ . . .

ولم يقتصر الخلاف على ما تقدم، بل تعداه إلى الخلاف في الصلاحيات.

ففرق رأى: أنه واجب الطاعة منذ وفاة أبيه، ويقوم بما يقوم به غيره

(١) إثبات الوصية للمسعودي ص ٢١٠.

من الأئمة، وليس صغر سنه مانعاً من استفتائه في الحوادث، والالتزام به في الصلاة. . . وهؤلاء هم الأكثر وهم الذين ثبتت مقالاتهم واستمرت. . . وقال بعضهم: إنه إمام في تلك الحال، وأن له الأمر، ولا يصلح للإمامة في وقته أحد غيره، ولكن لا يجوز أن يؤمهم في الصلاة، وإنما يتولى الصلاة^(١) وينفذ الأحكام غيره من أهل الفقه، والدين، والصلاح، إلى وقت ادراكه^(٢).

جاء عن أبي عبد الله عليه السلام: لا بأس بالغلام الذي لم يبلغ الحلم أن يؤم القوم وأن يؤذن. الوسائل ج ٥، ص ٣٩٧ وعن الإمام الصادق عليه السلام: «يجوز صدقة الغلام، ويؤم الناس إذا كان له عشر سنين».

ولا يعارضها سوى فتوى المشهور وخبر اسحاق بن عمار «أن علياً عليه السلام كان يقول: لا بأس أن يؤذن الغلام قبل أن يحتلم، ولا يؤم حتى يحتلم، فإن أمّ جازت صلاته وبطلت صلاة من خلفه: الوسائل ج ٥، ص ٣٩٨ والاستبصار ج ١، ص ٢١٢.

غير أن من الواضح:

أنها خلافات في أمور ثانوية ناشئة من عدم تجربة لهم في أمر كهذا من قبل، فبقيت بعض التفاصيل غامضة بالنسبة إلى الذين لم يتيسر لهم سؤال الأئمة عليهم السلام عنها ولم تكن موضع ابتلائهم، ولكن أصل اعتقادهم بالإمام وبالإمامة راسخ ثابت.

(١) ؟؟؟؟؟

(٢) ؟؟؟؟؟؟؟

الإمام الجواد عالم في الفقه وأهلنا السريعة

تميزت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بسمات بارزت متميزة عن سائر الفقه السائد في مدرسة الرأي، وخلاصة تلك السمات أن الإمام يستمد مقوماته من القرآن الكريم أولاً، ثم من السنة الثابتة ثانياً.

ولهذا أصبح فقه أهل البيت هو الامتداد الطبيعي لفقه القرآن الكريم والسنة الشريفة، وليس فيه شيء من عمل الرأي أو استعمال القياس، أو الاستحسان وما شابه ذلك. ولا يخفى على أحد بأن كل ما لدى أهل البيت عليهم السلام إنما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توارثوه واحداً بعد واحد وصولاً إلى الإمام المهدي عليه السلام ^(١).

كما يتميز فقه أهل البيت بالشمولية فإنه لم يترك أي ملاحظة كلية أو جزئية إلا وقد بينه بمنتهى الدقة والتفصيل أما من حيث الإمتداد الزمني فهو فقه أمس واليوم وغداً، لصلاحته لكل زمان ومكان في حل مشاكل الحياة ونقطة أخرى تميز بها فقه أهل البيت هو أنه فقه واحد لا يقبل الفصل أو التجزئة عند جميع أئمة أهل البيت المعصومين. وبهذا فإن حديثنا عن دور الإمام الجواد الفقهي هو عين الحديث عن فقه أهل البيت عليهم السلام الذين أمرنا

(١) أصول الكافي ج ١، ص ٢٦٣ وفي غير موضع منه.

بطاعتهم والاقتراد بهم والتمسك بحبلهم، فهم كما قيل: سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»^(١).

أما عن الموارد الفقهية الكثيرة المروية عن الإمام الجواد عليه السلام فهي دالة بلا شك على أنه ملاء الفراغ الفقهي في عصره وأنه أغنى الساحة الإسلامية، وشيعته على وجه الخصوص فلم يلتمسوا حلول مشكلاتهم واجابات استلثهم من أحد غيره. وهم الطائفة الواسعة الإنتشار في جميع البلاد الإسلامية من شرقها وغربها.

ومن خلال تلك القراءة لبعض الموارد نستخلص أن الإمام الجواد عليه السلام كان مبرزاً على جمهور الفقهاء وكبار العلماء والقضاة المعاصرين له... فمن حيث مجلسه في ديوان الخلافة، ما كان ليجلس إلا بموازاة مجلس الخليفة، والعلماء، والقضاة في مجلسهم جميعاً كانوا دون مجلسه، ويتهيون بين يديه عند محادثته.

(١) راجع حديث الثقلين المتواتر.

آراءه في العقيدة والتفسير والفقه

إن آراء الإمام الجواد، كغيره من الأئمة المعصومين تعكس حقيقة روح الإسلام، وذلك لما يتجلى من خلال ما مرّ من مناظرات، أو من خلال ما أثبتته لنا التاريخ في قصة الزواج في عهد المأمون . . . أو قصة السارق الذي اعترف على نفسه بالسرقة في عهد الخليفة المعتصم، وقد طلب السارق من الخليفة تطهره بإقامة الحد عليه . فأرجىء الحكم عليه إلى وقت معلوم . . . واستدعى المعتصم لذلك جمعاً غفيراً من العلماء والحكماء والقضاة إلى مجلسه للحكم في القضية، واستدعى معهم الإمام الجواد عليه السلام إلى ذلك المجلس الضخم الذي عقده لهذا الغرض، وكان الإمام يومذاك ابن الخامسة والعشرين ورغم ذكر عدد المدعويين، الطبقة الأولى من فقهاء بغداد ومحدثيها المرموقين، ورؤساء مذاهبها، وأكابر قضاتها الذين يستدعون إلى ديوان الخلافة لإبداء رأي شخصي فالإمام الجواد عليه السلام كان النجم الساطع بينهم .

من هؤلاء القضاة نذكر:

١ - إبراهيم بن سيار النظام - ت ٢٣١هـ - وإبراهيم بن المهدي المصيبي ت ٢٢٥. وإبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي ت ٢٤٠هـ أبو حسان الزيادي الحسن بن عثمان ت ٢٤٢هـ أبو الهذلي ت ٢٣٦ محمد بن هذيل العلاف ت ٢٣٥ كان عالم دهره أحمد بن إبراهيم الدورقي العبدي ت ٢٤٦ أحمد بن أبي دؤاد ت ٢٤٠ قاضي قضاة الدولة العباسية أحمد بن

حنبل ت ٢٤١هـ أحمد بن الفرات ت ٢٥٨ أحمد بن منيع البغوي ت ٢٤٤هـ
إسماعيل بن أبي أويس ت ٢٢٦هـ وهو ابن أخت مالك بن أنس اسماعيل
بن حماد بن أبي حنيفة ولي القضاء للمعتصم بشر بن المعتمر الهلالي رئيس
معتزلة بغداد، ثمامة بن الأشرس وكان واحد دهره في العلم والأدب، جعفر
بن عيسى الحسيني أحد القضاة، حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري
البغداي ت ٢٤٦هـ إمام القرا وشيخ زمانه، حيان بن بشر تسلم قضاء
الكرخ سنة ٢٣٧هـ سجادة أبو علي الحسن بن حماد الحضرمي البغداي(ت
٢٤١هـ) من أجلة العلماء في زمانه .

سوار بن عبد الله التميمي ت ٢٤٥هـ تسلم قضاء الرصافة سنة ٢٣٧هـ
شهب بن سهل الرازي ت ٢٤٦هـ قاضي الرصافة للمعتصم العباسي .
عيسى ابن صبيح أبو موسى من علماء المعتزلة والمقدمين فيهم . محمد
بن بكار بن الريان البغداي ت ٢٣٨هـ محمد بن ميمون السمين ت ٢٣٨هـ
محمد بن حماد وكان مقرباً من المأمون العباسي . محمد بن سعدت ٢٣٠هـ
صاحب الطبقات الكبرى . محمد بن سماعة ت ٢٣٣هـ تولى القضاء للرشيد
وبقي فيه إلى أن ضعف بصره في عهد المعتصم فصرفه عنه بإسماعيل بن
حماد توفي وله مئة وثلاثة سنين .

محمد بن هارون الوراق ت ٢٤٧هـ . هارون بن عبد الله الحمال
البغداي ت ٢٤٣هـ . هارون بن عبد الله الزهري ت ٢٣٢هـ يحيى ابن أكثم
التميمي البغداي ت ٢٤٢هـ قاضي القضاة العلامة من أئمة الاجتهاد .
يحيى بن معين أبو زكريا المري البغداي ت ٢٣٣هـ . الحافظ شيخ
المحدثين وإمامهم . يعقوب بن إبراهيم الذرقي ت ٢٥٢هـ محدث العراق^(١) .

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ، ص ٢٩٩ حوادث سنة ٢١٨هـ وتاريخ أبي الفداء ج ١ ،
ص ٣٤٠ . وتاريخ أبي الفداء ج ١ ، ص ٣٤٠ . وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٩ -
٣١٢ . وتاريخ الطبري ج ٧ ، ص ١٨٧ . والكامل في التاريخ ج ٦ ، ص ٦٠٣ .

وجماعات كثيرة غير هؤلاء من الذين كانوا ببغداد يومذاك ويشار إليهم
بالمشيخة والتفرد بالفضل والعلم.

فالرواية التي ينقلها العياشي عن زرقان وهو محمد بن شداد أبو يعلى
المسمعي ت ٢٧٨هـ وقد عمّر طويلاً. وهو أيضاً من الفقهاء والمتكلمين قال
العياشي:

عن زرقان صاحب ابن أبي داود وصديقه قال:

رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في
ذلك، فقال:

وددت اليوم أني قدمت منذ عشرين سنة. قال: قلت له: ولم ذاك؟
قال: لما كان من هذا الأسود أبا جعفر محمد بن علي ابن موسى اليوم بين
يدي أمير المؤمنين المعتصم. قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟

قال: إن سارقاً أقر على نفسه بالسرقه، وسأل الخليفة تطهره بإقامة
الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي عليه السلام
فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟ قال: قلت: من الكرسوع،
قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قلت:

لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع، لقول الله في التيمم:
﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١) واتفق على ذلك معي قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على ذلك؟
قالوا: لأن الله لما قال: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(٢).

في الغسل دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق، قال: فالتفت إلي

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٢) سورة المائدة الآية: ٦.

محمد بن علي عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ قال: هل تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين، قال: دعني فما تكلموا به، أي شيء عندك؟ قال: اعفني من هذا يا أمير المؤمنين قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه، فقال:

أما إذا أقسمت علي بالله إني أقول: إنهم أخطأوا فيه السنة، فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف. قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: السجود على سبعة أعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين ^(١).

فإذا قطعت يده من الكر سوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى:

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ ^(٢). يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

وما كان لله لم يقطع، قال: فاعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال ابن أبي دؤاد: قامت قيامتي وتمنيت أني لم أك حياً.

فالواضح أن الخليفة أعد مسبقاً لذلك المجلس جمعاً غفيراً من الفقهاء والعلماء للحكم في هذه المسألة، ويبدو أن اختيارهم من مختلف المشارب والاتجاهات الفقهية والفكرية؛ لأن الزمن آنذاك كان زمن كلام ومساجلات وخلق قرآن وتعدد في الآراء الفقهية.

(١) صحيح البخاري ج ١، ص ٢٨٠ باب السجود على سبعة أعظم والجامع الصحيح ج ١، ص ٤٤٦.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

ومن الواضح أيضاً أن المعتصم جمع هذه الجماهير من مختلف الاتجاهات وكلهم من كبار العلماء والفقهاء ليمتحن قوة وعلم الإمام الجواد في الرد عليهم، وليظهر ضعفه أمامهم لكن الله يأبى أن يظفأ نوره ولو كره المشركون.

نقش خاتم الإمام: (نعم القادر الله).

القوية والجريئة التي تختزن الكثير على مواجهة أخطار التحدي للسلطة، ولركائزها السياسية العقائدية... وقد تعدى ذلك ليطلع حياتهم كلها بطابع الجهاد، ولتكون كل مواقفهم وكل أسلوب حياتهم زاهراً بالمعاني، غنياً بالمعطيات:

في أكلهم وشربهم، ولبسهم، وحتى في ألقابهم ونقش خواتيمهم. وأما عن نقش خاتم الإمام الجواد: فبعد أن تمكن المأمون من تغيير مجريات الأمور لصالحه ولتثبيت دعائم الحكم العباسي، عن طريق إجبار الإمام الرضا عليه السلام على قبول ولاية العهد، وبيعة الناس له عليه السلام بها... ثم تمكنه من تصفية الإمام عليه السلام جسدياً بدم السم إليه، وبعد أن أخدمت الثورات، وكمت أفواه المطالبين بالحق والعدالة، وعادت المياه إلى مجاريها بيت المأمون والعباسيين، فقد شعروا جميعهم، وأعاونهم، أنهم قد حققوا غاية آمالهم، وحصلوا على أعلى أمنياتهم ألا وهي: تثبيت دعائم ملكهم، وترسيخ أركان سلطنتهم، وبالتالي لم يعد ثمة أية قوة تستطيع أن تقف في وجه جبروته وفاحش طغيانهم...

بعد كل ذلك نلاحظ: أن نقش خاتم الإمام الجواد عليه السلام يتحدى كل تصوراتهم تلك، ويدين جميع ظلمهم وبغيهم وهو: «نعم الله القادر».

وهذا هو نقش أحد الخواتيم التي كانت لأمر المؤمنين عليهم السلام من قبل،

في ظروف لا تختلف كثيراً عن ظروف حفيده صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين .

روي عن ابن بزيع العطار قال : قال أبو جعفر عليه السلام : الفرج بعد المأمون
بثلاثين شهراً . قال : فنظرنا ، فمات عليه السلام بعد ثلاثين شهراً . . (١) .

فإذا كان عليه السلام ، يرى أن في الموت فرجاً ، فإن ذلك يفيدنا بصراحة
حقيقية المعاناة التي كان يكابدها مع هؤلاء الظالمين . .

وبقي عليه السلام صامداً لا يتزحزح قيد أنملة عن موقفه الذي يرفض الخضوع
لحكام الجور ، ويرفض كل أشكال التكامل معهم .

ونلاحظ أنه عليه السلام لا يزال يلّمح ويصرح بادانة الظلم والظالمين
والمعينين لهم ، والراضين بظلمهم ، فقال عليه السلام :

«العامل بالظلم والمعين له ، والراضي به ، شركاء» (٢) .

وقال أيضاً :

«يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم» (٣) .

(١) البحار ج ٥٠ ، ص ٦٤ وكشف الغمة ج ٣ ، ص ١٥٣ .

(٢) كشف الغمة ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .

دور الإمام عليه السلام في التفسير

من نافلة القول إن الأئمة من أهل البيت النبوي الطاهر عليهم السلام هم الراسخون في العلم، المفسرون للقرآن الكريم كما أنزله الله وهم وحدهم العالمون بتأويله، والدليل على ظاهره وباطنه ولا غرو إذا قلنا بأنهم عدل القرآن، للنبوي الصحيح المروي في المدونات الحديثة لدى الفريقين، ذلك هو حديث الثقلين.

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا»^(١).

إذا علمنا هذا، ينبغي بمن هو عدل الكتاب وقرينه، أن يكون عالماً بكل آياته، ومحيطاً بجميع أسراره، ومحكمه، ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، وهكذا كان أهل البيت عليهم السلام قرآناً ناطقاً يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين بخطط ولايتهم بأن لهم قدم صدق عند مليك مقتدر.

لكن ما وصل إلينا عن الأئمة الميامين عليهم السلام بشأن القرآن الكريم لا يشكل إلا نزرأ يسيراً لما يمتلكون من تراث فكري وعلمي ليس لهما حدود، إلا أن الراغب في تفسير القرآن الكريم لا يمكنه الاستغناء عن تفسيرهم عليهم السلام.

(١) روي الحديث في الكثير من المصادر التي لا يمكن حصرها نذكر منها: صحيح مسلم ج٤، ص١٨٧٣، ومسند أحمد ج٥، ص١٨٩، وسنن الدارمي ج٢، ص٤٣١، وصحيح الترمذي ج٥، ص٦٦٢ ومصنف ابن أبي شيبة ج١١، ص٤٥٢.

لما فيه من سمات أصيلة، أبرزها تفسير القرآن بالقرآن والقول بسلامة القرآن من التحريف وغيرها من المبادئ الأساسية لإدراك معاني القرآن الكريم وإمامنا الجواد عليه السلام هو واحد من تلك الكوكبة الغراء التي لا يمكن الاستغناء عما وصلنا عنه في التفسير في أي حال، إلا أنه كثير جداً لو جمع شتاته.

وقد نقل لنا الكليني في الكافي بسنده عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري الذي قال:

قلت لأبي جعفر عليه السلام سائلاً عن معنى: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار»^(١).

فقال عليه السلام: «يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، إنك قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها بصرك وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون»^(٢).

- ونقل عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني، عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام أنه قال:

سألته عما أهلّ لغير الله قال: «ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر، حرم الله ذلك كما حرم الميتة؟»

فقال: حدثني أبي عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله سئل فقيل له: يا رسول الله: أنا نكون بأرض فتصيبنا المخمصة، فمتى تحل لنا الميتة؟ قال:

ما لم تصطبحوها أو تغتبقوا أو تحتفوا بقلها، فشأنكم بهذا».

(١) أصول الكافي ج ٦، ص ١٠٣.

(٢) أصول الكافي ج ١، ص ٩٩.

قال عبد العظيم: فقلت له: يا بن رسول الله فما معنى قوله عزَّ وجلَّ ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؟

قال: العادي: السارق، والباغي الذي يبغي الصيد بطراً ولهواً، ليعود على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرا، هي حرام عليهما في حال الإضطرار كما هي حرام عليهما في حال الإختيار، وليس لهما أن يقصرا في صوم ولا صلاة في سفر».

قال: قلت له: فقول الله تعالى «والمنخقة والموقوذة، والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم».

قال: المنخقة: التي انخفت باخناقها حتى تموت.

والموقوذة: التي مرضت ووقدتها المرض حتى لم تكن بها حركة والمتردية: التي تتردى من مكان مرتفع إلى أسفل أو تتردى من جبل أو في بئر فتموت. والنطيحة: التي تنطحها بهيمة أخرى فتموت. وما أكل السبع منه فمات. وما ذبح على خنجر أو على صنم إلا ما أدركت ذكاته فذكي».

قلت: وان تستقسموا بالازلام؟ قال: كانوا في الجاهلية يشترون بعيراً فيما بين عشرة أنفس، ويستقسموا عليه بالقداح، وكانت عشرة، سبعة لهم أنصباء وثلاثة لا أنصباء لها. أما التي لها أنصباء: فالفد، والتوأم، والنافس، والحلس، والمسبل، والمعلّى، والرقيب.

وأما التي لا أنصباء لها: فالسفع، والمنتج، والوغد. وكانوا يجيلون السهام بين عشرة، فمن خرج باسمه سهم من التي لا أنصباء لها إلى ثلاثة، فيلزم ثمن البعير، ثم ينحرونه ويأكل السبعة الذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثلاثة شيئاً.

فلما جاء الإسلام حرم الله تعالى ذكره ذلك فيما حرم، وقال: «وان تستقسموا بالأزلام فذلك فسق» يعني حراماً.

دور الإمام عليه السلام في ترسيخ العقائد الإسلامية:

كثر ظهور المذاهب الكلامية والعقائدية وأخذت بالانتشار في عصر الإمام الجواد. والذي ساعد على انتشارها توجه الحاكم نفسه إلى اللعب بالورقة المذهبية من جهة وظهور طبقة الوعاظ في بلاط السلاطين من جهة أخرى.

هؤلاء الوعاظ السماسرة نظموا أنفسهم وكيفوها على نمط خاص من أجل كسب الرضى للسلطان والعيش على مآدبه الدسمة، قانعين بما ينالهم من الاذلال وبتانة الموقع من هذه التيارات الضالة والمضللة نذكر:

المشبهة، والمعطلة، والمجبرة إلى غير ذلك من العقائد الباطلة المنحرفة وجميعها أثرت في عصر الإمام عليه السلام وكان له دور بارز في الرد على هؤلاء المضللين وفي ترسيخ العقائد الإسلامية السليمة والدفاع عنها. ومن تراثه التفسيري أيضاً:

- روي عن أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا جعفر الثاني ما معنى الواحد؟

قال عليه السلام: الذي اجتماع الألسن عليه بالتوحيد كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥) (١).

- وعن داود بن قاسم الجعفري قال:

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

«قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: جعلت فداك ما الصمد؟ قال: السيد المصمود إليه في القليل والكثير»^(١).

- وعن جعفر بن محمد الصوفي قال:

«سألت أبا جعفر عليه السلام محمد بن علي الرضا عليه السلام قلت له: «يا ابن رسول الله لم سمي النبي الأمي؟ لأنه لم يكتب؟ فقال: كذبوا عليهم لعنة الله أنى يكون ذلك والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي سَٰكِلِينَ مُبِينِينَ﴾^(٢).

فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن؟ والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين أو ثلاثة وسبعين لساناً وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله تعالى من كتابه:

﴿وَلَنُنَزِّلَ لَكُمْ أَمْرًا فَسَّيْئًا وَمِنْ حَوْلِهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^(٣).

ولا بد أن نشير هنا إلى أن الإمام عليه السلام قد أعطى من خلال هذه النماذج صورة مصداقية لفهم المصطلحات والمفاهيم القرآنية من خلال القرآن نفسه وهو المنهج الذي عرف فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن.

ثم إن هذا المعنى للأمي لا ينفي عدم تعلم النبي للقراءة والكتابة من أحد، والذي يشكل يقظة إعجازية في حياته صلى الله عليه وسلم وفي عدم تعلمه من أحد واتصافه بأعلى مستويات المقدره على التعليم دليل قاطع على ارتباطه بالله المعلم والعليم للإنسان ما لم يعلم.

(١) أصول الكافي ج ١، ص ١٢٣.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢ وبصائر الدرجات ص ٢٢٥ وعلل الشرائع ج ١، ص ١١٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٢.

- وعن عمرو بن أبي المقدم قال: «سمعت أبا الحسن وأبا جعفر عليهما السلام يقول في هذه الآية «ولا يعصيتك بمعروف».

قال: إن رسول الله قال لفاطمة عليها السلام:

إذا أنا مت فلا تخمسي عليّ وجهاً ولا ترخي عليّ شعراً ولا تنادي بالويل، ولا تقيمي عليّ نائحة. ثم قال: هذا المعروف الذي قال الله عزّ وجل في كتابه:

﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾^(١).

- وروي عن أبي جعفر الجواد قال:

قال عليه السلام: قال الله عزّ وجل في ليلة القدر:

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ويقول لها: ينزل فيها كل أمر حكيم. والمحكم ليس بشيئين، إنما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ وجل، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت.

إنه لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الأمور:

سنة سنة تؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر بكذا أو كذا. وإنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله عزّ وجل الخاص والممكنون العجيب المخزون، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر. ثم قرأ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

(١) معاني الأخبار ص ٣٩٠. سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٢) أصول الكافي ج ١، ص ٢٤٨ والآية ٢٧ من سورة لقمان.

هذه العقائد الباطلة والدعاوي المنحرفة يضيق المجال هنا لذكرها
والحديث عنها .

وبدأت الأسئلة تنهال على الإمام الجواد عليه السلام وهو يشرحها ويوضحها .

التوحيد والصفات:

سأله عبد الرحمن بن أبي نجران عن التوحيد فقال:

أتوهم شيئاً؟

أجابه الإمام عليه السلام «نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه
من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء، ولا تدركه الأوهام . ثم تابع .

كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يتصور في
الأوهام؟ إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود»^(١) .

ثم يسأل الإمام عليه السلام أيضاً عن الباري تبارك وتعالى أنه يجوز أن يقال له
إنه شيء؟

قال: يخرج من الحدين، حد التعطيل، وحد التشبيه^(٢) .

وعاد عبد الرحمن بن أبي نجران يسأل الإمام قائلاً:

«جعلني الله فداك، نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد، الصمد؟

فقال عليه السلام:

«إن من عبد الاسم دون المسمى بالأسماء أشرك وكفر وجحد، ولم
يعبد شيئاً، بل أعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمى بهذه الأسماء دون
الأسماء، إن الأسماء صفات وصف بها نفسه»^(٣) .

في إطار الأسماء والصفات لله تبارك وتعالى، يسأله داود بن القاسم أبو

(١) أصول الكافي ج ١، ص ٨٢.

(٢) أصول الكافي: ج ١، ص ٨٢.

(٣) أصول الكافي ج ١، ص .

هاشم الجعفري عن معنى الواحد. فيجيبه الإمام عليه السلام قائلاً: «إجماع الألسن عليه بالواحدانية كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١).

وروى داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري أيضاً:

إن رجلاً ناظر الإمام الجواد عليه السلام في أسماء الله تعالى وصفاته فقال: «كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى، له أسماء وصفات في كتابه؟ واسماؤه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر أن لهذا الكلام وجهين:

«إن كنت تقول: هي هو، أي أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك.

وإن كنت تقول: هذه الصفات والأسماء لم تنزل فإن (لم تنزل) محتمل معنيين: فإن قلت: لم تنزل عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم.

وإن كنت تقول: لم ينزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها - أي الأسماء - وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه، ويعبدونه وهي ذكره.

وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم ينزل والأسماء والصفات مخلوقات. والمعاني والمعني بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الإئتلاف، وإنما يختلف ويأتلف المتجزىء، فلا يقال: الله مؤتلف، ولا: الله قليل، ولا كثير ولكنه القديم في ذاته، لأن ما سوى الواحد متجزىء، والله واحد لا متجزىء، ولا متوهم بالقلة والكثرة، وكل متجزىء أو متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالقه له.

فقولك: «إن الله قدير».

(١) أصول الكافي ج ١، ص ١١٨.

خبرت أنه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز سواه، وكذلك قولك: «عالم».

إنما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل سواه، وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطع، ولا يزال من لم يزل عالماً.

فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سمياً؟

فقال الإمام: «لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس».

وكذلك سميناه بصيراً: لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار. من لون أو شخص أو غير ذلك ولم نصفه بلحظة العين.

وكذلك سميناه: لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك، وموضع النشوء منها، والعقل والشهوة للفساد والحذب على نسلها، وإقام بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقار، فعلمنا أن خالقها لطيف بلا كيف وإنما الكيفية للمخلوق المكيف.

وكذلك سميناه ربنا قوياً لا بقوة البطش المعروف من المخلوق، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه لاحتمال الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً.

فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد، ولا ند، ولا كيف ولا نهاية، ولا تبصار يبصر. ومحرم على القلوب أن تمثله ولا الأوهام أن تحده، ولا على الضمائر أن تكونه جل وعز على أداة خلقه، وسمات بريته، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً^(١).

(١) أصول الكافي ج ١، ص ١١٦.

ب - التوحيد

وروى أيضاً عن أبي داود بن القاسم الجعفري أنه قال: «قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام قل هو الله أحد»

ما معنى الأحد؟ قال عليه السلام:

المجمع عليه بالوحدانية أما سمعته يقول:

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ ثم يقولون بعد ذلك له شريك وصاحبة فقلت: قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾؟ قال عليه السلام:

«يا أبا هاشم! أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف تدركه الأبصار؟»^(١).

ج - النبوة:

عن الحسن بن العباس بن جريش عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أرواحنا وأرواح النبيين توافي العرش كل ليلة جمعة فتصبح الأوصياء وقد زيد في علمهم مثل جم الغفير من العلم»^(٢).

د - الإمامة:

وروي عنه أيضاً: «أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس: إن ليلة القدر في كل سنة، وأنه لينزل في تلك الليلة أمر السنة ولذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله».

(١) الإحتجاج ج ٢، ص ٣٣٨.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٣٢.

فقال ابن عباس: من هم؟ قال: أنا وأحد عشر من صليبي أئمة محدثون»^(١).

هـ - وسأله أبو هاشم الجعفري:

هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: نعم. قال:

فقلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم عليه السلام؟ فقال:

«إن القائم من الميعاد والله لا يخلف الميعاد».

ز - وعن بنان بن نافع عن أبي جعفر الثاني عليه السلام:

«إنا معاشر الأئمة إذا حملته أنه يسمع الصوت من بطن أمه أربعين يوماً فإذا أتى له في بطن أمه أربعة أشهر رفع الله تعالى له أعلام الأرض فقرب له ما بُعد عنه حتى لا يعزب عنه حلول قطرة غيث نافعة ولا ضارة».

ز - وجاء في بحار الأنوار

عن عمرو بن الفرخ الرخجي: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن شيعتك تدعي

أنك تعلم كل ماء في دجلة ووزنه؟ وكنا على شاطئ دجلة، فقال لي:

يقدر الله تعالى أن تفوض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه أم لا؟ قلت

نعم يقدر. فقال عليه السلام:

«أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه»^(٢).

٣ - من تراثه في الفقه:

أ - روى أبو خدّاش المهري:

«إن شخصاً دخل على الرضا عليه السلام فسأله عن أمور ثلاثة فأجابته عليه السلام»

(١) أصول الكافي ج ١، ص ٥٣٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٠٠.

عنها . ثم حضر أبو خدّاش فجلس أبي جعفر في ذلك الوقت فسأله الأسئلة ذاتها فكان الجواب هو الجواب .

فقال : فقلت : جعلت فداك أن أم ولد لي أرضعت جارية لي بلبن ابني أيحرّم عليّ نكاحها؟ فقال عليه السلام : « لا رضاع بعد فطام » قلت : الصلاة في الحرمين؟ قال : إن شئت قصرت وإن شئت أتممت . قال : قلت الخادم يدخل على النساء؟ فحول وجهه ثم استدنانني فقال : وما نقص منه إلا الواقعة عليه»^(١) .

ب - وعن علي بن مهزيار قال^(٢) :

« كنت إلى أبي جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام :

« جعلت فداك أصلي خلف من يقول بالجسم ومن يقول بقول يونس يعني ابن عبد الرحمن؟ فكتب عليه السلام :

« لا تصلوا خلفهم ولا تعطوهم من الزكاة وابرؤ منهم بريء الله منهم»^(٣) .

ج - وسأله سائل عن الملاح يقصر في السفينة؟

فقال عليه السلام : « لا لأن السفينة بمنزلة بيته ليس بخارج منها » .

(١) دلائل الإمامة، ص ٢٠٦ .

(٢) كان من أصحاب الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام وكان جليل القدر، واسع الرواية، ثقة، صحيح الاعتقاد . وكان وكيلاً عنهم . ألف ثلاثة وثلاثين كتاباً في الوضوء والصلاة والزكاة، والشوم والحج والطلاق والحدود والديات والتفسير والفضائل والتدبير والتجارات والملاحم والتقية والصيد والذبائح والمكاسب والمثالب والدعاء والتجمل والوصايا والمواريث وفضائل المؤمن وكانت له منزلة عالية عند الإمام الجواد عليه السلام وكانت له مراسلة ومكاتبة معه .

(٣) أمالي الصدوق، ص ١٦٧ .

د - ودخل عليه صالح بن محمد بن سهل وكان يتولى له الوقف بقم -

فقال:

«يا سيدي اجعلني من عشرة آلاف في حل فإني أنفقتها فقال له عليه السلام :

أنت في حل ، فلما خرج صالح قال أبو جعفر عليه السلام لابراهيم بن هاشم :
أحدهم يثبت على أموال حق آل محمد وأيتامهم ومساكينهم وفقرائهم وأبناء
سبيلهم فيأخذهم ثم يحيى يقول : اجعلني في حل : أتراه ظن أنني أقول لا
أفعل!؟ والله ليسألنهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالاً حثيثاً» .

هـ - وعن علي بن مهزيار أيضاً قال:

«قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام قوله عزَّ وجل :

﴿وَأَلْبِئِلْ إِذَا يَفْتَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾﴾ .

وقوله عزَّ وجل : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴿١﴾﴾ وما أشبه هذا فقال:

إن الله عزَّ وجل يقسم من خلقه بما يشاء وليس لخلقه أن يقسم إلا به عزَّ
وجل»^(١) .

و - وقال عليه السلام :

«ما استوى رجلان في حسب ودين قط إلا كان أفضلهما عند الله عزَّ
وجل أدبهما فسأله الراوي عن وجه فضله عند الله عزَّ وجل من حيث لا
يلحن وذلك أن الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله عزَّ وجل»

٤ - من ترائه في التاريخ

أ - روى المجلسي عن الصدوق باسناده عن عبد العظيم الحسيني قال :

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أسأله عن ذي الكفل ما اسمه؟ وهل كان من المرسلين؟

فكتب عليه السلام : بعث الله تعالى جل ذكره مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبياً، المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

وإن ذا الكفل منهم صلوات الله عليهم، وكان بعد سليمان بن داود، ولم يغضب إلا لله عزَّ وجلَّ وكان اسمه (عويديا) وهو الذي ذكره الله تعالى جلَّتْ عِظْمَتُهُ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ (١).

ب - وروى المسعودي بإسناده عن أبي جعفر الثاني محمد بن علي الرضا عليه السلام أنه قال عن آبائه عليهم السلام قال:

«أقبل أمير المؤمنين ومعه أبو محمد - أي الحسن المجتبي عليه السلام وسلمان الفارسي فدخل المسجد وجلس فيه فاجتمع الناس حوله، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام وجلس، ثم قال:

يا أمير المؤمنين إني قصدت أن أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أنك وصي رسول الله حقاً وإن لم تخبرني بهن علمت أنك وهم شرع سواء.

فقال أمير المؤمنين: «سل عما بدا لك» فقال:

أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه.

وعن الرجل كيف يذكر وينسى.

وعن الرجل كيف يشبه الأعمام والأخوال؟

(١) بحار الأنوار ج ١٣، ص ٤٠٥. وسورة ص، الآية: ٤٨.

فالتفت أمير المؤمنين إلى أبي محمد فقال: يا أبا محمد أجه، فقال أبو محمد:

- أما الإنسان إذا نام فإن روحه متعلقة بالريح والريح متعلقة بالهواء إلى وقت يتحرك صاحبها إلى اليقظة.

فإذا أذن الله برد الروح جذبت تلك الروح الريح، وجذبت الريح الهواء فرجعت الروح إلى مسكنها في الدين، وإن لم يأذن الله برد الروح إلى صاحبها جذبت الهواء الريح وجذبت الريح الروح فلم ترجع إلى صاحبها إلى أن يبعثه الله تعالى.

وأما الذكر والنسيان فإن قلب الرجل مثل حق وعليه طبق فإن سمي الله وذكره وصلى عند نسيانه على محمد وآله انكشف ذلك الطبق وهو غشاوة عن ذلك الحق وأضاء القلب وذكر الرجل ما كان نسي، وإن هو لم يصل على محمد وآله بعد ذكر الله تعالى انطبقت تلك الغشاوة على ذلك الحق فأظلم القلب فنسي الرجل ما ذكر.

وأما المولود الذي يشبه الإعمام والأخوال، فإن الرجل إذا أتى أهله فوطأها بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب استكنت تلك النطفة في جوف الرحم وخرج الرجل يشبه أباه وأمه.

وإن هأتاه بقلب غير ساكن وعروق غيرها دئة وبدن مضطرب اضطربت النطفة فوقعت في اضطرابها على بعض العروق فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه أخواله.

فقال الرجل:

أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها وأشهد أن محمداً رسول الله ولم أزل أشهد بها وأشهد أنك وصيه وخليفته والقائم بحجته.

وأشار إلى الحسن وأشهد أن أخاك الحسين وصي أبيك ووصيك
والقائم بحجته بعدك .

وأشهد أن علي بن الحسين القائم بأمر الحسين ، وأشهد أن محمد بن
علي القائم بأمر علي ابن الحسين . وأشهد أن جعفر بن محمد القائم بأمر الله
بعد أبيه وحجته .

وأشهد أن موسى بن جعفر القائم بأمر الله بعد أبيه جعفر ، وأشهد أن
علي بن موسى القائم بأمر الله بعد أبيه محمد بن علي القائم بأمر الله بعد
أبيه . وأشهد أن الحسن بن علي القائم بأمر أبيه علي ابن محمد .

وأشهد أن رجلاً من ولد الحسين بن علي لا يسمى ولكن يكنى حتى
يظهر الله أمره يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً والسلام عليك يا أمير
المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومضى .

فقال أمير المؤمنين : اتبعه يا أبا محمد فانظر أين يقصد قال : فخرج
الحسن بن علي في إثره فلما وضع الرجل رجله خارج المسجد لم يذكر
كيف أخذ من أرض الله .

فرجع إليه فأعلمه ، فقال : يا أبا محمد أتعرفه . قال : الله ورسوله وأمير
المؤمنين أعلم به ، قال : ذاك الخضر^(١) .

د - روى الحافظ أبو نعيم ، فقال حدثنا أحمد بن اسحاق عن إبراهيم
بن نائلة عن جعفر بن محمد بن يزيد قال :

كنت ببغداد فقال لي محمد بن مُنْذَه بن مهربزد :

هل لك أن أدخلك على ابن الرضا؟ قلت : نعم . قال :

فأدخلني فسلمنا عليه وجلسنا ، فقال له : حديث النبي ﷺ : « أن فاطمة

(١) إثبات الوصية ، ص ١٥٧ .

أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، قال: خاص للحسن والحسني رضي الله عنهما»^(١).

ج - روى أبو جعفر المشهدي بإسناده عن أبي جعفر الثاني قال: «بعث رسول الله ﷺ سلمان إلى فاطمة ؓ الحاجة قال سلمان: فوقفت بالباب وقفة حتى سلمت، فسمعت فاطمة تقرأ القرآن خفاءً والرحى تدور من برّ ما عندها أنيس، قال: فعدت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله سمعت فاطمة تقرأ القرآن من خفاء والرحى تدور من برّ ما عندها أنيس.

قال: فتبسم ﷺ وقال: يا سلمان إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً و يقيناً إلى مبانيها فتفرغت لطاعة الله، فبعث الله ملكاً اسمه روفائيل. وفي موضع آخر «رحمة» فأدار لها الرحى مؤونة الدنيا والآخرة»^(٢).

هـ - وروى الحافظ أبو نعيم أيضاً: فقال:

قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن موسى ؓ أن قوماً من مخالفيكم يزعمون إن أباك سماه المأمون الرضا لما رضي له لولاية عهده. فقال ﷺ: كذبوا والله وفجروا، بل الله تبارك وتعالى سماه الرضا لأنه رضي الله عنه عز وجل في سمائه ورضى لرسوله والأئمة ؓ في أرضه قال: لأنه رضي به المخالفون من أدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه ولم يكن ذلك لأحد من آبائه ؓ، فكذاك سمي من بينهم الرضا ﷺ.

(١) تاريخ بغداد ج ٣، ص ٥٤ والوفيات ج ٣، ص ٣١٥.

(٢) ؟؟؟؟؟

روائع من أنوار علومه

أئمة أهل البيت هم أعلام الدين، والسنة الصدق! إن نطقوا صدقوا، وإن سمطوا لم يسبقوا، فهم حياة العلم وموت الجهل.

يخبر حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه.

حياتهم كلها روائع فريدة، بل هي أعلى ما وصلت إليه الإنسانية سموً ورفعة ومثالية لأنها بجميع أبعادها انقطع إلى الله عز وجل، وانتهاج لما أمر به سبحانه وتعالى وتجد إلى جانب هذا وذاك خلقاً رفيعاً، وعلماً غزيراً، وتواصلاً ونبلاً، وكرماً واحساناً يشمل الأمة جمعاء.

ومضافاً لما تحلوا به من سيرة غراء نجد علوماً جمة ومعارف متنوعة ملأت الدنيا، وحكماً ازدانت بها معاجم الحديث التي دون منها آلاف الكتب، وأصبحت مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، فهي كما وصفها البلغاء:

دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

حديثهم تستمتع به الآذان وتستأنس به النفوس، وهو إلى القلب أسرع منه إلى السمع، وذلك لأن لسان حالهم أسبق من لسان مقالهم، ومما لا شك فيه أن ما يخرج من القلب يدخل بسهولة إلى واحات القلب ولا يبقى عالقاً في شفير المسامع.

فكما أن كلامهم ﷺ نور، ونطقهم حكمة فإن إمامنا الجواد وهو الإمام التاسع من الأئمة المعصومين، له أيضاً كلمات حكيمة ومواعظ نورانية وآداب إنسانية عظيمة .

وقد آثرت نقل قبسات من أنوار حكمه التي هي في مضامينها هداية للسالكين إلى طريق الحق والصلاح، وبرامج نوعية لحياة الفرد والجماعة .

وقد اقتطفنا من أقواله بعض الروائع العلمية منها :

- الثقة بالله تعالى ثمن لكل غالٍ، وسُلّم إلى كل عالٍ .

- قال ﷺ :

« لا تعاد أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن كان محسناً فإنه لا يسلمه إليك، وإن كان سيئاً فإن علمك به يكفيك، فلا تعاده» .

- وقال أيضاً ﷺ :

« كيف يضيع من الله كافله؟! وكيف ينجو من الله طالبه؟! ومن انقطع إلى غير الله وكلّه الله تعالى - إليه، ومن عمل على غير علم أفسد أكثر مما يصلح» .

وقال ﷺ :

« استطلاح الأخيار بإكرامهم، والأشرار بتأديبهم والمودة قرابة مستفادة» .

- وقال ﷺ :

« من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عزّ وجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان» .

وقال ﷺ :

- « القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من اتعاب الجوارح بالأعمال» .
ولا ريب أن الأعمال بالقلوب أبلغ بكثير من الجوارح . قال ﷺ :

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ثلاثة مراقبين دائمين : الله والرسول والمؤمنون .

- وقال ﷺ :

«لو كانت السماوات والأرض رتقا على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل منها مخرجاً» .

- وقال ﷺ :

«لا تكن ولياً لله في العلانية، وعدواً له في السر» هؤلاء منافقون يحاولون إظهار التدين وهم بالحقيقة أعداء للدين، وقد كان الكثير منهم في عصر الإمام الجواد ﷺ وما زال الأكثر منهم في عصرنا الحاضر . لكن الحقيقة الناصعة لا تختفي لهما تصنع المنافقون في إخفائها .

قال الشاعر :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقال ﷺ :

«من استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومن اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا» .

- وقال ﷺ :

«لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته ولن يهلك حتى يؤثر هواه وشهوته على دينه» .

جاء في الحديث : «خلق الله الإنسان من شهوة وعقل، فمن غلبت شهوته عقله كان شر البهائم، ومن غلب عقله شهوته كان خير الملائكة .

من هنا كان قوله ﷺ : «عز المؤمن غناه عن الناس» .

وقال ﷺ :

«من أطاع هواه أعطى عدوه مناه» .

وهذا ما سبب خسارة العرب في أسبانيا!! وخسارتهم اليوم لقد أطاعوا أهواءهم بتزويجهم من الاجنبيات فنال عدوهم منهم مناه وخسروا الحكم في اسبانيا التي حكموها مدة مئات الأعوام.

- وقال عليه السلام :

«من هجر المداراة قارنه المكروه، ومن لم يعرف الموارد، أعيته المصادر».

وهذا ما حدث له عليه السلام مع الطاغية المأمون!!

- وقال عليه السلام :

«راكب الشهوات لا تستقال له عثرة».

هذه الحكم الخالدة عاشها الإمام عليه السلام فكانت تجارب حية واقعية لذلك وما زالت حية حتى يومنا هذا.

- وقال عليه السلام :

«من كثر همه سقم جسده».

هذه الحكمة عاشها الأئمة المعصومون مدافعين عن الحق وأهله وواقفين كالأطواد الشامخة ضد الحكام الظالمين.

- قال عليه السلام :

«من لم يرض من أخيه بحسن النية، لم يرض بالعطية».

وفعلًا من ساءت نيته لم تقبل هديته مهما عظمت وكبرت.

وقال عليه السلام :

«أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأنه لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع إلى نفسه من غيره».

وهكذا كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يعملون في سبيل الله ويحبون في الله ويكرهون في الله، لا يريدون جزاء ولا شكورا، همهم الوحيد سعادة الأمة الإسلامية والدفاع عنها من ظلم الظالمين وجور المنحرفين.

- وقال عليه السلام: «من أخطأ وجوه المطالب خذلته وجوه الحيل» وهذا ما افتعله المأمون لذلك، فشل في المخطط الذي رسمه تجاه الإمام الجواد عليه السلام ولم يستطع تنفيذ مآربه.

- وقال عليه السلام:

«من استحسّن قبيحاً كان شريكاً فيه»

وهذا أمر طبيعي من شارك المخطئين في أخطائهم كان شريكهم في جرائمهم، والساكت عن الحق شيطان أخرس.

- وقال عليه السلام:

«موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر».

ليس المهم عدد السنوات التي يعيشها الإنسان لكن المهم أن نعرف كيف عاشها؟ وكثير من الناس هم أحياء أموات وكثير من الناس هم أموات أحياء ذكرهم يتألق ويتوهج على الأمة مهما طال الزمن. والإمام الجواد عليه السلام عاش ما يقارب الخمس والعشرين سنة، كان عمره قصيراً وذكره خالداً بينما أعداؤه عاشوا كثيراً وماتوا وترمدوا ولم يذكر لهم ذكر.

- وقال عليه السلام:

ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله تعالى: كثرة الاستغفار ولين الجانب، وكثرة الصدقة. وثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكل على الله عند العزم.

- وقال ﷺ عن حاجات المؤمن:

المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه».

- وقال ﷺ في التوبة:

التوبة على أربع دعائم: ندم القلب، واستغفار باللسان وعمل بالجوار؛ وعزم أن لا يعود».

- وقال ﷺ:

«أربعة من كن فيه استكمال الإيمان:

من أعطى الله، ومنع الله، وأحب الله، وأبغض فيه».

فالعطاء لله: يكون بلا منة ولا واسطة ولا مصلحة ذاتية والمنع لله يكون دفاعاً عن الحق والقيام بالواجب.

والحب لله: يكون حباً شفافاً صافياً خالصاً يبتعد كل البعد عن المصالح والغايات والحاجات.

والبغض لله: يكون في سبيل مصالح الأمة الاسلامية والمبني على الواجب الشرعي في الحفاظ على الحق والحقيقة.

- وقال ﷺ:

«الجمال في اللسان، والكمال في العقل».

ومن استطاع امتلاك هاتين الصفتين ينال أسمى المراكز وأشرفها في الحياة الإجتماعية. وقد جاء في المثل: لسانك حصانك إن صنته صانك. والجمال في اللسان يصدر من نفس لطيفة وقلب محب ونية طيبة.

وأما الكمال في العقل فهو ميزان الرجال وهو أعلى ثروة يمتلكونها، وقد تميز به الإنسان عن الحيوان وتميز به الإنسان عن غيره من بني البشر.

والكمال في العقل عند الحكماء ثروة كبيرة وعظمة لا تقدر بثمن . من هنا كان القول المأثور: أغنى الغنى العقل .

- وقال عليه السلام :

«العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى والصبر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والعدل زينة الإيمان، والسكينة زينة العبادة، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الحلم والإيثار زينة الزهد، وبذل المجهود زينة النفس، وكثرة البكاء زينة الخوف، والتقليل زينة القناعة، وترك المن زينة المعروف، والخشوع زينة الصلاة، وترك ما لا يعني زينة الورع» .

ونقول أن هذه الحكم هي زينة صاحبها، فالإمام الجواد ورث الفصاحة والحكمة والمعرفة من آبائه وأجداده وكل إمام معصوم ورث كل هذه الصفات الشريفة الكاملة من أبيه وجده حتى نصل إلى إمام البلاغة وصاحب نهج البلاغة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يعلمها من أستاذه العظيم الرسول الأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

والإمام الجواد أمام معصوم من هؤلاء الأئمة العظام الذين أرسلهم الله عزَّ وجل أنواراً ساطعة يهتدي بها سائر الناس على مفارق الطرق .

- وقال عليه السلام يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم» .

فلو كان الظالم يعرف العدل معرفة صحيحة لما ظلم لأنه سوف يحاسب في الآخرة حساب عسيراً . وحقيقة الأمر أن ذلك يتعلق بالإيمان، فالمؤمن يخاف الله ولا يمكن أن يكون إلا عادلاً مستقيماً .

- وقال عليه السلام :

إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له» .

من هنا كان القول: في العجلة الندامة وفي التأني السلامة. وعلى العاقل أن ينتظر على الأمور حتى تستحكم ثم يعلن عنها ويظهرها.

- وقال عليه السلام وقد سئل عن الحزم:

«هو أن تنظر فرصتك وتعاجل ما أمكنك».

وهكذا عمل هو عليه السلام مع المأمون لكنه لم ينبج من حبال شره، وفكره وغدره!!

وقد جاء يوماً أحد أصحابه الثقات وأكثر من مدحه وتقريظه فقال له عليه السلام:

«أقلل من ذلك، فإن كثرة الملق تهجم على الظنة، وإذا حللت من أخيك في الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النية».

فعندما تحسن النوايا تزداد الثقة، وعندما تحصل الثقة فلا حاجة لكثرة الملق، وإلا تقع في الشبهات.

- وقال عليه السلام:

«الحسد ما حق للحسنات، والزهو جالب للمقت، والعُجب صادر عن طلب العلم وداع إلى التخمط في الجهل والبخل أذم الأخلاق، والطمع سجية سيئة».

من هنا كان القول المأثور:

«إياك والحسد فإنه يبين فيك ولا يبين في عدوك».

وهنا يذكرني أبو تمام في مدحه لأبي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد قال:

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| وإذا أراد الله نشر فضيلة | طويت، أتاح لها لسان حسود |
| لولا اشتعال النار فيما جاورت | ما كان يعرف طيب عرف العود |
| لولا التخوف للعواقب لم نزل | للحاسد النعمى على المحسود |

- وقال ﷺ :

«عليكم بطلب العلم، فإن طلبه فريضة، والبحث عنه نافلة، وهو صلة بين الاخوان، ودليل على المروءة، وتحفة في المجالس وصاحب في السفر، وأنس في الغربة»^(١).

حكمة شاملة عن العلم وحلبه جامعة لكل أحواله ونتائج ولا عجب فالإمام الجواد ابن أبيه وابن جده عليهم الصلاة والسلام.

دور الإمام الجواد في البناء التربوي

من الأمور الأساسية التي اهتم بها الإمام الجواد ﷺ هو مسألة بناء الأخلاق الرفيعة عند الفرد وعند المجتمع.

وفي هذا السياق كان الإمام ينقل لهم أحاديث أجداه الهامة وبصورة خاصة أحاديث أمير المؤمنين لما تتضمن توجيهات تربوية عميقة ومؤثرة في تنشئة الأفراد والمجتمعات من هذه التوجيهات التربوية الصالحة :

١ — الحكمة في العمل:

أراد الإمام ﷺ أن يعلم أفراد مجتمعة ضرورة اعتماد الحكمة في العمل ومراعاة عامل الزمن في توضيح المواضيع، فلأموار دورات زمنية ينبغي أن تمر بها حتى تكتمل، وعدم الالتفات إلى هذا الجانب يفسد العمل ويجهضه قبل نضوجه قال ﷺ :

«إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له»^(٢).

(١) راجع مصادر هذه الأقوال في: تحف العقول ص ٣٣٩. وكشف الغمة ج ٣، ص ١٣٧. والفصول المهمة ص ٢٦٩ وقد أخذها عن كتاب «معالم العترة النبوية» لعبد العزيز بن الأخضر الجنازدي. وبحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٥٨ - ٣٦٥.
(٢) تحف العقول ص ٤٥٧.

كما أن للمحن دورات لا يستطيع المرء أن يتخلص منها قبل انتهاء دورتها الزمنية، وهذا الأمر أشبه بالدورات المرضية التي لا يمكن تقليل مدتها وذلك لكسب الجهوزية التامة.

وهذا التوجه لا يعني عدم استعمال الوسيلة لإزالة المحن بل العمل مطلوب وهو يسهم بتقليل مدة المحنة، وبالتالي ازالتها وإلى هذا المعنى أشار الإمام الجواد عليه السلام عندما نقل حديثاً عن جده أمير المؤمنين عليه السلام : «قال لقيس بن سعد وقد قدم عليه من مصر: «يا قيس إن للمحسن غايات لا بد أن ينتهي إليها، فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدارها، فإن مكايدها بالخلة عند إقبالها زيادة فيها»^(١).

كما نقل عن جده أيضاً عليه السلام العناصر المساعدة على إكمال الأعمال فقال: «أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة والغنى، والعلم والتوفيق»^(٢).

٢ — التعامل مع الظالمين:

أكد الإمام الجواد عليه السلام على ضرورة ابتعاد المسلم عن مجارة الظالمين، والركون إليهم، ودعا إلى الإبتعاد عنهم ومقاومتهم.

فقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء»^(٣).

وكذلك ما روى عن أمير المؤمنين قوله:

«من استحسّن قبيحاً كان شريكاً فيه»^(٤).

(١) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٦.

(٢) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٦.

(٣) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٨.

(٤) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٨٠.

إن حكم أمير المؤمنين لعصره ولكل عصر حكم حضارية ثابتة لا تتغير ونحن نعيشها اليوم في العالم العربي كله، في لبنان وفي العراق وفي مصر وفي بعض دول الخليج حيث نستمتع ونرى مشاركة البعض من الأخوة العرب في إعانة المحتل الأمريكي أو الرضوخ له في أعماله المنكرة وفي مجازره التي يقترفها في فلسطين المحتلة وفي العراق وفي كل مكان.

كما أنه شدد على عدم طاعة المنحرفين هؤلاء والاستماع إليهم واعتبر ذلك كالطاعة والاستماع للشيطان. قال عليه السلام: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن الناطق عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس»^(١).

وإن هذا الرفض الشديد للظالمين والتنديد بهم كان للإمام الجواد عليه السلام تفسير عظيم لمعنى التدين يتضح من قوله:

«أوحى الله إلى بعض الأنبياء: أما زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة، وأما انقطاعك إليّ فيعززك بي، ولكن هل عادت لي عدواً ووليت لي ولياً»^(٢).

(١) تحف العقول ص ٤٥٦.

(٢) تحف العقول ص ٤٥٥ وما بعدها.

العجز وجعلت العجز سواه

وكذلك قولك : عالم إنما نفيت بالكلمة الجهل ، وجعلت الجهل سواه ، وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع ، ولا يزال من لم يزال عالماً .

فقال الرجل : كيف سمينا الله سميعاً؟

فقال : لأنه يخفى عليه ما يدرك بالإسماع ، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس .

وكذلك سميناه بصيراً لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك ، ولم نصفه ببصر لحظة العين وكذلك سميناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك ، وموضع النشوء منها ، والعقل والشهوة للفساد والحدب على نسلها وإقام بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار ، فعلمنا أن خالقها لطيف بلا كيف ، وإنما الكيفية للمخلوق المكيف .

وكذلك قوياً لا بقوة البطش المعروف من المخلوق ، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه ولاحتمال الزيادة ، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان ، وما كان ناقصاً كان غير قديم ، وما كان غير قديم كان عاجزاً . فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد ولا نذ ولا كيف

ولا نهاية ولا تبصار بصر، ومحرم على القلوب أن تمثله، ولا على الأوهام أن تحده، ولا الضمائر أن تكونه، عز وجل عن أداة خلقه وسمات بريته، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً» .

٢ — اهتمام الإمام عليه السلام بالبناء العلمي:

وفي رحاب المجالات التي تحرك فيها الإمام الجواد عليه السلام .

إكماله البناء العلمي الذي أشاده الأئمة المعصومون عليهم السلام من آباءه المتتبعين . وفي سياق هذا النشاط إجاباته الكثيرة على الاستفسارات العلمية والاستفتاءات الفقهية التي كانت تستجد للطائفة الشيعية خاصة وللأمة الإسلامية عامة .

- إكماله المنهج العلمي :

تعد القواعد الأصولية جزءاً من المنهج العام لفهم الشريعة واستنباط أحكامها . ومن جملة منهجه :

أ - عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن الكريم إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمة عليهم السلام .

روي عن الإمام الجواد عليه السلام أنه روى عن أبي عبد الله الصادق أن رجلاً سأل أباه الإمام محمد الباقر عليه السلام عن مسائل منها :

أنه قال عليه السلام : « قل لهم : هل كان مما أظهر رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الله - عزَّ وجلَّ - اختلاف؟

فإن قالوا لا ، فقل لهم : فمن حكم بحكم الله فيه اختلاف ، فهل خالف رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فيقولون : نعم ، فإن قالوا لا ؛ فقد نقضوا أول كلامهم ، فقل لهم :

ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . فإن قالوا : من الراسخون

في العلم؟ فقل: من لا يختلف في علمه. فإن قالوا: فمن هو ذلك؟ فقل: كان رسول الله ﷺ صاحب ذلك - إلى أن قال - وإن كان رسول الله ﷺ لم يستخلف في علمه أحداً فقد ضيع من في أصلاب الرجال ممن يكون بعده.

قال أيضاً: أما يكفيهم القرآن؟ قال: بلى، إن وجدوا له مفسراً قال: وما فسر رسول الله ﷺ؟ قال: بلى فسر له لرجل واحد وفسر للأمة شأن ذلك الرجل، وهو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وال عليه السلام أيضاً:

«والمحكم ليس بشيئين إنما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف، محكمه من حكم الله عز وجل، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنه مصيب، فقد حكم بحكم الطاغوت»^(١).

ب - وجوب العمل بأحاديث الأئمة عليهم السلام المنقولة في الكتب المعتمدة. فقد جاء في الكافي أيضاً عن محمد بن الحسن بن خالد شنبولة أنه قال: «قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام :

جعلت فداك، إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله وكانت التقية شديدة، فكتبوا كتبهم، ولم ترو عنهم، فلما ماتوا صارت الكتب إلينا.

فقال عليه السلام : حد ثوابها فإنها حق»^(٢).

ج - جواز العمل بقول من إجازة الإمام عليه السلام في العمل برأيه:

جاء في رجال الكشي: عن خيران الخادم أنه قال:

وجهت إلى سيدي^(٣) ثمانية دراهم وقال: قلت: جعلت فداك إنه ربما

(١) أصول الكافي ج ١، ص ٢٤٨.

(٢) أصول الكافي ج ١، ص ٥٣ وعنه الوسائل ج ١٨، ص ٥٨.

(٣) المراد بسيدته: الإمام الجواد عليه السلام أو الإمام الهادي أو الإمام الرضا عليهم السلام لأنه خدمهم ثلاثتهم.

أتاني الرجل لك قبله الحق، أو يعرف موضع الحق لك فيسألني عما يعمل به، فيكون مذهبي أخذ ما يتبرع في سر؟

قال: إعمل في ذلك برأيك، فإن رأيك رأي، ومن أطاعك فقد أطاعني^(١).

د - دعم جواز الافتاء من دون علم

حينما توفي الإمام الرضا عليه السلام كان عمر أبي جعفر عليه السلام حينذاك سبع سنين، فاختلفت كلمة الشيعة حوله ببغداد والأمصار فاجتمع وجهاء الشيعة وفقهاؤهم في الموسم ليشاهدوا أبا جعفر فوجدوا في دار جعفر الصادق عليه السلام عبد الله بن موسى قد جلس في صدر المجلس وكان يسأل فيجيب بأجوبة دعتهم إلى الحيرة فاضطربوا وهموا بالانصراف، وإذا بموفق الخادم يدخل عليهم مع أبي جعفر عليه السلام فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلموا عليه ثم جلس وبدأوا بأسئلتهم فكان يجيب على أسئلتهم بالحق. ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له: إن عمك عبد الله أفتى بكيت وكيت فقال عليه السلام:

«لا إله إلا الله! يا عم! إنك عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك: لِمَ تفتي عبادي بما لم تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك؟!»^(٢).

هـ - البسمة في الصلاة:

جاء عن يحيى بن أبي عمران الهمداني، قال: «كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام جعلت فداك، ما تقول في رجل ابتداء بسم الله الرحمن الرحيم في

(١) رجال الكشي ح ٦١٠ - ١١٣٤ وعنه في الوسائل ج ١٢، ص ٢١٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٠، ص ٩٩.

صلاته وحده في أم الكتاب، فلما صار إلى غير أم الكتاب من السورة تركها فقال العباسي^(١): ليس بذلك بأس.

فكتب بخط يده: يعيدها مرتين على رغم أنفه - يعني العباسي - .

و - الإكراه في الزواج :

جاء في رواية علي بن مهزيار عن محمد بن الحسن الأشعري، قال:

«كتب بعض بني عمي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام :

ما تقول في صبية زوجها عمها، فلما كبرت أبت التزويج؟ فكتب

بخطه عليه السلام :

«لا تكره على ذلك والأمر أمرها» .

ح - حكم الوقف :

عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي: قال: «كتبت إلى أبي جعفر

الثاني عليه السلام أسأله عن أرض وقفها جدي على المحتاجين من ولد فلان بن

فلان متفرون في البلاد؟ فأجاب عليه السلام :

ذكرت الأرض التي أوقفها جدك على فقراء ولد فلان بن فلان وهي

لمن حضر البلد الذي فيه الوقف، وليس لك أن تتبع من كان غائباً» .

ط - شهادة الزوج وغير الزوج :

عن محمد بن سليمان أنه قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : كيف صار

الزوج إذا قذف امرأته كانت شهادته أربع شهادات بالله؟ وكيف لا يجوز

ذلك لغيره وصار إذا قذفها غير الزوج جلد الحد، ولو كان ولداً أو أختاً؟

فقال: سئل أبو جعفر عن هذا فقال: ألا ترى أنه إذا قذف الزوج

امرأته، قيل له: وكيف علمت أنها فاعلة؟ فإن قال: رأيت ذلك منها بعيني،

(١) هو هشام بن إبراهيم العباسي وكان يعارض الإمام الرضا والجواد عليهما السلام .

كانت شهادته أربع شهادات بالله، وذلك أنه قد يجوز للرجل أن يدخل المدخل في الخلوة التي لا تصلح لغيره أن يدخلها ولا يشهدا ولد ولا والد في الليل والنهار، فلذلك صارت شهادته أربع شهادات بالله إذا قال: رأيت ذلك بعيني.

وإذا قال: إني لم أعاين، صار قاذفاً في حد غيره وضرب الحد إلا أن يقيم عليها البينة، وإن زعم غير الزوج إذا قذف وادعى أنه رآه بعينه قيل له: وكيف رأيت ذلك؟

وما أدخلك ذلك المدخل الذي رأيت فيه هذا وحدك؟

أنت متهم بدعواك، وإن كنت صادقاً فأنت في حد التهمة، فلا بد من أدبك بالحد الذي أوجبه الله عليك. قال: وإنما صارت شهادة الزوج أربع شهادات بالله. لمكان الأربعة شهداء مكان كل شاهد يمين^(١).

هذه بعض الأمثلة التي ذكرت على سبيل الذكر لا الحصر وهي نماذج لبعض توجهات الإمام الجواد عليه السلام وهو تفقيحه لشيئته ومواليه عن طريق مراسلتهم إياه أو سؤاله بصورة مباشرة.

وهكذا كانت حياة الأئمة الأطهار الذين عصمهم الله عن سائر الناس، نوراً وذخراً على مدى الأزمان.

(١) مستدرک عوالم العلوم ٢٣/٤٨٤.

من تراثه في الطب

استوعب أئمة أهل البيت عليهم السلام شتى العلوم ومنها علوم الطب والحكمة وذلك بما آتاهم الله من فضله، وأطلعهم على غيبه وألهمهم من معرفته، وحباهم من نوره، وكل ذلك ورثوه من علوم خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله فكانوا عليهم السلام يعالجون المرضى بالقرآن والدعاء والاحراز والرقى والصدقة.

وتارة بوصفهم النظافة الطهارة والوقاية العامة.

وثالثة بالأعشاب والنباتات وغيرها من العقاقير الطبية التي كانت تؤثر بشكل فعال في شفاء المرضى. مما يدل على قدراتهم عليهم السلام الكبيرة والواسعة بتشخيص المرض من دون اللجوء إلى إجراء التحليلات المخبرية والصور الشعاعية والتخطيطات وما إلى ذلك من الوسائل المتطورة الحديثة المعروفة في يومنا هذا.

وقد تبين منهم إطلاعهم الواسع بخواص تلك العقاقير وتأثيرها المباشر على المرض وبالتالي توضح صحة تشخيصهم لمختلف الأمراض. ومما يجدر ذكره هنا أنه بعد مرور عدة قرون جاء الطب الحديث بإمكاناته الواسعة ليبرهن على صحة وصواب ما ورد عنهم عليهم السلام من أحاديث وأخبار في هذا المجال الواسع، لا بل إنه اعتمد الطب الحديث في الكثير من تلك

الأخبار ﷺ وتذكر العودة إلى استخدام الحجامة والفصد علاجاً أساسياً أو مساعداً لغيره من العلاجات المساعدة للشفاء .

والشيء الهام أن كثيراً من العلماء والباحثين قد أقروا بتحقيقاتهم بتلك الحقائق المهمة الواردة عن أئمة أهل البيت واتفقوا على أن قوانين الطب الحديث قد جمعت في قوله تعالى: ﴿...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) .

وسوف نذكر لمحة سريعة عن الحجامة والفصد .

يقال: فصد العرق فصدأً: ويقال: فصد المريض: أخرج مقدار من دم وريده .

وقد تكامل الفصد اليوم باستعمال ابرة واسعة القناة بواسطتها ويؤخذ الدم من الوريد مباشرة، وتتراوح كمية الدم المفصود بين ٣٠٠ - ٥٠٠ سم. ٣ ويجب أن يتم بأسرع ما يمكن .

وتختلف الحجامة عن الفصد في أن الأخير هو إخراج الدم من الوريد بشقه كما هو يقينانقياً كان أو غليظاً، بينما الحجامة هي إخراج الدم الفاسد بواسطة آلة ماصة من العروق الدقيقة والشعيرات الدموية المبتوثة في اللحم .

والفصد يقلل الدم وبالتالي يحتاج إلى تعويض وخلق جديد بينما الحجامة تنقي الدم وتصفيه دون أن يفقد الجسم كمية كبيرة منه، لكنها العكس تنشط الدورة الدموية .

وعلى هذا فالحجامة لا تضعف البدن كما في الفصد .

وتستعمل الحجامة عادة للتخفيف عن الدورة الدموية وما يثقلها من سموم الفضلات والدهون والمتخلفات من الافراز، وقد استعملت من

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١ .

القديم كواجب من الواجبات الفصلية، وكعلاج ناجح لعدد من الأمراض كالجلطة الدموية والسكتة القلبية، وانفجار الشريان الدماغي .

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالحجامة لا يتبّع الدم بأحدكم فيقتله» وقال جالينوس: دمك عبدك، وربما قتل العبد سيده، فاطلقه، فإن رأيتَه صالحاً فأمسكه .

وبعد العلق الطبي^(١) من ملحقات الحجامة، وله أيضاً أهمية في العلاج الموضوعي لكثير من أمراض الأوردة الدموية كركود الدم في منطقة ما في الجسم، وذلك بما يتمتع به العلق من غريزة خاصة في مص الدم الفاسد، وإدخاله الهواء أثناء عملية المص تحت الجلد .

أما الفصد فينفرد من ناحية أخرى في علاج الحالات التالية:

١ - واحدها علقة وهي دودة تعيش في الماء تمص الدم في الرئتين
ينجم عنها عسر شديد في التنفس .

٢ - ضغط الدم الدماغي العالي لغلظة الدم .

٣ - ازدياد عدد كريات الدم الأولى .

٤ - الإحتقان الرئوي .

وللفصد عروق معروفة ولها أسماء خاصة كالعرق الزاهر والأكحل يخرج منها الدم، وقد ورد عن النبي ﷺ والأئمة ﷺ أن للفصد أوقات معينة .

وأما الحجامة فلها مواضع معروفة كاليافوخ من الرأس والنقرة من الظهر وغيرها، ولها أوقات معينة أيضاً وردت عن النبي ﷺ والأئمة ﷺ في الأحاديث الشريفة .

(١) الهبوط الوظيفي في البطن الأيسر المؤدي إلى تورم .

١ - جاء في المناقب لابن شهر آشوب: في كتاب معرفة الجسد عن الحسين بن أحمد التيمي: روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام استدعى فاصداً في أيام المأمون فقال له:

إفصدني في العرق الزاهر! فقال له:

ما أعرف هذا العرق يا سيدي، ولا سمعت به. فأراه إياه فلما فصدته خرج منه ماء أصفر، فجرى حتى امتلا الطست؛ ثم قال: خلّ عنه فخرج دون ذلك. فقال:

شده الآن، فلما شدّه أمر له بمائة دينار، فأخذها وجاء إلى يوحنا بن بختيشوع فحكى له ذلك، فقال: ^(١).

والله ما سمعت بهذا العرق منذ نظرت في الطب، ولكن هاهنا فلان: الأسقف ^(٢) قد مضت عليه السنون، فامض بنا إليه فإن كان عنده علمه وإلا لم نقدر على من يعلمه، فضمياً ودخلاً عليه وقصا القصة.

فاطرق ملياً، ثم قال: يوشك أن يكون هذا الرجل نبياً أو من ذرية نبي ^(٣).

٢ - وجاء في رجال الكشي: يأتي في حال عم أبيه علي بن جعفر ودنا الطبيب ليقطع له العرق، فقام علي بن جعفر عليه السلام فقال: يا سيدي يبدأ بي ليكون حدة الحديد في قلبك...

(١) يوحنا هو طبيب أخي المعتمد، شخص أسقفاً على الموصل (٢٧٩هـ) وجبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس طبيب المأمون توفي (٢١٢هـ - ٩٨٣م). واسرة بختيشوع أسرة طبية من الناطرة. أصلها من جند نيسابور، خدمت الخلفاء العباسيين نحو ثلاثة قرون اشتهر منها جورجيس بن جبرائيل وابنة بختيشوع.

(٢) الاسقف: هو فوق القسيس ودون المطران والكلمة يونانية.

(٣) المناقب ج ٣، ص ٤٩٥ وبحار الأنوار ج ٥٠ ص ٥٧.

علاج حمى الغب^(١) والربع^(٢).

وعن الحسن بن شاذان، قال: حدثنا أبو جعفر عليه السلام عن أبي الحسن عليه السلام وسئل عن حمى الغب الغالبة.

فقال عليه السلام: يُوخَذُ العسل والشونيز^(٣) ويلعق منه ٣ لعقات فإنها تنقلع. وهما المباركان قال الله تعالى في العسل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

قال رسول الله ﷺ في الحبة السوداء: في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام.

قيل وما السام يا رسول الله؟ قال ﷺ: الموت.

قال: وهذان لا يميلان إلى الحرارة والبرودة ولا إلى الطبائع، إنما هو شفاء حيث وقعاً^(٥).

٣ - وعن الحسن بن شاذان، قال: حدثنا أبو جعفر عن أبي الحسن عليه السلام قال:

خير الأشياء لحمى الربع أن يؤكل في يومها الفالوذج^(٦) المعمول بالعسل، ويكثر زعفرانه، ولا يؤكل في يومها غيره^(٧).

(١) غبّة عليه الحمى: أخذته يوماً وتركته يوماً

(٢) حمى الربع: هي التي تنوب كل رابع يوم.

(٣) الشينيز والشونيز والشونوز: الحبة السوداء قاموس المحيط ج ٢، ص ١٧٩ وقال ابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج ٣، ص ٧٢ الحبة السوداء وتدعى بالشونيز وهو نبات صغير دقيق العيدان طوله نحو شبرين وله ورق صغير، وعلى طرفه رأس شبيه بالخشخاش في شكله طويلة مجوفة تحوي بقزراً أسود حريق طيب الرائحة.

(٤) سورة النحل، الآية: ٦٩.

(٥) الوسائل ج ١٧، ص ٧٦ وبحار الأنوار ج ٦٢، ص ١٠٠.

(٦) الفالوذج: حلوى تعمل من الدقيق والماء والعسل.

(٧) الكشي: ٦٥، عنه البحار ج ٦٢، ص ١٠٠.

علاج اليرقان^(١).

عن محمد بن يحيى، عن محمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، قال: تغذيت مع أبي جعفر عليه السلام فأتى بقطاة^(٢) فقال: «إنه مبارك وكان أبي يعجبه وكان يأمر أن يطعم صاحب اليرقان، يشوى له فإنه ينفعه»^(٣).

علاج ضربة الريح الخبيثة:

عن أحمد بن إبراهيم بن رياح، قال: حدثنا الصباح بن محارب، قال «كنت عند أبي جعفر ابن الرضا عليه السلام فذكر أن شبيب بن جابر ضربته الريح الخبيثة، فمالت بوجهه وعينيه، فقال: يؤخذ له القرنفل^(٤) خمسة مثاقيل، فيصير في قنينة يابسة، ويضم رأسها ضمماً شديداً، ثم تطين وتوضع في الشمس قدر يوم في الصيف، وفي الشتاء قدر يومين، ثم يخرج فيسحقه سحقاً ناعماً ثم يديفه^(٥) بماء المطر حتى يصير بمنزلة الخلق، ثم يستلقي على قفاه ويطلّي ذلك القرنفل المسحوق على الشق المائل^(٦) ولا يزال مستلقياً حتى يجف القرنفل، فإنه إذا جف رفعه الله عنه، وعاد إلى أحسن عاداته بإذن الله تعالى.

قال: فابتدر إليه أصحابنا فبشروه بذلك، فعالجه بما أمر به فعاد إلى أحسن ما كان بعون الله تعالى»^(٧).

(١) اليرقان: حالة مرضية تميح الصفراء من بلوغ المعى بسهولة فتختلط بالدم فصغر بسبب ذلك الأنسجة.

(٢) القطاة: هي ضرب من الحمام ذوات أطواق يشبه القماري.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣١٢ وعنه البحار ج ٦٥ ص ٤٣ والوسائل ج ١٧، ص ٣٣.

(٤) القرنفل: ثمر شجرة كالياسمين، وهو أفضل الأفاوية الحارة.

(٥) داف الدواء ونحوه: خلطه. إذا به في الماء وضربه فيه ليختر.

(٦) الحامل.

(٧) سويق العدس عن أبي عبد الله أنه قال: سويق العدس يقطع العطش ويقوي المعدة،

علاج من أصابها حيض لا ينقطع:

حدث محمد بن يحيى عن محمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، قال: عن جارية لنا أصابها الحيض وكان لا ينقطع عنها حتى أشرفت على الموت، فأمر أبو جعفر أن تسقى سويق العدس فسقيت وانقطع عنها وعوفيت^(٨).

علاج تبرد المعدة وخفقان القلب:

عن محمد بن علي المتطبيب قال: حدثنا عبد الله بن عثمان قال: شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام برد المعدة وخفقان القلب، فقال عليه السلام:

«أين أنت عن دواء أبي - وهو الدواء الجامع؟!».

قلت يا ابن رسول الله! ما هو؟

قال: معروف عند الشيعة: قلت سيدي ومولاي، فأنا كأحدهم فأعطني صفته حتى أعالجه وأعطي الناس.

قال: خذ زعفران وعافر قرحا وسنبل، وبنج، وقاقلة، وخريق أبيض، وفلفل أبيض، أجزاء سواء، وأبرفيون جزئين يدق ذلك كله دقاً ناعماً وينخل

وفيه شفاء من سبعين داء، ويطفئ الصفراء، ويبرد الجوف وكان عليه السلام إذا سافر لا يفارقه، وكان إذا هاج الدم بأحد من حشمه قال له: إشرب من سويق العدس فإنه يسكن هيجان الدم، ويطفئ الحرارة. الكافي ج ٦، ص ٣٠ وقال المجلسي في البحار: وأما إطفاء الصفراء والحرارة فليل لجهتين: أحدهما من جهة التبريد في الأفرجة الحارة والآخر من أجل تغليظ الدم وسيلانه في العروق ولهذا السبب يقطع الدم.

(٨) الكافي ج ٦، ص ٣٠٧ والبحار ج ٦٦، ص ٦٣.

بحريرة ويعجن بضعفي وزنه عسلاً منزوع الرغوة فيسقى منه المصاب فإنه يعافى» .

علاج وجع الحصاة:

ورد عن محمد بن حكام قال: حدثنا محمد بن النصر - مؤدب ولد أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام قال: شكوت إليه ما أجد من حصاة، فقال:

«ويحك! أين أنت عن الجامع دواء أبي؟ فقلت: سيدي ومولاي أعطني صفته. فقال: هو عندنا، يا جارية أخرجي البستوقة الخضراء. قال: فأخرجت البستوقة وأخرج منها مقدار حبة.

فقال: اشرب هذه الحبة بماء السداب، أو بماء الفجل^(١) المطبوخ فإنك تعافى منه.

قال: فشربه بماء السداب، فوالله ما أحسست بوجعه إلى يومنا هذا»^(٢).

(١) ماء الفجل: غذاؤه قليل وفيه حرارة، ويفتح سد الكبد ويعين على الهضم. ويؤكل الفجل مع باقي المشتهيات والمقبلات للطعام، ويحتوي على الفيتامين C وقدر للبول، ويساعد على الهضم، ويكافح السعال.

(٢) الكافي: ٩٩، عنه في بحار الأنوار ج ٦٢ ص ٢٤٩ ومستدرک الوسائل ج ١٦، ص ٤٦٥.

في رحاب مواظب الإمام الجواد عليه السلام

من بعض مواظبه نذكر عن علي بن شعبة الحاراني أحاديث مرسلة في باب مواظب أبي جعفر الجواد عليه السلام .

١ - قال له رجل : أوصني؟ قال عليه السلام : وتقبل؟ قال : نعم . قال : توسد الصبر، واعتنق الفقر، وارفض الشهوات، وخالف الهوى، واعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون»^(١) .

وصية كافية شافية، فالذي يجعل من الصبر وسادة، والفقر عقداً يعتنقه، ويرفض ما تهواه نفسه من شهوات الحياة ومغرياتها، ثم يعلم يقيناً أنه في مراقبة دائمة من عين الله، من يكون بهذه الصفات يعيش سعيداً موفوراً الكرامة محبوباً من الله ومن الناس أجمعين .

٢ - ثم يقول عليه السلام : «أوحى الله إلى بعض الأنبياء : أما زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة، وأما انقطاعك إليّ فيعززك بي، ولكن هل عادت لي عدواً وواليت لي ولياً؟»^(٢) . فالزهد في الدنيا يقربنا من الله عزَّ وجلَّ وانقطاعنا عنه يبعدنا عن كرامته وتوفيقه . فلنجعل أنفسنا أسوة بالأنبياء .

٣ - وقال عليه السلام :

«من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله؛

(١) تحف العقول ص ٣٣٥ .

(٢) تحف العقول ص ٣٣٥ .

وإن كان الناطق ينطق عن إبليس فقد عبد إبليس»^(١) فالناس صنفان منهم من ينطق عن لسان الله ومنهم من ينطق عن لسان إبليس فلنحذر البعد عن شر إبليس ولنقترب من الله عزَّ وجلَّ . والخيار لنا .

٤ - وقال ﷺ : من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهدته»^(٢) .

٥ - قال له أبو هاشم الجعفري في يوم تزوج أم الفضل ابنة المأمون :
«يا مولاي لقد عظمت علينا بركة هذا اليوم، فقال ﷺ : يا أبا هاشم عظمت بركات الله علينا فيه؟ قلت : نعم يا مولاي، فما أقول في اليوم؟ فقال : هل فيه خيراً، فإنه يصيبك .

قلت : يا مولاي أفعل هذا ولا أخالفه . قال ﷺ : إذا ترشد ولا ترى خيراً»^(٣) .

٦ - وقال ﷺ : «أما هذه الدنيا فإنها فيها مغتربون ولكن من كان هواه هوى صاحبه ودان بدينه فهو معه حيث كان، والآخرة هي دار القرار»^(٤) .
فالخيار هو للإنسان نفسه، فإما أن يدين بدين صاحبه فيكون معه، وإما يبغي الآخرة التي هي دار القرار .

٧ - وقال ﷺ في كلمات مختصرة مفيدة ذات أبعاد ودلالات : «تأخير التوبة اغترار، وطول التسوية حيرة، والاعتدال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله :

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٥) .

(١) تحف العقول ص ٣٣٦ .

(٢) تحف العقول ص ٣٣٦ .

(٣) تحف العقول ص ٣٣٦ .

(٤) تحف العقول ص ٤٥٦ .

(٥) تحف العقول ص ٤٥٦ .

٨ - وروي أن جملاً حمله من المدينة إلى الكوفة فكلمه في صلته، وقد كان أبو جعفر عليه السلام قد وصله بأربعماية دينار فقال: سبحان الله؛ أما علمت أنه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العباد»^(١).

فكلما زدنا في عطائنا إلى المحتاجين كلما زاد شكرهم لنا وقويت محبتهم لنا وزدنا تماسكاً في مجتمعنا وقوة في وحدتنا.

٩ - وقال عليه السلام:

«إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له»^(٢).

وهذا أمر طبيعي وموضوعي ومثلنا اليوم ما يحدث في من يتسابق في إعطاء المعلومات المسبقة في جريمة الشهيد رفيق الحريري، فقد أضعوا الحقيقة قبل الوصول إليها، فضاعوا وضيعوا.

١٠ - وقال عليه السلام: «المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه»^(٣).

كل مؤمن يحتاج إلى توفيق من الله وهذا أمر طبيعي، لكنه بحاجة ماسة إلى الإعتماد على نفسه ليتعظ منها كما يتعظ أيضاً من تجارب المؤمنين الآخرين الصالحين، يستفيد منهم ويتقبل نصائحهم.

١١ - وقال عليه السلام:

«ملاقة الإخوان نشرة وتلقيح للعقل وإن كان نزرًا قليلاً»^(٤).

يدعوننا عليه السلام للإلتقاء لأن فيه فوائد جمة:

منها توثيق العلاقات الإجتماعية ونمو المحبة بينهم.

(١) تحف العقول ص ٣٣٥.

(٢) تحف العقول ص ٣٣٦.

(٣) تحف العقول ص ٣٣٦.

(٤) أمالي المفيد ص ٣٢٩.

ومنها تلقيح العقول وكسب المعارف والاطلاع على كل جديد ومفيد،
وهكذا تتوسع المعلومات وتتغرز الحضارة.

١٢ - أما عن أهل المعروف قال عليه السلام :

عن أبي هاشم الجعفري قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول :

«إن في الجنة باباً يقال له المعروف لا يدخله إلا أهل المعروف
فحمدت الله تعالى في نفسي وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس، فنظر
إلي عليه السلام فقال : نعم تتم على ما أنت عليه فإن أهل المعروف في دنياهم هم
أهل المعروف في الآخرة جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك»^(١).

١٣ - وعنه أيضاً قال : «سأل محمد بن صالح الأرمني عن قول الله
تعالى : «لله الأمر من قبل ومن بعد» فقال عليه السلام : من قبل أن يأمر الله والله
الأمر من بعد أن يأمر بما يشاء» فقلت في نفسي : هذا تأويل الله تعالى : «ألا
له الخلق والأمر تبارك الله أحسن الخالقين» فقلت : أشهد أنك حجة الله
وابن حجته على العباد»^(٢).

١٤ - وقال عليه السلام : «نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر»^(٣).

إن نعم الله لا تحصى ولا تعد، وقد وسعت كل شيء، وبالشكر تدوم
النعم، فعلينا أن نتذكر هذه النعم في كل لحظة وفي كل أوان لأننا كيفما
تطلعنا في أنفسهن نجد نعم الله المباركة.

أما الذي ينسى أو يتناسى نعم الله الوافرة فهو المنكر لها وبالتالي سيئاته
لا تغفر.

(١) الثاقب في المناقب ص ٢٢٦

(٢) الثاقب في المناقب، ص ٢٢٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٧١، ص ٥٣.

١٥ - وقال عليه السلام: «من لم يعرف الموارد أعيته المصادر»^(١).

وهذا أمر طبيعي ومشروع، إذ كيف يمكننا أن نعطي رأينا في أمر ما قبل أن نعلم الأسباب الموجبة، وإلا كانت النتيجة جزافاً فعلينا أن نمتلك الأدلة الدامغة والأسباب الدالة على أي موضوع نريد بيانه قبل أن ندلي بشهادة.

١٦ - وقال عليه السلام: «من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرّض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة»^(٢).

كيف نطمئن إلى أي موضوع قبل أن نختبر الأسباب، وكيف يهدأ لنا بال قبل أن نتأكد من المصادر الموجبة. وإلا نكون قد عرضنا أنفسنا للهلكة والنهاية المتعبة.

١٧ - وقال عليه السلام: «من هجر المداراة قاربه المكروه»^(٣).

كان الشيعة مطاردين ومظلومين من قبل العباسيين وكان لا بد لهم في بعض الأحيان من التعامل بالتقية والمداراة من أجل حقن الدماء واستبعاد الجرائم المحدقة بهم قبل وقوعها.

وفي أحيان أخرى كانت المداراة غير نافعة فيحل السيف مكانها للدفاع عن النفس وتقع الحروب والمعارك المفروضة عليهم.

١٨ - من هنا كان تحذير الإمام الجواد لجماعته قوله عليه السلام:

«إياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره»^(٤).

فالمظاهر لا تغني عن الجواهر، مظهر جميل ومضمونه قبيح.

(١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣٤٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٧١، ص ٣٤٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٧١، ص ٣٤١.

(٤) بحار الأنوار ج ٧٤، ص ١٩٨.

١٩ - وقال ﷺ يرشد المؤمنين من أجل الحفاظ على عزهم وكرامتهم .
«عز المؤمن غناه عن الناس»^(١) .

المؤمن عزته وكرامته استغناؤه عن الآخرين، وأهل البيت ﷺ كانت الجماعات عامة بحاجة إليهم، لأن الله سبحانه وتعالى وهبهم المعرفة العلمية الشاملة يعلمونها إلى سائر الناس دون تفریق أو تمييز. وبذلك استغنوا عن الناس وعاشوا بكرامتهم وعزهم. والله أعلم أين يضع رسالته .
٢٠ - وقال ﷺ :

«لا يضرک سخط من رضاه الجور»^(٢) .

من كان مع الله لا يبالي بجور السلطان ولا يهتم لسخطه لأن همه رضى الله وليس رضى السلطان الجائر. والساکت عن ظلم الحكام الجائرين هو مشارك لهم في ظلمهم وطغيانهم. والمؤمن لا يسكن عن الجور ولا يرضاه، بل يقاومه ويتغلب عليه بإذن الله كان الإمام الجواد ﷺ يعلم كل ما يخفيه عليه المأمون من الغدر والخيانة ومع ذلك وقف وقفة عز كما وقف أبوه وأجداده ولم يخف من جور السلطان وجوره.

ومن هنا كان قوله ﷺ : «كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة»^(٣) .
الساکت عن الحق شيطان أخرس، والمصاحب للخونة هو خائن مثلهم. والله سبحانه أمرنا أن نقاتل من يقاتلنا ونجاهد في سبيل الله ولا نستكين للظالمين.

٢١ - وقال ﷺ : «من عمل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح»^(٤) .
العلم هو مفتاح المعرفة وأي معرفة من معارف الحياة لا يمكن الدخول

(١) بحار الأنوار ج ٧٥، ص ١٠٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٥، ص ٣٨٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٥، ص ٣٨٠.

(٤) بحار الأنوار ج ٧٨، ص ٣٤٦.

إلى رحابه إلا بمفتاح يناسبه ويفتح عليه . والعمل بغير علم يضر أكثر مما ينفع ، من هنا نهانا الإمام علي عليه السلام عن مصاحبة الجاهل والحديث الشريف الذي يدور على كل لسان: «أنا مدينة العلم وعلي بابها . والدخول إلى المدينة لا يصح إلا من الباب .

٢٢ - وقال عليه السلام: «القصدي إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من اتعاب الجوارح بالأعمال»^(١) .

القلب هو الوعاء الجامع لكل ما يفكر فيه الإنسان ، والكلام الذي يخرج من القلب يدخل إلى القلب والذي يخرج من اللسان لا يتجاوز الآذان .

والله عز وجل هو القصد والغاية فمن أراد القصد إليه يتوجه بقلبه الشفاف الصالح وهو أبلغ بكثير من اتعاب الجوارح بالأعمال . فلنعلم إلى تنظيف قلوبنا من الحقد والحسد والضغينة لتكون أعمالنا مقبولة عند رب العالمين . ربي لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا إنك أن الكريم الوهاب .

٢٣ - وقال عليه السلام :

«الثقة بالله ثمن لكل غال وسلّم إلى كل عال»^(٢) .

من توكل على الله سلم ومن أراد التوكل إلى غيره ندم . وفي الحديث كن مع الله ولا تبالي ، وكل من وثق بالله ازداد بالقرب منه وتوصل إلى تحقيق مراده . فلنثق بعلام الغيوب لنصل إلى المراد المطلوب .

٢٤ - وقال عليه السلام «إذا نزل القضاء ضاق القضاء» .

عند نزول القضاء تضيق السبل أمام الإنسان ، لأن الحل ليس بيده حتى يخفف من وهج المسائل أو يحتاط قبل وقوعها .

(١) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٦٤ .

(٢) بحار الأنوار ج ٧٨ ، ص ٣٦٤ .

من القول المأثور: إذا جاء الأجل عمي البصر. والله ولي التوفيق.
٢٥ - وقال ﷺ: «غنى المؤمن غناه عن الناس»^(١).

الإنسان المؤمن يتوكل على الله في كل أمور حياته بعد أن يستنفذ كل طاقاته الفكرية، وبذلك يستغني عن الناس مهما على شأنهم. من هنا كان القول: كن مع الله ولا تبال.

٢٦ - وقال ﷺ: «من لم يرض من أخيه بحسن النية لم يرض بالعطية»^(٢).

على الإنسان العاقل أن يحسن اختيار من يعاشر فإذا ما ظهر من بعض إخوانه سوء النية فعليه تركه والبعد عنه وبذلك عليه أن لا يرضى بعطاياه ولا يمثل لوصاياه.

وقال ﷺ:

٢٧ - «قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعاً لما تهواه»^(٣).

الصديق الصدوق هو الذي يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه، فلا يستر عليه النصيحة مسaire لعواطف صاحبه وتعاطفاً معه لما يحب ويرضى. فيقول الحق ولا يخشى لوم أحد.

٢٨ - وقال ﷺ:

«الحوائج تطلب بالرجاء وهي تنزل بالقضاء، والعافية أحسن عطاء»^(٤).

إن أي حاجة يبغها الإنسان عليه أن يطلبها من الله عز وجل عن طريق الدعاء. «ادعوني أستجب لكم».

(١) بحار الأنوار ج ٧٨، ص ٣٦٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٨، ص ٣٦٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٨، ص ٣٦٤.

(٤) بحار الأنوار ج ٧٨، ص ٣٦٥.

لكن الدعاء يجب أن يصدر عن مؤمن شفاف صافي الضمير يحب الله ويكرهه لله ويعمل في سبيل الله .

وأفضل ما يتمناه العاقل : العافية ، فهي أعلى ما في الوجود ، فلا ينفع مال ولا ينفع جاه ولا ولد إذا أصيب الإنسان بعافيته وما نفع الدنيا بأسرها إذا ربحها الإنسان وخسر نفسه؟! .

٢٩ - وقال ﷺ :

« لا تعادي أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى ، فإن كان محسناً فإنه لا يسلمه إليك وإن كان مسيئاً فإن علمك به يكفيك فلا تعاده»^(١) .

إن في المعادات أو في الصداقات علينا أن نتأكد من الذين نعاديهم أو نصادقهم ليكونوا من المؤمنين والمحسنين ، وإذا كانوا غير ذلك فالله مولانا ومولاهم وهو الغفار الرحيم .

٣٠ - وقال ﷺ :

« لا تكن ولياً لله في العلانية ، عدواً له في السر»^(٢) .

الله تعالى هو علام الغيوب «يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا وهو العزيز الحكيم» فلماذا التستر والتكاذب ، وليكن العبد ولياً لله في السر والعلانية وإلا وقع في النفاق وهو من المبعدين عند عباد الله الصالحين .

٣١ - ورد عن أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عن أبيه علي عن أبي

موسى عن آبائه عن علي ﷺ قال :

«بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقال لي وهو يوصيني :

يا علي «ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، يا علي عليك

(١) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٦٥ .

(٢) بحار الأنوار ج ٧٨ ، ص ٣٦٥ .

بالدُّلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، يا علي أغد بسم الله
فإن الله بارك لأمتي في بكورها»^(١).

لقد طلب إلينا عليه السلام عدة أمور كلها مفيدة ورشيد:

١ - الاستخارة يعتمد كثير من المؤمنين عند الحيرة في أمور هامة
فيستخيرون الله إن سلباً أم إيجاباً.

٢ - الإستشارة أمر هام في الحياة الإجتماعية الديمقراطية وفي المثل:
ما خاب من استشار. والاستشارة هذه تكون من المؤمنين الصالحين
والعالمين الصادقين حيث يأتي رأيهم في محله محققاً عادلاً.

٣ - وأوصانا عليه السلام بالقيام باكراً حيث أن الأرض الحارة تطوى بالليل ما
لا تطوى بالنهار، والغدوة المبكرة تكون بسم الله عزَّ وجل وهو تبارك
وتعالى يبارك لأمتي في بكورها.

٣٢ - وقال عليه السلام:

«من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة».

الأخ المؤمن يحب في الله، ويكره في الله ويعمل في سبيل الله، هذه
هي المحبة الأصيلة فعلينا الإفادة منها عن طريق الأخوة التي قررها وشجع
عليها الإسلام. وكلما أكثرنا من هؤلاء الأخوة المؤمنين الصادقين كلما
كسبنا بيوتاً في الجنة كما أن الحياة الدنيا فارغة ميتة إذا ما خلت منهم.

٣٣ - وقال عليه السلام: «لو كانت السماوات والأرض رتقاً على عبد ثم اتقى
الله تعالى لجعل منها مخرجاً».

العبد الصالح المؤمن التقي يتوكل على الله في كل أموره مهما لاقى من
صعوبات في حياته الدنيا، فالله عزَّ وجلَّ كريم ويحب عباده الصالحين فلا

(١) تاريخ بغداد ج ٣، ص ٥٤ وفيات الأعيان ج ٣، ص ٣١٥.

يتخلى عنهم في أشد محنتهم ولما ضاقت الحال على نبينا إبراهيم عليه السلام أخرجته سبحانه وتعالى من محنته هذه الصعبة: «يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم».

والتقى هو الذي يثق بالله ويتوكل عليه من هنا كان قول الإمام الجواد أيضاً عليه السلام: «من توكل على الله كفاه الأمور».

وقال أيضاً في هذا المجال عليه السلام: «الثقة بالله حصن لا يتحصن فيه إلا المؤمن» وعلى هذا فلا يخاف المؤمنون من أي أمر ما دام الله معهم. فهم في سعادة تامة وسرور دائم. قال عليه السلام:
«إنه من وثق بالله أراه السرور».

فالله عزَّ وجلَّ لا يتخلى عن عباده المؤمنين فهم له ثقة وإخلاص وهو لهم عون في الشدائد.
وقال عليه السلام أيضاً:

«التوكل على الله نجاة من كل سوء وحرز من كل عدو»

فلنتوكل على الله لنصان من سوء العدو ونتحصن بهذا الحرز المبارك من رب العالمين.
وقال عليه السلام أيضاً:

«من ركب مركب العمر اهتدى إلى مضمار النصر ومن شتم أجيب ومن غرس أشجار التقى اجتنى أثمار المنى».

ومن هنا كان قوله عليه السلام الموجز المفيد والحكمة الخالدة:

«الدين عز، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعي تصلح الرعية، وبالمدعاء تصرف البلية».

فهل يعمل اليوم حكامنا المسؤولون لأجل الرعية البائسة بهذه الأمور
الحكيمة الخالدة على صدر الزمن؟!

٣٤ - وقال ﷺ: «أربع خصال تعين المرء على العمل:

الصحة والغنى والعلم والتوفيق».

إن كل عنصر من هذه العناصر له دور أساسي في حياة الإنسان فيصبح
الجسم تساعده صحته على بذل مجهود أكبر من أعماله.

وصاحب المال تيسر له كل السبل بواسطة ما له يفيد ويستفيد والعلم
هو المفتاح الرئيسي لكل الأعمال التي يحتاجها الإنسان وهو نور يساعد
موهبة العقل من أجل الإنقاز والإكمال وبعد امتلاك هذه العناصر الأساسية
يبقى التوفيق من الله سبحانه وتعالى منه وحده المدد المدد.

٣٥ - وقال ﷺ:

«إن الله عباداً يخصهم بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بدلوا لها فإذا منعوها
نزعتها عنهم وحولها إلى غيرهم».

عباد الله الصالحون يميزهم سبحانه عن باقي الناس فيخصهم بنعمه التي
لا تحصى. وهذه النعم تبقى فيهم يسعدون بها إن استمروا في تقاوم
وأعمالهم الصالحة أما إذا غيروا وبدلوا ونسوا ما أسعدوا به من هذه
الأعمال الخيرة فسوف يحولها سبحانه عنهم إلى غيرهم من الناس الذين
يستحقونها، وبالشكر تدوم النعم.

٣٦ - وقال ﷺ في المعروف:

«أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأن لهم
أجره، وفخره، وذكره. فما اصطنع الرجل من معروف وإنما يبدأ بنفسه.

من عمل معروفاً يستفيد هو منه أكثر من الذي يحتاج إليه لأن له الأجر
من الله وهل أكبر وأفضل وأكمل من هذه المكافأة؟

هذا من الله أما من عباد الله فله الفخر في محبته واكتساب المحبة من الذين يساعدهم ويحسن إليهم . قال المتنبى لسيف الدولة الذي أغدق عليه العطايا الكثيرة :

وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيلاً تقيداً
وبالتالي بعد الأجر الذي يكسبه صانع المعروف من الله ومن عباد الله
يبقى ذكره الطيب ترده الأجيال بعد مماته .

٣٧ - وقال عليه السلام في صحيفة المسلم :

«عنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه» .

معرفة الإنسان السعيد في حياته كثرة المحبين له وكثرة الأصدقاء
المخلصين الذين يثنون عليه ويشكرونه على حسن معاملته وسمو أخلاقه
ورفعته ، والحياة دون هؤلاء باردة خالية من كل متعة وجمال .

٣٨ - وقال عليه السلام : «الجمال في اللسان والكمال في العقل» .

اللسان هو الترجمان الحقيقي عن صفات الإنسان ، والإنسان مخبوء
تحت طيات لسانه ، فإن عبر بلطف ومحبة كسب محبة الآخرين وإن عبر
عكس ذلك خسر الجميع وأصبح مكروهاً في مجتمعه . فاللسان اللطيف
المهذب هو عنوان جمال الإنسان أما الكمال : فيمكن في العقل الذي
وصفوه بالكنز الثمين وكلما كمل العقل عن طريق كسب المعرفة كلما زاد
احترام الإنسان العاقل المدرك المصيب في رأيه والحكيم في أمره . والعقل
نور يستضيء به الوجدان ويظمئن له القلب ومرشداً إلى الخير والإيمان .

جاء في القرآن الكريم «يخشى الله من عباده العلماء» .

٣٩ - وقال عليه السلام : حكماً جليلة طبعت على صدر الزمن ويحتاج إليها كل

إنسان في كل زمان ومكان .

«العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، والصبر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الكرم، وترك المن زينة المعروف، والخشوع زينة الصلاة، والتنفل زينة القناعة، وترك ما يعني زينة الورع».

حكم كاملة شاملة يحتاجها كل عاقل مدرك في حياته الخاصة والعامة وهكذا كانت حياة الأئمة المعصومين الذين فرغوا حياتهم من أجل هداية الإنسان ليكون كما أراد الإسلام مثلاً أعلى يحتذى به عند سائر الأمم.

والله أعلم أين يضع رسالته.

٤٠ - وقال أيضاً حكماً أخرى إنسانية عامة وحضارية عالمية توثق عربي المجتمع الواحد وترفع به من عالم الطين إلى عالم المعرفة «حسب المرء من كمال المروءة، أن لا يلقي أحداً بما يكره، ومن حسن خلق الرجل كفه أداه، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه ومن كره إثارة على نفسه، ومن صبره قلة شكواه، ومن عقله إنصافه من نفسه، ومن إنصافه قبول الحق إذا بان له، ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند اشئانك مع علمه بعيوبك، ومن رفقه تركه بذلك بحضرة من تكره، ومن حسن صحبته لك كثرة موافقته وقلة مخالفته، ومن شكره معرفته إحسان من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بصلاح عيوبه».

٤١ - وقال ﷺ :

«العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء»^(١).

(١) كشف الغمة ج ٢، ص ٣٤٨.

إن مقاومة الحكام الظالمين أمر واجب لا بد من القيام به وكذلك أمر البطانة المساعدة على الظلم، سماسرة البلاط الذين يعيشون على موائد الحاكم الظالم ويستفيدون من عطاءاته .

أما الجماعة الساكتة والراضية بالظلم إما خوفاً من سيف الحاكم وإما طمعاً بأمواله وجوائزه التي بها يكف أفواههم .

هذه الجماعات كلها هي من الظالمين : اعامل به والمعين له والساكت عنه كلهم شركاء .

وفي هذه الحالة لا بد من المقاومة للدفاع عن الحقوق الإنسانية المشروعة والأمثلة كثيرة عبر التاريخ، حيث نهض أقوام أشداء وأبطال مؤمنون وقاوموا الظالمين المعتدين المغتصبين فحرروا البلاد والعباد وقاوموا واستبسلوا مقدمين أرواحهم من أجل تحرير بلادهم ورفع الظلم عن إخوانهم .

وهنا لا بد من تقديم تحية كبيرة وجليلة للمقاومة الإسلامية اللبنانية وللأبطال الشهداء الذين قدموا أرواحهم من أجل تحرير وطنهم .

٤٢ - وقال ﷺ واصفاً مثل هؤلاء المقاومين الصابرين :

«من أخطأ وجوه المطالب خذلته وجوه الحيل، والطامع في وثاق الذل، ومن طلب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبوراً .

٤٣ - وقال ﷺ :

«العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم» .

تفشى الجهل بين أفراد المجتمع حتى أصبح الجهال أكثر من العقال وهذا عنوان التخلف بلا ريب . والجهل على أنواع : جهل المعارف العلمية والاجتماعية والدينية . . . وفي هذا النوع من المجتمعات أصبح العالم غريباً في مجتمعه يقول فلا يسمع له ويأمر فلا يطاع ويضحى فلا يقدر .

والجاهلية لا تحصر بزمان ولا بمكان، كل عصر وفيه جهال وجاهلية وجاهلية القرن العشرين هي أمر وأدهى من جميع الجاهليات. فما نفع العلم إذا لم يستخدم لصالح الإنسان والاختراعات الحديثة اخترعها العلماء واستعملها الحكام في غير محلها. فقد خلقت للتنمية والتعمير واستعملت من قبل الحكام الجهال للخراب والتدمير لقد استعملوها لغير ما وضعت له.

٤٤ - وقال عليه السلام :

«مقتل الرجل بين فكيه والرأي مع الاناة وبئس الظهر وبئس الظهر الرأي القصير: الرأي الفطير».

جاء في المثل: لسانك حصانك إن صنته صانك، فإذا لم يحفظ الإنسان لسانه من الزلات والأخطاء كان مقتله بين فكيه قريباً جداً من حافة الهاوية.

كما عليه أن يختار النخبة الخيرة من بين معاصريه ليجعل منهم سنداً له حين وقوع المحن.

وهؤلاء النخبة الصالحة عليه أن يستشيرهم طويلاً كي يكون رأيه ناضجاً لا مأخذ عليه.

٤٥ - وفي مثل ذلك وعظنا الإمام الجواد عليه السلام ان نعاشر من فيهم هذه الصفات:

«ثلاث خصال تجلب بها المودة: الإنصاف والمعاشرة والمواساة والشدة، والإنطواء على قلب سليم».

٤٦ - وقال عليه السلام كيف نحسن اختيار الأصحاب في مجتمعنا: «الناس أشكال وكل يعمل على شاكلته، والناس اخوان فمن كانت أخوته في غير ذات الله تعالى فإنها تعود عداوة وذلك قوله عز وجل: «الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين».

والاتقياء أتقياء في عصر الإمام وفي كل عصر فلنقترب منهم ونبتعد عن غيرهم .

٤٧ - وقال عليه السلام في حسن المعاشرة وحسن الاختيار :

«من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه» .

وجاء في المثل الدارج : «قل لي من تعاشر أقل لك من أنت» .

٤٨ - وقال عليه السلام أيضاً في الحقل الإجتماعي :

«لا تفسد الظن على صدق قد أصلحك اليقين، ومن وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه» .

قالوا : بعض الظن إثم فعلينا أن لا نشك في كل من عاشرنا وبصورة خاصة في صديق قد أصلحنا اليقين . وإذا أردنا اسداء الموعظة له فلا تكون في العلانية بل تكون في السر . لأن حفظ الأسرار من شيم الأخيار .

٤٩ - وقال عليه السلام ناصحاً العلماء والأتقياء :

«كل الشريف من شرفه علمه والسؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله ربه» .

جاء في القرآن الكريم : «يخشى الله من عباده العلماء» فالعالم هو الذي يفيد الناس بما يخزنه في صدره من علم ومعرفة وعند ذلك يشرفه علمه ويشرفه الخلق عامة .

أما من أراد السؤدد في مجتمعه فعليه يتقي الله ربه فيصح بذلك محموداً عند الله وعند خلق الله . جاء في الحديث الشريف «الناس كلهم عيال الله وأقربهم إليه أنفعهم لعياله» .

فتأمل هذا التعبير اللطيف : الخلق عيال الله وهل أحسن وأعز إلى رب الأسرة من عائلها؟ فلنعلم نحن هذا الحب الخالص الشريف فالعالم العالم

هو الذي يفيد الناس بما وهبه الله من عطاء ومعرفة والسيد السيد هو من اتقى الله الرحمن الرحيم .

٥٠ - وقال ﷺ : «كفر النعمة داعية للمقت ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك» .

نعم الله واسعة وقد وسعت كل شيء، أنعم علينا بنعم لا تحصى ولا تعد، فمن تنكر لنعم الله فقد كفر ومن كفر متعته المؤمنون من عباد الله . ولكي تدوم هذه النعم علينا بالشكر لله سبحانه وتعالى فهو مصدرها وهو معطيها .
أما من شكر من أسدى إليه بعطاء فيكون قد أعطاه أكثر مما أخذ منه، وتكون للشاكر فائدة أكثر من المشكور .

٥١ - وقال ﷺ في معالجة الأمور :

«لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، وأرحموا ضعفاءكم وأطلبوا من الله الرحمة بالرحمة فيهم» .
الإنسان العاقل المدرك لا يقطف الثمر قبل النضوج، ولا يأكل الطبخ قبل الاستوى ولا يسارع في معالجة أموره قبل أن يتأكد من نتائجها . وإلا سوف يندم، ولا ساعة مندم .

ومن طال عليه الأمد فلا يقسو قلبه على غيره، لأنه لا يريد أن تقسو قلوب الآخرين عليه، وهنا تظهر الرحمة في القلوب المحبة التي تأخذ هذه الحكمة عنواناً لها :

إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

٥٢ - وقال ﷺ :

«موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر»^(١) .

(١) الفصول المهمة ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

كثير من الناس هم أحياء أموات، أحياء بأرواحهم لكنهم غير موجودين في مجتمعاتهم لا أحد يزورهم ولا يزورون أحداً، هم مكروهون مبعدون لكثرة ذنوبهم.

وكثير آخرون أحياء في حياتهم وأحياء بعد مماتهم يذكرهم الناس بالخير والإحسان لأنهم كانوا من أصحاب البر والخير والعطاء، آثروا وأعطوا كل ما يستطيعون من إمكاناتهم فعاشوا لأنفسهم ولغيرهم، خالدون في قلوب إخوانهم المؤمنين.

٥٣ - وقال ﷺ :

«القصدي إلى الله بالقلوب أبلغ من أتعاب الجوارح بالأعمال» كمال الإنسان في قلبه وكرامته في صدق نيته ومحبته في مجتمعه بين قومه وإخوانه في حسن أعماله.

وكل هذا أبلغ عند الله تعالى من أتعاب الجوارح.

جاء في الحديث في قلب الإنسان نكته إن صلحت صلح الإنسان وإن فسدت يفسد الإنسان.

والقلب السليم يسلم صاحبه من الذنوب، والنية الطيبة تعود على صاحبها بالخير والصلاح.

٤٥ - وقال ﷺ :

«كفى بالمؤمن خيانة أن يكون أميناً للخونة».

المؤمن لا يخون ولا يغش ولا يتعاون إلا مع إخوانه المؤمنين يعمل من أجل ازدهار وطنه ومن سبيل فائدة إخوانه والمحافظة عليهم في السراء والضراء.

أما إذا صادق الخونة فيكون مثلهم خائناً لقومه ولوطنه والوطن لا يعمر إلا بالأخوان الصادقين العاملين على البر والتقوى، المتعاونين على

المصلحة العليا المشرقة لهم ولوطنهم وكل عصر فيه خونة همهم مصالحهم الخاصة وهم بذلك من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

٥٥ - وقال ﷺ :

«من استفاد أخاً في الله فقد استفاد أخاً في الجنة»^(١).

المؤمن يحب في الله ويكره في الله ويعمل في سبيل الله . والأخوة في الله دعا إليها الإسلام لأنها الأساس في تعمير الأوطان ونجاح الأمة . والأخوة في الله تخلق مجتمعاً موحداً متماسكاً وحصناً منيعاً لا تخترقه سهام الأعداء ، ولا تؤثر فيه فتن الطابور الخامس ومكايده من هنا كان قول الإمام الجواد: أنه من استفاد أخاً في الله فقد استفاد أخاً في الجنة، وهل يعدل هذه الأخوة أفضل من ذلك؟! .

٥٦ - وقال ﷺ :

«ما عظمت نعمة الله على أحد إلا وعظمت إليه حوائج الناس ، فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال» .

جاء في الأمثال: من نعم الله عليكم حاجة الناس إليكم .

ونعم الله عزَّ وجل كثيرة لا تحصى أنعم بها على الناس فمن الواجب الشرعي الشكر لله على هذه النعم حتى تدوم وتستمر . وما دام العبد يقدر هذه النعم ويتحمل مؤونتها فسوف تستمر عليه وتثمر خيراً وبركة .

أما إذا تقاعس أو تناسى هذه النعم فسوف تزول عنه إن آجلاً أم عاجلاً . «وبالشكر تدوم النعم» .

٥٧ - وقال ﷺ :

«التقوى عز، والعلم كنز، والصمت نور» .

(١) تاريخ بغداد ج٣، ص٥٥.

- فالإتقياء هم أعز عند الله وعند عباد الله، لأنهم ساروا على خطى الأئمة الأطهار، فعاشوا في مجتمعهم مكرمين أعزاء في وقاية من الشر والآثمين.

- والعلم كنز ثمين يعين صاحبه على اعتماد الأسباب التي تؤدي على رقيه وسعادته، يقصده الناس لينهلوا من معينه ويستفيدوا من خبراته. لذلك فضل العلم على المال. قال أمير المؤمنين عليه السلام: العلم أفضل من المال، فالعلم يحرسك والمال أنت تحرسه.

- والصمت نور، ينور فكر صاحبه بالمعرفة التي تسهل له مصاعب الحياة، وتنور له طريقه نحو الأفضل والأسمى والأمثل لكن على العالم الجليل أن يعرف متى يتكلم ويعطي ومتى يسكت ويصغي متفرساً بأقوال الآخرين. والذي يتقن فن الأخذ يتقن فن العطاء.

٥٨ - وقال عليه السلام:

«عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه».

الأخلاق الحسنة صفة مفضلة عند جميع المجتمعات الراقية التي دعا إليها الإسلام. وهي سلاح العلماء الأبرار. ولأنها أفضل وأنبل صفة إنسانية وجدنا الرسول الأكرم قد وصف بها من قبل رب العالمين، وقام بتعميمها بين أفراد أمته.

وقد وصف بها المسلمون الذين غزوا أوروبا وعلموها للشعوب التي سارت في طريق الحضارة والرقى والحياة السعيدة والحكام هم أحوج الناس للتمتع بهذه الصفة النبيلة الراقية قال أمير الشعراء شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت وإن هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا

٥٩ - وقال عليه السلام:

اصبر على ما تكره فيما يلزمك الحق، واصبر عما تحب فيما يدعوك إلى الهوى.

إن المؤمن يلتزم بأوامر دينه فيعمل بالفضائل التي دعاء إليها الإسلام،
ويبتعد عن الرذائل التي نهى عنها وعليه أن يصبر متسلحاً بإرادته القوية
الراسخة في أعماقه .

والصبر الآخر هو الصبر عما نحب ونرغب عندما يدعونا الهوى، فلا
نلين ولا نرضخ لميولنا وشهواتنا .

وهذا الصبر هو أشد وأصعب، لأن الصبر عما نحن أصعب من الصبر
على ما نكره .

والذي يصبر على ما يكره فيما يلزمه الحق، عليه أن يتسلح بإرادة فذة
وعقيدة راسخة وعقل سليم ولا يخشى من الناس لومة لائم، وإن قل محبوه
وكثر أعداؤه .

وهذا ما حصل لأمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة العلم عندما تولى
الخلافة . أراد عليه السلام أن يطبق الشريعة الإسلامية الحقة، فأعطى لكل ذي حق
حقه، فابتعد عنه خلق كثير ومالوا مع خصمه الذي فتح باب مال بيت
المسلمين على مصراعيه وأعطى لكل من يستحق ولا يستحق .

لكن أمير المؤمنين استمر متمسكاً بالحق ولو كره المشركون من هنا
كان قوله عليه السلام :

«لم يترك الحق لي صاحباً» .

٦٠ - وقال عليه السلام :

لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك
حتى يؤثر هواه وشهوته على دينه . هذا الصراع بين العبد وبين هواه فيما
يعود إلى الدين موجود عند كل إنسان منذ بدء الخليقة، والإنسان العاقل
المتوازن هو الذي ينسق بين عقله وشهوته بفعل إرادته . وصاحب الإرادة
القوية يؤثر دينه على شهواته ولا يكون عبداً لها .

أما إذا كان ضعيف الإرادة عندها تتغلب نزعاته ورغباته وشهواته على عقله فينجر وراءها ويسقط في وحول الحياة والمزالق الدنيوية الرخيصة .

ويلفتني هنا قول بعض الحكماء فقالوا :

خلق الله الإنسان من عقل وشهوة فمن غلب عقله شهوته كان خيرا
الملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله كان شرا البهائم .

فالميزان الصحيح هو العقل السليم الذي ينور دروبنا ويهدينا إلى سواء
السبيل وهو الذي يوازن بين ما هو واجب فيرتدع عن المحرمات ويتحصن
بقوة دينه وعقيدته فيأرب ارفعني فوق نفسي درجة لأكون من عبادك
الصالحين الذين يؤثرون دينهم على شهواتهم ، فأنت ربي وأنا عبدك ولا إله
إلا أنت . أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر
الذنوب إلا أنت .

خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما
صنعت يا أرحم الراحمين .

دور الإمام الجواد عليه السلام في البناء التقاني

اهتم أئمة أهل البيت عليهم السلام بتحقيق عزة الإسلام والمسلمين من خلال المواقف الحكيمة التي تساعد على الوصول إلى الهدف المطلوب على أكمل وجه. وكان تحرك الإمام الجواد عليه السلام ينطلق من هذه الرؤية فتحرك تحركاً واسعاً ومؤثراً رغم كل الظروف الصعبة التي أحاطت تحركه فاطلق في إعداد الأمة وطلائعها إعداداً رسالياً مشكوراً. وفي هذا المجال الهام نذكر:

١ - اهتمام الإمام في بناء الجانب العقائدي:

اهتم الإمام الجواد في بناء شخصية الإنسان المسلم موضعاً له الخزان الفكري الذي ورثناه والذي يحتوي على معطيات أساسية تتقوم بها العقيدة. ومن ذلك دعوته إلى التوحيد الخالص:

إن التوحيد هو أساس العقيدة الإسلامية، وتصورات المسلم عن الله تعالى هي الركيزة الجوهرية التي تستند عليها باقي المفردات العقيدية. من هنا كان الإمام يعنى عناية شديدة بايضاح هذا الأساس وتوضيحه وتجليته في المحاضرة التي ألقاها على داود بن القاسم الجعفري. قال الجعفري:

«قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) ما معنى الأحد؟ قال عليه السلام : المجتمع عليه بالوحدانية أما سمعت قوله عز وجل : ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢) .

ثم سأله شريك له وصاحبه : قوله : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾^(٣) .

قال عليه السلام : يا أبا هاشم ! أوهام القلوب أدق من أبصار العيون أنت قد تدرك بوهمك السند والسند، والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك ذلك، فاوهام القلوب لا تدركه الأبصار!

ثم سئل عليه السلام : أيجوز أن يقال لله : إنه شيء؟

فقال عليه السلام : نعم، تخرجه من الحدين : حد التعطيل وحد التشبيه^(٣) .

- وعن أبي هاشم الجعفري أيضاً، قال :

«كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل، فقال :

أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسماءه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر : «إن لهذا الكلام وجهين :

أ - إن كنت تقول : هي هو، أي أنه ذو عدد وكثرة، فتعالى الله عن ذلك . وإن كنت تقول : هذه الصفات والأسماء لم تنزل فإن «لم تنزل» محتمل معنيين :

فإن قلت : لم عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم؛

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٦١ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٠٣ .

(٣) حد التعطيل هو عدم إثبات الوجود، والصفات الكمالية والفعلية والاضافية له تعالى . وحد التشبيه الحكم والاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات .

وإن كنت تقول : لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره . بل كان الله ولا خلق ، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره ، وكان الله ولا ذكر ، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل .

والأسماء والصفات مخلوقات والمعاني والمعنى بها هو الله الذي لا يليق به الأخلاق ولا الائتلاف ، وإنما يختلف ويألف المتجزىء فلا يقال : الله مؤلف ، ولا الله قليل ولا كثير ، ولكنه القديم في ذاته ، لأن ما سوى الواحد متجزىء والله واحد لا متجزىء ، ولا متوهم بالقلة والكثرة وكل متجزىء أو متوهم بالقلة والكثرة ، فهو مخلوق دال على خالق له .
فقولك أن الله قدير خبرت أنه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة .

دعوة الإمام الناس إلى الإسلام الأصيل

اهتم الإمام الجواد بدعوة الناس إلى الإسلام المحمدي الأصيل
وكسبهم إلى خط أهل البيت عليهم السلام ومن الأمثلة الدالة على ذلك:
- اعتمد الإمام الجواد كلمة الإمام الصادق المعروفة:
«كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم».

لما انصرف الإمام الجواد من عند المأمون ومعه زوجته أم الفضل إلى
المدينة، صار إلى شارع باب الكوفة والناس يشيعونه حتى انتهى إلى دار
المسيب عند الغروب. فنزل ودخل المسجد وكان في حصنه نبيقة لم تحمل
بعد، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل النبيقة وقام وصلى بالناس صلاة المغرب:
فقرأ في الأولى «الحمد» و«النصر» وفي الثانية «الحمد» و«الإخلاص»
وقنت قبل الركوع، وجلس بعد التسليم هنيئاً لذكر الله تعالى، وقام من غير
تعقيب فصلى النوافل أربعة ركعات، وعقب بعدها، وسجد سجدة الشكر
ثم خرج، فلما انتهى إلى النبيقة رآها الناس وقد حملت حملاً كثيراً حسناً،
فتعجبوا من ذلك، فأكلوا منها فوجدوه نبقاً حلواً لا عجم له، ومضى عليه السلام
إلى المدينة^(١).

(١) أعلام الوري بأعلام الهدى ج ٢، ص ١٠٥.

لقد قدم الإمام الجواد عليه السلام للناس الدليل العملي على إمامته بالأمور المحسوسة .

علاوة على ذلك اهتم الإمام عليه السلام بخدمة الناس وهذا الأمر يظهر فضله في الإسلام كما يكشف عن توجهه عليه السلام لكسبهم بطريقة عملية وهدايتهم لاختيار منهج أهل البيت عليهم السلام ونقتصر على بعض الأمثلة في هذا الصدد:

- روى عن الشيخ أبي بكر بن إسماعيل أنه قال: قلت لأبي جعفر ابن الإمام الرضا عليه السلام: أن لي جارية تشتكي من ربح بها، فقال: إئتني بها فاتيت بها فقال: ما تشتكين يا جارية؟

قالت: ربحاً في ركبتي، فمسح يده على ركبتها من وراء الثياب فخرجت الجارية من عنده ولم تشتك وجعاً بعد ذلك^(١).

- ورواية ثانية عن محمد بن عمير بن واقد الرازي قال:

«دخلت على أبي جعفر ابن الرضا عليه السلام ومعى أخي به بهر شديد فشكى إليه ذلك البهر^(٢) فقال عليه السلام:

عافاك الله مما تشكو، فخرجنا من عنده وقد عوفي فما عاد إليه ذلك البهر ما دام حياً.

- وعن محمد بن عمير قال:

«كان يصيبني وجع في خاصرتي في كل أسبوع فيشتد ذلك الوجع بي أياماً وسألت الإمام عليه السلام أن يدعو لي بزواله عني، فقال وأنت فعافاك الله فما عاد إلى هذه الغاية^(٣)».

(١) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٤٦.

(٢) البهر: تتابع النفس.

(٣) مستدرک عوالم العلوم ج ٥٠، ص ٤٧.

- وروي عن علي بن جرير قال:

«كنت عند أبي جعفر ابن الرضا عليه السلام جالساً وقد ذهبت شاة لمولاة له فأخذ بعض الجيران يجرونهم إليه ويقولون: أنتم سرقتم الشاة.

فقال أبو جعفر عليه السلام: ويلكم خلوا عن جيراننا فلم يسرقوا شاتكم، والشاة في دار فلان» فذهبوا فأخرجوها من داره، فخرجوا فوجدوها في داره، وأخذوا الرجل وضربوه وخرقوا ثيابه، وهو يحلف أنه لم يسرق هذه الشاة، إلى أن صاروا إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: «ويحك ظلمتم الرجل فإن الشاة دخلت داره وهو لا يعلم بها فدعاه فوهب له شيئاً بدل ما خرقت من ثيابه وضربه»^(١).

- وروي عن القاسم بن الحسن، أنه قال:

«كنت فيما بين مكة والمدينة فمر بي أعرابي ضعيف الحال فسألني شيئاً فرحمته، فأخرجت له رغيفاً فناولته إياه فلما مضى عني هبت ريح زوبعة، فذهبت بعمامتي من رأسي فلم أرها كيف ذهبت ولا أين مرت، فلما دخلت المدينة صرت إلى أبي جعفر ابن الرضا عليه السلام فقال لي:

«يا أبا القاسم ذهبت عمامتك في الطريق؟ قلت: نعم.

فقال: يا غلام أخرج إليه عمامته، فأخرج إلي عمامتي بعينها.

قلت: يا ابن رسول الله كيف صارت إليك؟

قال عليه السلام: تصدقت على أعرابي فشكره الله لك، فرد إليك عمامتك، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين»^(٢).

(١) مستدرک عوالم العلوم ج ٥٠، ص ٤٧.

(٢) مستدرک عوالم العلوم: ج ٥٠، ص ٤٧.

أهل البيت عليهم السلام لهم ميزة خاصة يتميزون بها من رب العالمين تدل على أهمية كبيرة في خدمة الناس . ولا يخفى على المتأمل ما تتركه مثل هذه الأعمال من أثر كبير في محبة الناس لهم والتقدير لمكانتهم الإجتماعية العالية، وإن لغة العمل عند سائر الناس هي الأشد تأثيراً عليهم، أما لغة اللسان فسرعان ما تذهب مع النسيان .

قال تعالى : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَدَةِ فَيُنشِكِرُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾^(١) .

فأين المفر؟ ثلاثة مراقبين أصليين يراقبون أعمالنا :

١ - الله عزَّ وجل .

٢ - الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

٣ - المؤمنون، هؤلاء أيضاً مراقبين من قبل الله عزَّ وجل ومن قبل

الرسول صلى الله عليه وآله .

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥ .

بعض دلالته ومعجزه الخارقة

الإمام ليس نبياً، وإنما هو وصي مستأمن على الرسالة، شأنه معها شأن النبي ﷺ الذي أداها كاملة قبل موته، ووظيفة الوصي صيانتها من الزيادة والنقصان، وحياطتها من التحريف والتأويل، وكل ما يسمّى جوهرها أصولاً وفروعاً.

فمُلهم النبي ومعلمه هو الله عزَّ وجلَّ.

ومعلم كل إمام هو النبي وكلاهما لا ينطقان عن الهوى، لأن الأنبياء وأوصياءهم يزقون العلم زقاً، مع فارق أن النبي يوحى إليه بأوامر ونواهي من رب العالمين يبلغها إلى كافة الناس وأن الإمام يخلفه في رعاية الشريعة، ويلهم القول الهاماً، وهنا لا بد من التركيز على عنوان:

أوتي الحكم صبيّاً. قال تعالى وهو المعلم الأول: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾
(٢) عِلْمُهُ الْبَيِّنَاتُ (٤) ﴿١﴾.

فالإنسان هو خليفة الله على أرضه فلا عجب أن يجعل مستواه فوق مستويات بقية مخلوقاته. وهذا يعني بالبديهة أنه تعالى هو العالم والمعلم أولاً وأخيراً، ولذا قال عن رسّله - إبراهيم وأبنائه وحفدته الذين اختصهم بالنبوة ﷺ:

(١) سورة الرحمن، الآية: ٤.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَجْبَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (٩) (١).

لأنه هو تعالى منصفهم أئمة وأدلاء خلقه، قد عهد إليهم بشؤون عباده وتعهد خطاهم، وأيدهم بنصره.

قال تعالى عن النبي الأكرم نوح عليه السلام قال: ﴿قَالَ يَنْفَوِرَ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣١) ﴿أَتْلِقُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِمَّنِ اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٢) (٢).

ويشأن النبي إبراهيم الخليل أيضاً عليه السلام كانت آيته أم الآيات السماوية قال عز وجل: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩) (٣).

فلم تفعل نار النمرود (٤) في إبراهيم فعل الناس التي تعهدتها، فذهب حرها، وذهب معه حقد النمرود وجميع أتباعه من الكافرين.

وقال تعالى عن ابن اخته لوط عليه السلام:

﴿وَلُوطًا إِسْمٰئِيلَ صٰدِقًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ (٥).

وعن موسى عليه السلام ورفيقه في سفره لمقابلة الخضر عليه السلام قال عز وجل ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا إِسْمٰئِيلَ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥) ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَتَلَمَّنَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلًا﴾ (٦٦) (٦).

فعلم الأولياء من علم الأنبياء - كلهم - علم لدني، رباني، علم موهوب

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٦١ - ٦٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

(٤) النمرود هو نمرود بن كوش بن حام بن نوح، جاء ذكره في كتب العرب وضرب به المثل بالجبروت والتكبر والزهو.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٧٤.

(٦) سورة الكهف، الآيتان: ٦٥ - ٦٦.

غير مكسوب، بل لقد أوحى سبحانه إلى أم موسى وهي ليست بوصية ولا نية فقال:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُّ مُوسَىٰ﴾^(١).

ثم بذلك على نبيه موسى ﷺ وقال:

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٢٨﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْبَيْتِ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُمْ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾^(٢).

أفلا يجوز أن يوحى إلى الإمام الذي يحمل مسؤولية السماء الكبرى، ثم يوحى لأم موسى ﷺ وللنحلة؟!

وقال عز وجل متحدثاً عن داود ﷺ:

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ...﴾ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾.

ثم قال تعالى عن ابنه سليمان ﷺ:

﴿وَكَلَّمْنَا هُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٣).

وقال عن سليمان ﷺ:

﴿وَلِسَلِيمَانَ الرَّيْحِ﴾ أي سخرناها له - ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾^(٤) ليسير عليها بساط الريح الذي كان يحمله من بلد إلى بلد مع حاشيته وجيشه حيث تأتمر الريح بأمره!.. وهذه من الآيات العجيبة لأن مخلوقاً من الناس يتصرف بالعوامل الطبيعية ويغير مجراها!!..

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٣٨ - ٣٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ٧٩، ٨١، ٨٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٩ و٨١.

ولذا فإن سليمان تحدث عن نعمة ربه :

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْبِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١).

ثم قال ﷺ متحدثاً عن بلقيس ملكة سبأ :

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (٢).

وعن عيسى ﷺ قال عز وجل : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي أَمْرٌ مَرِيمَ أَذْكَرَ نَعَمَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ آلِكِ وَإِذْ أَيْدِيكِ إِذْ أَيْدِيكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمُوتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٣).

بل لقد أوحى إلى حواري عيسى ﷺ وهذا وحي للأولياء لا للأنبياء :

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا مَا مَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٤).

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٥).

ثم قال عن مريم ابنة عمران ﷺ :

﴿وَالَّتِي أَحْصَلْتِ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٦).

(١) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١١.

(٥) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.

وهذا يعني أنه سبحانه يكون عباده كيف يشاء، ويمنح العلم والحكمة لمن يشاء .

أما خاتم النبيين والرسل محمد بن عبد الله الرسول الأكرم فقد قال له سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾^(١).

فقد جعله خاتم الأنبياء وأفضلهم، وجعل أوصيائه خاتمي الأوصياء وأفضلهم أيضاً . . .

فهذا هو العلم الموهوب من قبل الله جل وعلا القائل في محكم كتابه: ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾^(٢).

وقال أيضاً سبحانه وتعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ فَسِّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَانْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْشُرُوا فَنَشُرُوا بِرَفْعِ اللَّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾^(٣).

لم يكن العلم الموهوب يعتمد على الإجازات والماجستير والدكتوراه، ولكنه علم رباني اختص به الصفوة من عباده الصالحين فسبحانه عزَّ شأنه خلق الناس وهداهم بنور أنبيائه وأوصيائه إلى صلاحهم، وهم ﴿وَلَا يُحِطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٤).

(١) سورة النساء، الآية: ١١٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

أما المستنكفون والمتعجبون عن الإعراف بمرتبة الإمامة والولاية نقول لهم كما قال الرسول الأكرم محمد ﷺ :

﴿الْتَرْتَلِكْ مَا يَنْتُ الْكُتْبُ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

فليصدق من شاء أن يكون من المؤمنين، وليكذب من أراد أن يكون في صف المكابرين العاملين برأيهم الشخصي فلا يجوز أن تأخذ الفتنة بزمام الرأي وتسد على الجماعة منافذ التفكير...

فمما صرح به الأئمة المعصومون ﷺ أن الإمام: ينظر بنور الله، ويسمع بفهمه، وينطق بحكمته، ويصيب فلا يخطيء، ويعلم فلا يجهل، قد ملئ حلماً وعلماً.

ذلك أن الإمامة عهد من الله سبحانه يسير بالإمام بموجبه فلا يتعداه.. بل هو ينفذ شريعة الله.

سأل اسماعيل بن عمار أبا الحسن الأول - أي الإمام الكاظم ﷺ فقال:

فرض الله على الإمام أن يوصي - قبل أن يخرج من الدنيا - ويعهد؟ قال: نعم.

فقال: فريضة من الله؟ قال: نعم.

وروى عمرو بن الأشعث عن الإمام الصادق ﷺ قائلاً: «سمعتة يقول: نحن في البيت معه نحو من عشرين انساناً لعلكم ترون أن هذا الأمر إلى رجل منا يضعه حيث يشاء؟ «لا والله، إنه لعهد من رسول الله ﷺ فسمى رجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه». وعن يحيى بن مالك عن أبي

(١) سورة الرعد، الآية: ٤٦.

الحسن الرضا عليه السلام قال: «سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١).

فقال: الإمام يؤدي إلى الإمام.

فالأئمة عليهم السلام مكلفون برعاية شؤون الرسالة وشؤون مصالح الأمة، وهم مؤيدون برعاية الله سبحانه وتعالى، وهم ملهمون يلقي إليهم كما القي إلى غيرهم من عباد الله المصطفين.

٣ - فالإمام علي بن أبي طالب كان من محمد عليه السلام كما كان هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده. أي أنه كانت تتوافر عنده جميع شروط النبوة وحمل الرسالة، ولكنه ليس نبياً.

٢ - والإمام الحسن عليه السلام:

كان يعلم ما لا يعلمه الناس، وعمل ما عهد إليه جده محمد عليه السلام ولم يتجاوز ذلك العهد قيد شعرة.

٣ - والإمام الحسين عليه السلام قام بما شاء الله تعالى له من الشهادة العظيمة من أجل كلمة الله، وذلك بعهد من جده معهود ومحتوم عليه، مقرر استشهاده من عند ربه.

٤ - والإمام زين العابدين عليه السلام: لم يتخط حدود ما رسم له الإسلام فكان ربانياً بارعاً ومربياً فريداً لسائر الناس.

٥ - والإمام الباقر عليه السلام: حقق المدرسة السماوية التي كلفه بها ربه ورفع بنيانها، وشرع في تأكيد العقيدة ونشر أحكام الشريعة الإسلامية على الأرض، ففسر القرآن وبين مضامين السنة، وأوضح الكثير من الحلال والحرام.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨

٦ - والإمام الصادق عليه السلام :

أتم دور أبيه وأجداده بما انصرف إليه من إرساء دعائم الدين فكان شيخ الفقهاء في عصره وفي كل العصور . والإمامان مالك ، وأبو حنيفة من تلامذته في الفقه ، وجابر بن حيان من تلامذته أيضاً في علم الكيمياء والاكسير وما إلى ذلك كالجفر الذي فيه علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة . وقد أتقن هذا العلم وبرع فيه بفضل استاذه الإمام الصادق عليه السلام؟^(١) .

٧ - والإمام الكاظم عليه السلام كان أستاذ الفقهاء رغم سجنه أعواماً عديدة وعزلة عن شيعته وقواعده مدة (١٤) سنة (٢) كان خلالها تحت رقابة شديدة لم يعرف مثلها في التاريخ ولكنها لم تحل بينه وبين نشر علمه والقيام بمهامه .

٨ - والإمام الرضا عليه السلام :

كان مطمح أنظار جهابذة العلماء والفقهاء من سائر الطوائف الإسلامية وغيرها . وكان سيد المتكلمين في عصر كان فيه العلم والفلسفة في أوج ازدهارها .

٩ - وأما الإمام الجواد عليه السلام :

الإمام الفتى والعالم البارع الذي مر ذكره بالتفصيل وظهرت بعض آياته وبياناته في هذا الموضوع في كتاب خاص به اسمه - قال محمد بن سهل بن اليسع :

«كنت مجاوراً بمكة، فصرت إلى المدينة فدخلت على أبي جعفر

(١) حلية الأولياء ج ٣، ص ١٩٨ والصواعق المحرقة ص ١٩٩ والامويون والعباسيون لجرجي زيدان ص ١٥٣ .

الثاني عليه السلام فاردت أن أسأله عن كسوة يكسونها فلم يتفق لي أن أسأله حتى ودعته، فقلت اكتب إليه وأسأله.

فكتبت إليه الكتاب وصرت إلى المسجد على أن أصلي ركعتين واستخير الله. وخرجت من المدينة، فبينما أنا سائر إذا رأيت رسولاً ومعه ثياب في منديل، ويسأل عن محمد بن سهل، حتى انتهى إليّ فقال لي: مولاك بعث إليك بهذا. وإذا ملاءتان، قال أحمد بن محمد: ففضى الله أني غسلته حين مات وكفنته فيهما^(١).

فكيف عرف الإمام عليه السلام «ما أراد ابن اليسع»؟

والجواب واضح لقد عرف الإمام عليه السلام بالهام من الله تعالى الذي جعله ولياً لأمره، ولولا الإلهام، أو النكت بالقلب من الملك لما تأتي له ذلك. أما إرسال الكسوة له فله مغزى هام:

الذين أنافوا على الستين والسبعين من العمر.

٢ - إنه يثبت به فؤاد صاحبه، فيطمئن إلى أن أمر الله قد يحمله الصغير - كعيسى بن مريم عليه السلام كما يحمله الكبير، بلا فرق لأن من قدر على إيجاد الكائنات والمخلوقات، قادر على بعث العلم في الصدور، وعلى إطلاق لسان الصغير بالحكمة وقول الحق، بالإضافة إلى أن صاحبه يحمل هذا الخبر إلى أكثر من واحد، وينقله سراً وعلانية في كل مناسبة فينتشر ذلك أمر الإمام بدلالات خارقة للعادة أمدته بها الإلهام من رب العباد.

ومن دلائل ما من به الله تعالى على الإمام الجواد عليه السلام من العطايا التي اختص بها عباده المكرمين، ما حدث به عنه القاسم بن عبد الرحمن الزيدي الذي كان ضده ولا يقول بإمامته ولا بإمامة أربعة من آبائه. قال:

(١) بحار الأنوار ج ٥٠، ص ٤٤.

«خرجت إلى بغداد، فبينما أنا بها إذ رأيت الناس يتعادون وينظرون من علي فقلت ما هذا؟

فقالوا: ابن الرضا فقلت: والله لأنظرن إليه. فطلع علي بغل أو بغلة. فقلت: لعن الله أصحاب الإمامة حيث يقولون: إن الله افترض طاعة هذا!

فعدل إلي وقال: يا قاسم بن عبد الرحمن ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِتَّا وَوَحِيدًا تَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٢٤) (١). فقلت في نفسي ساحر والله!. فعدل إلي فقال:

﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ (٢٥) سورة القمر، الآية: ٢٥.

قال: فانصرفت، وقلت بالإمامة، وشهدت أنه حجة الله على خلقه، واعتقدته بعد أن قلت له: علمت مني ما لم يعلمه إلا الله» (٢).

فالإمام ﷺ نظر من عن البغلة وقلبه يعتصر بالغم لهذه الجموع التي استولى عليها الشيطان وانساها ذكر الرحمن فضاعت وتاهت عن راعيها واصبحت عرضة للهلاك في سبيل حطام الدنيا!

رمقها بطرفه الشريف وتنفس الصعداء، وقال:

اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون. . ثم ألقى كلمته البالغة كما حدث له مع القاسم بن عبد الرحمن الذي كان شديد العداوة له ولشيعته، ثم انقلب بفضل حجة الإمام القاطعة إلى ولي حميم وقال بإمامته بعد أن رأى برهان ربه. . .

- ومثل آخر من دلائل ما من به تعالى عليه ﷺ:

جاء من عمر بن فرج الرخجي كان هذا من أعداء الإمام الجواد ومن الساخرين منه. وقد تولى المناصب الكبيرة وذاق لذائد الدنيا وأطاييها:

(١) سورة القمر، الآية: ٢٤.

(٢) كشف الغمة ج ٣، ص ١٥٣.

زار بغداد مرة وخرج للتنزه مع الوزراء ورجال البلاط، فرأى الإمام على شاطيء دجلة، فأراد أن ينال منه ويهون من شأنه لدى الطغمة من رجال القصر. فقال له:

«إن شيعتك تدعي أنك تعلم كل ماء دجلة ووزنه!.. فقال له بدون اكتراث: يقدر الله تعالى أن يفوض علم ذلك إلى بعوضة أم لا؟ فقال عمر، نعم، يقدر.

فقال عليه السلام: أنا أكبر على الله تعالى من بعوضة، ومن أكثر خلقه»^(١).

وبهت الرجل من هذا الجواب البسيط ودون تعقيد وانقلب من كافر ساخر إلى معجب مقدر لمنزل الإمام وسعة معارفه.

ولا غرو فالله تعالى نصر عبده وسقط السائل الممتحن الهازيء وكبت كيده في صدره. لقد نسي قوله تعالى:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ﴾^(٢).

فالجواد اسم على مسمى هو ابن الأجواد وقد كان بالمرصاد لجميع المشككين، يقدم لهم البرهان الواضح تلو البرهان، ويجلو لهم قضاياهم ليثبت عقيدة الموالين ويبطل مكر الماكرين ويقيم الحجة لله على خلقه. والعجيب أن عمر هذا الذي تصدى للإمام على شاطيء دجلة يريد أن يفحمه أمام رجال القصر قد قدم إلى المدينة بعد ذلك فطلب الخليفة رجلاً عالمًا مخالفاً لأهل البيت وأمره هو بالذات أن يلزم الإمام الفتى عليه السلام وأن يمنع الشيعة منه وأن يعلمه العلوم والآداب.

فأخذ عمر الإمام وحبسه في القصر، وأقفل عليه الباب عند خروجه

(١) الأنوار البهثة ص ٢١٩.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥١.

وكلما أراد أن يعلمه شيئاً وجده عالماً به! فسئل عنه فقال: ما في المدينة أحد أعلم مني إلا هذا الصبي! هذا مات أبوه بخراسان، وهو صغير بالمدينة، ونشأ بين هذي الجواري السود، فمن أين علم بهذه العلوم؟! .

سؤال محير، فمن أين تعلم بهذه العلوم الغزيرة حتى نال شهادة أمير المدينة وقاضيها المنصب من الخليفة لتعليمه قبل أن يبلغ الحلم؟! .

وهل يتيسر ذلك لغير معلّم من قبل الله عزّ وجل، فهم من لدنه، ملهم بالعلم دون كتاب أو كتاب؟! .

إن العناد هو الذي إلبس «أبا لهب» عار الزمان وخلد تقريره في القرآن .

والمكابرة هي التي أودت بدنيا أبي جهل وآخرته .

هذه أسرار أهل البيت عليهم السلام الذين أبعد الله عنهم الرجز وطهرهم تطهيراً . وكانوا منارة علم الأمة الإسلامية كلها وعلى رأسهم أمير المؤمنين الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله «أنا مدينة العلم وعلي بابها .

ولم يمض وقت طويل حتى اقتص الله تعالى من هذا المجرم في الدنيا قبل الآخرة فخسر ماله ثم أخذ أسيراً ومات في السجن ألا ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(١) .

وللائمة المعصومين عليهم السلام دلائل وخوارق كثيرة قوى الله تعالى بها أمرهم، وشد أزهرهم، وأفلج حجتهم ليمسكوا بقلوب عباده المؤمنين، وليوصلوا الدعوة المباركة إلى الناس أجمعين . .

ومن ذلك أنها تطوى لهم الأرض، ولا يكون ظل عليها كما للناس -

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣. ومناقب آل أبي طالب ج ٤، ص ٣٩٧. والكافي ج ١، ص ٤٩٦.

وهذا دليل محسوس - ومن آيات إمامنا الجواد في هذا المورد قول محمد بن العلاء الذي قال :

«رأيت محمد بن علي عليه السلام يحج إلى مكة بلا راحلة ولا زاد من ليلته وكان لي أخ بمكة لي معه خاتم، فقلت له : تأخذ لي منه علامة . فرجع من ليلته ومعه الخاتم»^(١) .

فأية قوة غريبة هذه كانت تحمل مسافراً من يثرب إلى مكة ليزور البيت الحرام، ثم يطوف ويسعى، ويصلي، ويقضي بعض الحاجات، ثم يعود من ليلته بعد أن قطع حوالي ألف ومئتي كيلومتر ذهاباً وإياباً؟ . .

ثم كيف تم له كل ذلك ثم بحث عن الرجل محمل منه العلامة؟! ولماذا طلب الخاتم بالذات - الذي كان يضمه صاحبه في نفسه ولم يطلب شيئاً غيره؟

كل ذلك علمه عن رب العالمين، وعند عباده المؤمنين، وهو بلا شك إعجاز يثقل على اسماع الناس ويهون على الله عز وجل، بيد الملك وهو على كل شيء قدير .

وغيرها كثير غرائب وعجائب صدرت عن سفير الله في أرضه الذي حملة أمانته وزوده بقدرته التي تحاربها العقول السليمة لما يصدر عنها .

وهذه الحادثة طبيعته عند الإمام عليه السلام ولا تعدو حادثة دفن أبيه الإمام الرضا عليه السلام يوم توفي في خراسان وكان هو في المدينة . . .

والأئمة «تطوى لهم الأرض بلا ريب ولا شك ويعلمون ما عند أصحابهم» .

من الواضح أن الدين حسب هذه الرواية، يتحقق بموالاتة أولياء الله،

(١) إثبات الهداة ج ٦، ص ١٩٩ .

ومعاداة أعداء الله، وعدم مهادنتهم ومسالمتهم. ولا ذكاء هذه الروح عند الأمة كان ينقل حديث جده أمير المؤمنين عندما قال لأبي ذر الغفاري:

«إنما غضبت لله عزَّ وجل فارج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، والله لو كانت السماوات والأرضون رتقاً على عبده، ثم اتقى الله لجعل الله له مخرجاً، لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل»^(١).

النشاط الإجتماعي:

توجه الإمام الجواد عليه السلام إلى توضيح المفاهيم الإسلامية المتصلة بالنشاط الإجتماعي إلى الطليعة المؤمنة لأن حركته في مجتمعه كانت تشده بمقدار تجذره وتأثيره في ذلك المجتمع.

نذكر بعضاً منها:

أ - كلما ترسخ مركز الإنسان في المجتمع ازداد توجه الناس إليه وطلبهم منه في قضاء حوائجهم، وحل مشاكلهم.

روى الإمام الجواد عن أجداده عن الإمام علي عليه السلام:

«ما عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت عليه مؤونة الناس فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرض النعمة للزوال»^(٢) وإن بقاء نعمة الإنسان واستمرار موقعه في الأمة مقترن بدرجة إحسانه إليها وخدمته لها. فقد روى الإمام الجواد عن أمير المؤمنين عليه السلام «إن لله عبداً يخصصهم بالنعم، ويقرهم فيهم ما بذلوا، فإذا منعوها نزعهم عنهم وحولها إلى غيرهم»^(٣). وقال عليه السلام:

(١) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٥٧.

(٢) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٦.

(٣) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٦.

«أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه، لأن لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع إلى نفسه من غيره»^(١).

- ضرورة مجازاة المحسن بالشكر. يقول عليه السلام راوياً عن أمير المؤمنين عليه السلام :

«كفر النعمة داعية المقت ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك»^(٢).

- كما أن الإمام بيّن طرق تحسين العلاقة بين المجتمع وأصول التعامل بين الأصدقاء لأن ذلك يقوي العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع وينمي المحبة بينهم.

فقد روى عن جده أمير المؤمنين عليه السلام :

«ثلاث خصال تجتلب بهن المحبة: الأنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواع والرجوع إلى قلب سليم»^(٣).

وقال عليه السلام : «لا يفسدك الظن على صديق وقد أصلحك اليقين له ومن وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظ علانية شأنه. استصلاح الأخيار باكرامهم، والأشرار بتأديبهم، والمودة قرابة مستفادة وكفى بالأجل حرزاً، ولا يزال العقل الحقيق يتغالبان على الرجل إلى ثمانية عشر سنة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه، وما أنعم الله عزّ وجل على عباده نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب الله جل اسمه له شكرها قبل أن يحمد عليها، ولا أذنب ذنباً

(١) مستدرك عوالم العلوم ٢٣ / ٢٥٧.

(٢) مستدرك عوالم العلوم ٢٣ / ٢٨٠.

(٣) مستدرك عوالم العلوم ٢٣ / ٢٧٩.

فعلّم أن الله مطلع عليه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، إلا غفر الله له قبل أن يستغفره»^(١).

كما أكد على ضرورة اختيار القرين الصالح لما يورثه من أثر على المرء فقد روى عليه السلام: «فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء، والخلق أشكال فكل يعمل على شاكلته والناس اخوان، فمن كانت اخوته في غير ذات الله تحوز عداوة وذلك قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

فالأخ المخلص في الله عون لأخيه ومن حصل عليه فاز بشيء عظيم وينبغي له مشاورته واستنصاحه. روى الإمام الجواد عليه السلام عن جده أمير المؤمنين قال:

بعثني النبي صلى الله عليه وآله إلى اليمن، فقال لي وهو يوصيني: «يا علي، ما حار من استخار، ولا ندم من استشار». وقال: «من استفاد أخاً في الله فقد استفاد أخاً في الجنة»^(٣). وصايا للعمال:

كان الإمام الجواد عليه السلام يزرع الصبر والأمل في قلوب المؤمنين وهذا هو سلاحهم الفاعل عند مقاربتهم الظلم ومقاومتهم الطغيان من قبل الحكام الظالمين. وقد أشار إلى اليوم الذي يعاقب فيه الظالم عندما ينتصر العدل فينتقم للمظلومين أشد الانتقام.

وإذا ما اعتمد المستضعفون بهذا المفهوم فإنه يخلق منهم قوة لا تلين ومقاومة لا تقهر. روى الإمام الجواد عليه السلام:

(١) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٨٠.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٦٧ ومستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٩.

(٣) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٥.

«يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم»^(١).
وروى أيضاً عليه السلام :

«إن صبر المؤمن على البلاء من أشد الأسلحة ضد الظالمين».
وقال عليه السلام : «الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها»^(٢).

كما أنه روى عن جده أمير المؤمنين المنهاج الذي ينبغي أن يلتزم به المؤمنون ليبلغوا غاياتهم السامية . قال عليه السلام : «من وثق بالله أراه السرور، ومن توكل عليه كفاه الأمور،

والثقة بالله حصن لا يتحصن فيه إلا المؤمن الأمين، والتوكل على الله نجاة من كل سوء وحرز من كل عدو، والدين عز، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تصرف البلية ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر، ومن عاب عيب ومن شتم أجياب، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى»^(٣).

٢٦ — البحث على طلب العلم:

حث الإمام الجواد على طلب العلم، وبيّن فضل العلماء من خلال أحاديثه التي رواها عن جده أمير المؤمنين عليه السلام .

قال عليه السلام : عليكم بطلب العلم، فإن طلبه فريضة، والبحث عنه نافلة، وهو صلة بين الأخوان، ودليل على المروءة، وتحفة في المجالس، وصاحب في السفر، وأنس في الغربة»^(٤).

(١) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٨.

(٢) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٨.

(٣) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٧.

(٤) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٧.

وقال أيضاً عليه السلام :

«العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن مطبوعاً، ومن عرف الحكمة لم يصبر على الازدیاد منها، الجمال في اللسان والكمال في العقل»^(١).

وعنه عليه السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام : «إن ابن آدم أشبه شيء بالعیار، إما راجح في علم، أو ناقص بجهل»^(٢).

كما كان يتألم لكثرة الجهال وابتلاء العلماء بهم، وكان يعتبر سبب الاختلاف هو ما يطرحه هؤلاء نتيجة جهلهم، فقد روى عن جده عليه السلام أمير المؤمنين :

«العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم»^(٣).

وقال عليه السلام : «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس»^(٤).

الإمام الجواد كآبائه وأجداده وجد للاصلاح في أمة جده عليه السلام وكل حكمة نشاهدها ونسمعها في عصرنا اليوم وفي كل عصر فهي حكم دائمة ثابتة لأنها صادرة عن عقل سليم وضمير حي وقد اتحفنا بها الإمام الجواد لتصلح بها حالنا وأحوالنا.

الحث على التوبة:

كل إنسان قد يخطيء وعندما يحس ويعترف بخطئه عليه أن يتوب توبة نصوحاً والله عز وجل يقبل دعاء التوابين.

(١) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٧.

(٢) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٥.

(٣) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٨.

(٤) مستدرك عوالم العلوم ٢٣/٢٧٩.

والإمام الجواد دعا الناس إلى كيفية التوبة إلى الله تعالى وبين طريقها .
فقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام .

«التوبة على أربعة دعائم: ندم القلب، واستغفار باللسان، وعمل
بالجوارح، وعزم على أن لا يعود» .
«وثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله، كثرة الاستغفار، وخفض الجانب،
وكثرة الصدقة»^(١) .

كما أنه دعا إلى التسرع بتأديتها وحذر من التسويف بها فقال: «تأخير
التوبة اعتزاز، وطول التسويف حيرة، والإعتلال على الله هلكة، والاصرار
على الذنب أمن لمكر الله .
﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾»^(٢) .

٢٧ — اهتمامه بتربية الأفراد:

ومن المسائل التي اهتم بها الإمام الجواد عليه السلام تربية أفراد شيعته ومتابعة
تصرفاتهم . ومن الأمثلة على ذلك موقفه من الشاعر المعروف دعبل
الخرزاعي:

فمن دعبل بن علي: «أنه دخل على الإمام الرضا عليه السلام فأمر له بشيء
فأخذه ولم يحمد الله ، فقال له: لِمَ لم تحمد الله؟ قال: ثم دخلت على أبي
جعفر فأمر له بشيء فقلت: الحمد لله . فقال: تأديت»^(٣) .

يتوضح من هذا أن الإمام يتبع سلوك أتباعه بدقة الكبيرة وحتى الصغيرة
ويهتم بتكاملهم الثقافي وتعاملهم مع الآخرين في تصرفاتهم ومعاملاتهم
فكان المراقب الدقيق لهم في دنياهم ودينهم على حد سواء .

(١) مستدرک عوالم العلوم ٢٣/٢٧٩ .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٧ وتحف العقول ص ٤٥٦ .

(٣) كشف الغمة ج ٢، ص ٣٦٣ .

ومن أصول التحرك عند الإمام الجواد عليه السلام تجاه قواعده الشعبية مراقبته
المراسلات السرية :

مما لا بد منه أن المراسلات بين الإمام وشيعته وأتباعه كانت جارية
سراً وذلك خشية تفشي أسماء مرسلها وخصوصاً أنه عليه السلام كان مرصوداً من
الداخل عن طريق زوجته أم الفضل .

وإلى جانب هذا كان نمطاً معيناً من الرسائل يصل إلى الإمام دون ذكر
أسماء مرسلها . ولكنه كان يعرف المرسلين لهذه الرسائل بطريقته الخاصة ،
ولا نستبعد أن ذلك كان يتم عن طريق وجود رمز معين في هذه الرسائل ،
ولا ننسى أن الإمام المعصوم إذا أراد أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك ^(١) .

قال أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري :

«دخلت على أبي جعفر الثاني عليه السلام ومعني ثلاث رقاع غير معنونة
واشتبهت عليّ فاغتنمت لذلك ، فتناول إحداهن وقال : هذه رقعة ريان بن
شبيب . ثم تناول الثانية فقال : هذه رقعة محمد بن حمزة . وتناول الثالثة
وقال : هذه رقعة فلان فبهت فنظر إليّ وتبسم عليه السلام ^(٢) .

وقد أحصيت مكاتبات الإمام عليه السلام بحسب ما جاء في موسوعته فبلغت
اثنين وسبعين مكاتبة .

لم يكن الإمام بمنأى عن مجتمعه ، بل كان حاضراً دائماً بين الناس
يعيش احتياجاتهم ويعمل على سدها . وهناك أمثلة كثيرة تفيد عن إحاطته
بدقائق الأمور الاجتماعية ، والإمام الجواد ينطبق عليه ما ينطبق على أجداده
في تتبعهم احتياجات أفراد مجتمعه .

(١) راجع أصول الكافي ج ١ ، ص ٢٠١ .

(٢) إعلام الوري بأعلام الهدى ج ٢ ، ص ٩٨ .

الفرقة النجفية الفرقة الواقفية^(١)

تميزت حياة الإمام الجواد عليه السلام بظاهرة تمتاز عن حياة بقية الأئمة عليهم السلام. فقد عاصرت حياة والده: الإمام الرضا عليه السلام محنة عقائدية انصبت على الشيعة، فتضعفت قلوب بعضهم واضطربت أفكار البعض الآخر، وثبت الكثيرون على الحق، ولم تؤثر فيهم تلك الفتنة لإيمانهم الراسخ بإمامة أهل البيت عليهم السلام ولثبوتهم على الخط الإسلامي الصحيح تكونت فكرة الوقف، ومنها الطائفة الواقفية التي انفصلت عن الحق، وانحرفت عن خط أهل البيت عليهم السلام، ورفعت راية الضلال، وسلكت طريق الشيطان. لكن بمجهود العلماء العقلاء تبخرت فكرتهم، وانقرضت طائفتهم ولم يبق منهم إلا الذكر العاقل في التاريخ.

ويقال إن شردمة من أولئك الجماعة لا زالوا يسكنون الهند ولا يعرفون عنهم أكثر من ذلك.

هذه الفرقة نستطيع القول عنها أنها ضلت وأضلت، وباعت الدين بالدنيا، وفضلت المال على العقيدة والمبدأ.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِمَجْرَثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٢).

(١) الواقفية: الذين وقفوا على إمامة موسى الكاظم عليه السلام ولم يعتقدوا بالإمام الذي بعده.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦.

والآن علينا أن نعرف سبب تولد هذه الفرقة وما الدواعي التي ساعدت نموها وتكاثرها، بعد البحث وجدنا أن هذه الفرقة تكونت لسببين .

١ - السبب الأول:

كان للإمام موسى بن جعفر عليه السلام في كل من البصرة والكوفة ومصر وغيرها - وكلاء - يعبر عنهم بـ(القوَّام) كانت الأموال من الحقوق الشرعية والنذور والهدايا والأوقاف العائدة إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام تحمل إلى هؤلاء القوَّام:

وحيث أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قضى سنوات عديدة في السجون في بغداد والبصرة، ولم يكن محبوساً في سجن عام لتسهيل مقابلاته، بل كان محبوساً في البيوت وتحت الرقابة المشددة، كي لا يلتقي به أحد ولا يلتقي بأحد، لهذا كان من الصعب الوصول إليه والاتصال به، فاجتمعت الأموال الضخمة والحقوق الشرعية التي دفعها الشيعة عند أولئك النواب والوكلاء .

ولعل النواب كانوا يعتذرون إلى الشيعة بعدم إمكان الوصول إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ولهذا تراكمت عندهم الأموال سنوات وسنوات .

جاء في رجال النجاشي عن يونس بن عبد الرحمن قال :

مات أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان هذا سبب وفهم وجحودهم موته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة البطائني ثلاثون ألف دينار .

قال يونس بن عبد الرحمن: لما رأيت ذلك وتبين لي الحق وعرفت أمر أبي الحسن الرضا ما عرفت، فكلمت ودعوت الناس إليه أي (إلى الإمام الرضا).

عندها بعثا (القندي والبطائني) إلي، وقالوا لي: ما يدعوك إلى هذا؟، وضمنا لك عشرة آلاف دينار .

وقالوا : كف . فأبيت ، وقلت لهما : إننا روينا عن الإمام الصادق عليه السلام إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه وإن لم يفعل سلب نور الإيمان من قلبه» .

وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كل حال .
فناصباني وأظهرا لي العداوة» .

٢ — السبب الثاني: تحريف حديث سماعة بن مهران:

كان سماعة بن مهران من أصحاب الإمام الصادق والإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ، وكان من الثقة ، وقد روى حديثاً سمعه من الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : «صاحب هذا الأمر (يعني الإمام المهدي) فيه شبه من خمسة أنبياء : يحسد كما حسد يوسف ، ويغيب كما غاب يونس ، وذكر ثلاثة أشياء أخرى من وجوه الشبه بين الإمام المهدي عليه السلام وبين ثلاثة من الأنبياء عليهم السلام .

ويسمع زرعة بن محمد الحضرمي هذا الحديث من سماعة بن مهران ، ولكن هذا خبيث لعين جعل يحرف الحديث فيقول : «حدثني سماعة بن مهران أن أبا عبد الله الصادق قال : إن ابني هذا (يعني موسى بن جعفر) فيه شبه من خمسة أنبياء . . .) إلى آخر الحديث . . .

فيكون المعنى أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فيه شبه من خمسة أنبياء ، وأنه يغيب كما غاب يونس ، فتكون النتيجة أن الإمام موسى بن جعفر مغيب ولا يموت .

وأخذ زرعة يحدث الناس بهذا الحديث المفتعل ، وينسبه إلى سماعة بن مهران عن الإمام الصادق عليه السلام .

وقد وجد هذا الخبيث أن هذا الحديث الذي حرفه خير وسيلة لإضلال الناس وإغوائهم .

ومما ساعده على نشر هذه الأكذوبة هو أن سماعة بن مهران قد توفي قبل وفاة الإمام موسى بن جعفر ولهذا انتشرت هذه الأكذوبة بلا رادع أو مانع ونعود إلى (القوام).

وأما الوكلاء الذين تراكت عندهم الأموال فإنهم وجدوا هذا الحديث المزيف خيراً وسيلة لاستمرارهم على الخيانة وتصرفهم في أموال الإمام عليه السلام.

فلو اعترفوا بوفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لكان من الواجب عليهم رد الأموال إلى الإمام الرضا عليه السلام بصفته الإمام بعد أبيه، أو يدفعوا الأموال إلى ورثة الإمام موسى بن جعفر، والنتيجة واحدة.

ولهذا جعلوا ينشرون هذا الحديث - الذي يعلمون كذبه - وفي الأوساط الشيعية، وكل ذلك طمعاً في حطام الدنيا!!

ومن الواضح أن هؤلاء الوكلاء قد انتهزوا هذه الفرصة، وتشبثوا بذلك الحديث المزور - الذي حرفه زرعة بن محمد، فجعلوا يتصرفون في أموال الإمام موسى بن جعفر تصرفات غير مشروعة لأنهم كانوا أمناء على الأموال ولا يحق لهم التصرف به بدون إذن صاحبه أو وكيله.

إن هؤلاء الوكلاء كانوا خونة غير أمناء على الأمانات التي أمر الله تعالى عباده أن يؤدوها إلى أهلها.

ولا أقصد من هذا الكلام أن الإمام اتهم الخائن المعروف بخيانتته، بل إن الأئمة عليهم السلام كانوا يعاملون الناس بطواهرهم، فهناك أفراد كانوا ظاهري الصلاح وعرفوا بالديانة والأمانة فكان الأئمة عليهم السلام يسلمون إليهم الودائع والأمانات، ثم كانت الخيانة تظهر منهم بشكل مفضوح نذكر على سبيل المثال: عبيد الله بن العباس:

الذي نصبه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام قائداً لجيشه، فترك الجيش والتحق بمعاوية بن أبي سفيان في مقابل مقدار من المال . . . وارتحل معه ثلاثون ألف جندي!!

وكم لهؤلاء من نظير سجلهم التاريخ!!

نعم، كان الأئمة يعاملون الناس على الظاهر، «ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة» والله وحده علام الغيوب فكم من الأسرار والمصالح قد يظهر لنا بعضها، ويخفى علينا أكثرها، وسبحانه وتعالى يختبر عباده ويمتحنهم بأنواع مختلفة، وصور متعددة حتى تظهر نفسياتهم وحقائقهم على الملأ. قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾ (١).

عرفنا الآن كيف ولدت هذه الفرقة وهذا المذهب الشيطاني الذي يعبر عنه بالوقف، وعن اتباعه بالواقفية، لأنهم وقفوا على إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ولم يعترفوا بإمامة من بعده.

وعرفنا أن كل ذلك بدافع الطمع والخيانة والسرقة بأبشع صورها. وعرفنا أن أكثر أقطاب هذه الفرقة هم الوكلاء الذين تراكمت عندهم الأموال لما كان الإمام موسى عليه السلام في السجن فتلاعبوا بها وتصرفوا تصرفات لا يرضى بها الله ولا رسوله فخالفوا الشرع والعقل والفضيلة والأمانة والديانة ونبذوا وراءهم جميع هذه المفاهيم والقيم واتبعوا أهواءهم.

روى الكشي: عن محمد بن أبي عمير عن رجل من أصحابنا قال: قلت للرضا عليه السلام جعلت فداك، قوم قد وقفوا على أبيك، يزعمون أنه لم يمت. قال:

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٢ - ٤.

كذبوا وهم كذاب بما أنزل الله عزَّ وجل على محمد ﷺ ولو كان الله يمد في أجل أحد من بني آدم - لحاجة الخلق إليه لمد الله في أجل رسول الله ﷺ .

وسنده عن يوسف بن يعقوب قال : قلت لأبي الحسن الرضا ﷺ أعطى هؤلاء الذين يزعمون أن أباك حي (أي الواقفية) من الزكاة شيئاً؟ قال : لا تعطهم ، فإنهم كفار ، مشركون ، زنادقة» .

وعن محمد بن عاصم قال : سمعت الرضا ﷺ يقول : يا محمد بلغني أنك تجالس الواقفة؟

قلت نعم ، جعلت فداك ، أجالسهم وأنا مخالف لهم .

قال : لا تجالسهم ، فإن الله عزَّ وجل يقول :

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾^(١) .

وفي المصدر نفسه عن الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا ﷺ أنه سئل عن الواقفة؟

فقال : يعيشون حيارى ويموتون زنادقة .

وأورد الكشي بسنده عن محمد بن رجاء الحنط ، عن محمد بن علي الرضا ﷺ أنه قال : «الواقفة حمير الشيعة» .

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يولد الإمام الجواد ﷺ في أيام شباب والده الإمام الرضا ، بل يولد وكان عمر الإمام الرضا خمسة وأربعين سنة تقريباً ، وهذا مما ساعد في تصعيد الإنتقاد ضد الإمام الرضا ﷺ .

(١) سورة النساء، الآية : ١٤٠ .

فقالوا أن الإمام الرضا عقيم والإمام لا يكون عقيماً .
كل ذلك قبل ولادة الإمام الجواد وكانوا يدخلون على الإمام الرضا
ويسألونه عن هذا الموضوع .

جاء في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد - عن الكافي بسنده عن الحسين
بن يسار قال: كتب ابن قياما إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كتاباً يقول فيه:
«كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟» .

فأجابه أبو الحسن عليه السلام وما علمك أنه لا يكون لي ولد؟
والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً ذكراً يفرق بين
الحق والباطل»^(١) .

ثم تابع ابن قياما: أيكون إمامان؟ قال: لا، إلا واحدهما صامت .
فقلت له: هوذا أنت ليس لك ولد ولم يكن له أبو جعفر بعد .
فقال عليه السلام: والله ليجعلن الله مني ما يثبت به الحق وأهله ويمحق به الباطل
وأهله . فولد له - بعد سنة - أبو جعفر^(٢) وقامت الإحتفالات في هذا اليوم
في البلاد الشيعية الواعية مع مظاهر الزينة والأفراح بهذه المناسبة الكريمة .
وفشل الكاذبون وظهر الحق ومحق أباطيلهم بأحمد بن موسى، ورجعت
الأخرى إلى القول بالوقف: إن أبا الحسن الرضا عليه السلام توفي وابنه محمد ابن
سبع سنين، فاستصوبه، واستصغروه، وقالوا: لا يجوز الأمام إلا بالغاً^(٣) .
- وقال الشهرستاني:

«إن من الشيعة من قال بإمامة أحمد بن موسى بن جعفر دون أخيه علي

(١) أصول الكافي ج ١، ص ٣٢١ وابن قياما: واقفي .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢١ .

(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص ٩٧ - ٩٨ ونظرية الإمامة أحمد محمود صبحي عن النوبختي
ص ٣٩٠ .

الرضا، ومن قال بعلي، شك أولاً في محمد بن علي، إذ مات أبوه وهو صغير، غير مستحق للإمامة، ولا علم عنده بمناهجها، وثبت قوم على إمامته^(١) وبذلك نعلم أن سعيهم لإبطال إمامة الجواد^(ع) قد جاء على سبيل الكيد والمناكدة، ولم يكن صغر سنه هو السبب الحقيقي في عودتهم إلى الوقف على الإمام الكاظم^(ع) أو إلى إمامة ولده أحمد . . .

إذ لو كانوا صادقين في ذلك، لكان عليهم أن يعترفوا بإمامة الإمام الرضا^(ع) .

أهل الحديث:

من المؤسف جداً أن من بعض هذه الفرق: أهل الحديث، وعامة أهل السنة، قبل الأشعري وبعده وهو أيضاً قائل بمقالتهم هذه ومعتقد بهذه العقيدة. ولقد أيدوا هذه العقيدة بمختلف أنواع التأييد، حتى لقد وضعوا تأييدها الروايات على لسان النبي الأعظم مع عدم تنبهم إلى أن ذلك ينافي صريح القرآن، وبالتالي ينافي حكم العقل والوجدان.

والحق يبقى ناصعاً مهما أرجف المرجفون.

الواقفة بعد الإمام الرضا^(ع):

بعد وفاة الإمام الرضا^(ع) بعض الناس قد رجعوا إلى الوقف على الإمام الكاظم، وهم المؤلفة.

وبعضهم قال بإمامة أحمد بن موسى.

وهؤلاء . . . قد كانوا قلة بالقياس إلى جمهور الشيعة القائلين بإمامة التقي الجواد^(ع) فإن القائلين بإمامته قد كانوا أكثر الفرق عدداً^(٢).

(١) الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٩.

(٢) الفصول الختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد ص ٢٥٦.

وانقرضت سائر الفرق دونهم . . . وقد بقوا مشككين على حالة التزلزل الداخلي الذي نالهم من قبل، وأثر في الضعفاء، والبسطاء غير الواعين . وأن أمر الإمامة لم يحسم عندهم، بعد وقفهم على الإمام الكاظم عليه السلام وأن إظهارهم لتولي الإمام الرضا عليه السلام إنما كان انسياقاً مع التيار، ولم يكن عن قناعة حقيقية . . .

- الإمام الجواد عليه السلام ليس هو السبب:

إن عدتهم إلى الوقف لم يكن أبداً بسبب صغر سن الإمام الجواد عليه السلام إذ لو كان الأمر كذلك لكان اللازم عليهم الوقف على الإمام الرضا عليه السلام وليس العودة إلى الوقف على الإمام الكاظم عليه السلام . . .

كما أن الذين قالوا بإمامة أحمد بن موسى، لم يكن قولهم بإمامته إلا امتداداً لانتقالهم إليه من أبيه موسى مباشرة ثم أظهروا القول بإمامة الرضا عليه السلام انسياقاً مع التيار لا عن قناعة حقيقية به، ثم عادوا إلى ما كانوا عليه .

ولتوضيح هذه الفكرة نعود إلى النوبختي والشهرستاني .

- قال النوبختي:

«وكان سبب الفرقتين، اللتين ائتمت واحدة منهما .

مكافحة الغلو

ومن الانحرافات الخطيرة أيضاً التي انتشرت عند بعض الشيعة الغلو بأهل البيت عليهم السلام وذلك رداً على من هاجمهم وزور الأحاديث عنهم إرضاءً لأرباب الملوك والسلاطين.

وقد وقف الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لهؤلاء بالمرصاد فردوهم عن غلوهم وأمروا أتباعهم ومحبيهم بالإبتعاد عنهم.

وقد سار الإمام الجواد عليه السلام على نهج آباءه في مكافحة هذا الإنحراف وكان حذراً جداً من نشأة بذور الغلو. كما يظهر ذلك ترصده لبعض الممارسات على هذا الأمر.

ذكر المؤرخون عن الحسين بن محمد الأشعري قال:

«حدثني شيخ من أصحابنا اسمه عبد الله بن رزين قال: كنت مجاوراً بالمدينة مدينة الرسول وكان أبو جعفر عليه السلام يجيء في كل يوم مع الزوال إلى المسجد فينزل إلى الصخرة ويمرّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيسلم عليه، ويرجع إلى بيت فاطمة ويخلع نعله فيقوم فيصلي فوسوس إليّ الشيطان، فقال: إذا نزل فاذهب حتى تأخذ من التراب الذي يطأ عليه فجلست في ذلك اليوم انتظره لأقوم بهذا العمل.

فلما أن كان في وقت الزوال أقبل ﷺ على حمار له فلم يزل في الموضوع الذي كان ينزل فيه فجازه حتى نزل على الصخرة التي كانت على باب المسجد ثم دخل فسلم على رسول الله ﷺ ثم رجع إلى مكانه الذي كان يصلي فيه ففعل ذلك أياماً فقلت إذا خلعت نعليه جئت فاخذت الحصا الذي يطأ عليه قدميه .

فلما كان من الغد جاء عند الزوال فنزل على الصخرة ثم دخل على رسول الله ﷺ وجاء إلى الموضوع الذي كان يصلي فيه ولم يخلعها ففعل ذلك أياماً فقلت في نفسي : لم يتهياً لي ههنا ولكن أذهب إلى باب الحمام فإذا دخل أخذت من التراب الذي يطأ عليه فسألت عن الحمام فقيل لي أنه يدخل حماماً بالبيع لرجل من ولد طلحة، فتعرضت اليوم الذي يدخل فيه الحمام، وصرت إلى باب الحمام وجلست إلى الطلحي أحدثه وأنا انتظر مجيئه ﷺ .

فقال الطلحي : إن أردت دخول الحمام فقم فادخل فإنه لا يتهياً لك بعد ساعة، قلت : ولم؟ قال : رجل من آل محمد ﷺ له صلاح وورع، قلت له : ولا يجوز أن يدخل معه الحمام غيره؟

قال : نخلي له الحمام إذا جاء، قال :

فبينما أنا كذلك إذ أقبل ﷺ ومعه غلمان له، وبين يديه غلام، ومعه حصير حتى أدخله المسلخ، فبسطه ووافني وسلم ودخل الحجرة على حمارة، ودخل المسلخ، ونزل على الحصير .

فقلت للطلحي : هذا الذي وصفته لما وصفته من الصلاح والورع؟ فقال : يا هذا والله ما فعل هذا قط إلا في هذا اليوم، فقلت في نفسي : هذا من عملي أنا جنيته، ثم قلت : انتظره حتى يخرج فلعلي أنال ما أردت إذا خرج . فلما خرج وتلبس دعا بالحمار وأدخل المسلخ، وركب من فوق

الحصير وخرج ﷺ، فقلت في نفسي: قد والله آذيته ولا أعود أروم ما رمت منه أبداً وصح عزمي على ذلك. فلما كان وقت الزوال من ذلك اليوم أقبل على حمارة حتى نزل في الموضع الذي كان ينزل فيه في الصحن، فدخل فسلم على رسول الله ﷺ وجاء إلى الموضع الذي كان يصلي فيه في بيت فاطمة ؑ وخلع نعليه وقام يصلي^(١).

(١) بحار الأنوار ج ٥٠، ص ٥٩.

رد الإمام الجواد على الأحاديث الموضوعة

كثرت البحوث العقائدية في عصر الإمام الجواد فكان لا يمكن من أن يرد على حملة وافية على الأحاديث الموضوعة التي رُوِّج لها بنو أمية في فضائل بعض الصحابة، وبصورة خاصة منذ زمان معاوية بن أبي سفيان فصرفوا الأموال الطائلة والجوائز السنوية في سبيل نشرها. وذلك لبلوغ أهدافهم السياسية والمحافظة على أركان ملكهم واستمرار تسلطهم غير المشروع على الخلافة الإسلامية.

فقد روي أن ابن أكرم ناظر الإمام أبا جعفر بمحضر المأمون وجماعة غفيرة من أركان دولته وخاصته، فقال يحيى للإمام عليه السلام : ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي :

أن جبرائيل نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك : سل أبا بكر هل هو راض عني فإنني راض عنه؟

فقال عليه السلام : «لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع : قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به. وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله. قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا نُوسِيهِ بِهِ، نَفْسَهُ، وَخَنُ أقرَّبُ إِلَيْهِ مِن حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١)
 فالله عزَّ وجل خفي عليه رضى أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره؟
 هذا مستحيل في العقول».

وحديث آخر لا يقل غرابة عن هذا الحديث وهو:

قال يحيى بن أكثم: وقد روي أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل
 جبرائيل وميكائيل في السماء.

فقال الإمام عليه السلام: «وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه؛ لأن جبرائيل وميكائيل
 ملكان لله مقربان، لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما
 - أي أبو بكر وعمر - قد أشركا بالله عزَّ وجلَّ وإن أسلما بعد الشرك، وكان
 أكثر أيامهما في الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما».

ثم تابع يحيى: وقد روي أنهما سيدا كهول أهل الجنة، فما يقول فيه؟
 فقال عليه السلام: «وهذا محال أيضاً، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباباً،
 ولا يكون فيهم كهول، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قال فيه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين بأنهما سيدا شباب أهل الجنة».

وتابع عمر باستلته وقال: روي أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة.
 فقال عليه السلام: «وهذا أيضاً محال؛ لأن في الجنة ملائكة الله المقربين،
 وآدم، ومحمداً وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضيء بأنوارهم حتى تضيء
 بنور عمر؟!».

وما زال يحيى يشيد بعمر وكأنه لا يكفيه السراج المنير في الجنة فعاد
 واخترع هذا الحديث:

«وروي أن السكينة تنطق على لسان عمر؟!»

(١) سورة ق، الآية: ١٦.

فقال ﷺ: لست بمنكر فضائل عمر، لكن أبا بكر - وأنه أفضل من عمر - قال على رأس المنبر: إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسد دوني.

فقال يحيى: قد روى النبي ﷺ قال: لو لم أبعث لبعث عمر.

فقال ﷺ: كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٧) (١).

فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يستبدل ميثاقه؟

وكان الأنبياء لم يشركوا طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك، وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله؟!

وقال رسول الله ﷺ؛ نبئت وأدم بين الروح والجسد.

ولا يخفى أن عمر حارب النبي سنين طويلة حتى قال عنه الرسول ﷺ «اللهم اهدي أحد العمرين».

وتابع يحيى اسئلته المنحرفة الكاذبة، فانتقل الآن من عمر إلى آل الخطاب. فقال:

قال يحيى: وقد روى أن النبي قال: ما احتبس الوحي عني قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب.

فقال ﷺ: «وهذا محال أيضاً: لأنه لا يجوز أن يشك النبي في نبوءته،

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) (٢).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٥.

فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله إلى من أشرك به؟ وما زال يحيى يشيد بعمر، ولا ندري كم كانت المكافأة كبيرة؟
قال يحيى:

روى أن النبي ﷺ قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمر. ورد الإمام كما سبق: «وهذا محال أيضاً، إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١).

فقد أخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله ﷺ وما داموا يستغفرون الله تعالى».

وبعد هذه الأسئلة الكاذبة والملفقة أفحم يحيى بن أكثم وسكت بعد أن أعيته أجوبة الإمام ﷺ عن إيجاد مخرج لما تورط فيه (٢).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٢) الإحتجاج للطبرسي ج ٢، ص ٢٤٥.

العداء بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وبين خصومهم

ابتلى كل إمام من أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام بطاغوت من طواغيت عصره، مارس معه الظلم والجور والسجن والقتل وكل ما أوتي من حول وقوة، ويسعى إلى إطفاء نور الله ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُسَمَّرَ نُورُهُ﴾

ولأجل أن نعرف شيئاً من أسباب النزاع وموجات العداء والبغضاء بين أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام وبين الجانب المعادي لا بد لنا من كشف بعض هذه الجوانب.

- كان أئمة أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، مظاهر للحق والحقيقة، تتجلى فيهم الأخلاق الفاضلة، وتتفجر من جوانبهم المعارف والعلوم وتتبع الحكمة من أقوالهم وأفعالهم.

فلا نجد في حياتهم إلا المكارم الزاخرة بجميع أنواعها لا يسبقهم فيها سابق ولا يلحقهم لاحق.

- فإذا نظرنا إلى زاوية المعارف والعلوم وجدناهم أعلم أهل الأرض، قذف الله في قلوبهم علوم الأولين والآخرين.

- وإذا بحثنا عن حياتهم الاقتصادية وجدناهم أزهد الزهاد، لا يباليون

بزخارف الحياة ولذائد العيش، بل ينظرون إلى الدنيا نظرة استخفاف واستهانة .

- وإذا مررت بجانب بيوتهم - في ساعات متأخرة من الليل فإنك تسمع تلاوة القرآن، يتلونه حق تلاوته، فلا يمرون بآية من آياته إلا وهم يعلمون ظاهرها وباطنها، وتفسيرها وتأويلها، والمعاني والأهداف المقصودة منها لقد ملك القرآن الكريم مشاعرهم، وجذب أفكارهم فكأن كتاب الله أخذ بمجامع قلوبهم .

- فتراهم يستلذون بمناجات ربهم وهم بسجودهم وقنوتهم متوجهون إلى الله تعالى بقلوبهم وأرواحهم ومشاعرهم وكأنهم غفلوا عما حولهم من الزمان والمكان، بل وحتى عن ذواتهم، استولى على وجودهم التوجه إلى الله تعالى .

- كانوا يعتبرون أنفسهم مقصرين أمام عظمة الخالق سبحانه فيلوذون بعفوه وحلمه، ويستغفرونه وقد عصمهم الله عن الزلل .

- وفي النهار لا يحتجبون البتة عن الناس، يدخلون عليهم فيجدون فيهم البشاشة وسعة الصدر، والتواضع والتجاوب وأنواع العطف والحنان، فكانوا في الدرجة العليا من أصول الإنسانية، والأخلاق العالية الموروثة من جدتهم المصطفى ﷺ أحبوا الخير لجميع الناس حتى إلى من أساء إليهم .

يسألون عن الدين والدنيا وعن السماء والأرض، وعن الفقه والتفسير، وعن كل موضوع، فلم يسجل التاريخ في حياتهم كلمة: لا أعلم، ولا أعرف، ولا أدري في مقابلة الأسئلة الموجهة إليهم، ولم يسمع منهم إلا الجواب الصحيح المقنع . وعلى العكس تماماً كانت حياة طواغيت عصرهم وفراعنة زمانهم كلها ملفات سوداء مظلمة بفجائعهم وجرائمهم وجنایاتهم صفحات التاريخ حتى كانوا سبة الدهر ولعنة التاريخ . جرائم وقتل وظلم

وتشريد من أجل كرسي الحكم كان همهم الوصول، فوصلوا بطريقهم
الظالمة، ويا ليتهم لم يصلوا ولم يستلموا.

فأين هم الآن؟ لقد ترمدوا وذهبوا هباءً مثوراً.

ونكتفي بالقول أن أولئك الطواغيت هم بكل وضوح على خلاف ما
ذكرناه من سيرة أئمة أهل البيت المشرفة، من هنا كان الخلاف والاختلاف
على المبدأ، المبدأ الإسلامي الصحيح والعاقل والإنساني والحضاري.

وسوف نذكر بعض أولئك الطواغيت في حياة الإمام الجواد الذي ذاق
الأميرين من ظلمهم، وشرب السم من غددهم وخيانتهم وعلى رأس هؤلاء
كان المأمون العباسي والمعتصم العباسي.

من هنا كان دورهم عليه السلام في الحياة الإسلامية إلى تقويمها وإصلاحها
وسيرها في الخط السليم الصحيح الذي رسمه لهم جدتهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.
ومن هنا كان خوف الحكام من نشاطهم، حتى وصل الخوف لدى الزعامات
المنحرفة أحياناً إلى درجة الرعب، وكان محصول ذلك باستمرار:

تطويق إمام الوقت، بحصار شديد ووضع رقابة محكمة عليه ومحاولة
فصله عن قواعده الشعبية، ثم التآمر على حياته شهيداً بقصد التخلص من
خطره.

وهذا ما حصل ابتداءً من الإمام الرضا عليه السلام والإمام الجواد واتضح أكثر
زمن الإمام الهادي حين أشخص إلى سامراء ولماذا هذا الخوف والرعب من
الأئمة عليهم السلام؟

هل كانوا يحاولون استلام الحكم؟

فهل كانت رغبة الأئمة تصل إلى مستوى العمل لاستلام الحكم من

الزعامات المنحرفة؟ أو أنها تقتصر على حماية الرسالة الإسلامية ومصالح الأمة من التردّي إلى الهاوية .

وما نستخلصه من النصوص والأحاديث : أن الأئمة لم يكونوا يرون الظهور بالسيف والانتصار المسلح كافياً لإقامة دعائم الحكم وترسيخه، ولا يتوقف في نظرهم على مجرد حملة عسكرية، بل يتوقف قبل كل ذلك :

على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وعصمته إيماناً مطلقاً ويعي أهدافه الكبيرة، ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحرس ما يحققه للأمة الإسلامية من مكاسب .

وعلى هذا الأساس تسلّم أمير المؤمنين عليه السلام زمام الحكم في وقت توفر فيه ذلك الجيش العقائدي الواعي متمثلاً في الصفوة من المهاجرين والأنصار والتابعين من أصحابه رضي الله عنهم .

التصريح بإمامة علي الهادي عليه السلام

من مهمة كل إمام من الأئمة المعصومين الدعوة إلى الإمام الآتي بعدهم والإمام الجواد سار على منهج آبائه في قضية الدعوة إلى الإمام القادم بعده وتثبيت ذلك عند الطليعة المؤمنة من الأمة.

وكما تسلم الإمام الجواد الإمامة من أبيه، وفيما يلي بعض الأمثلة:

١ - ورد عن الخيراني عن أبيه أنه قال:

كنت ألزم باب أبي جعفر عليه السلام للخدمة التي وكلت بها، وكان أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري يجيء في السحر من آخر كل ليلة ليتعرف خير علة أبي جعفر عليه السلام وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر وبين الخيراني إذا حضر قام أحمد وخلا به.

قال الخيراني: فخرج ذات ليلة وقام أحمد بن محمد بن عيسى عن المجلس، وخلا بي الرسول: إن مولاك يقرأ عليك السلام ويقول لك: «إني ماض، والأمر صائر إلى ابني علي، وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي».

ثم مضى الرسول ورجع أحمد إلى موضعه، فقال لي: ما الذي قال لك؟ قلت: خيراً، قد سمعت ما قال، وأعاد إلي ما سمع، فقلت له: قد حرم الله عليك ما فعلت، لأن الله تعالى يقول:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ أَتَمَنْتُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنْتُمْ فِي دِينِكُمْ فَقَدِيتُمْ أَيْمَةَ
الْكَفْرِ إِنَّهُمْ لَأَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (١) فإذا سمعت فاحفظ
الشهادة لعلنا نحتاج إليها يوماً ما، وإياك أن تظهرها إلى وقتها.

قال: وأصبحت وكتبت نسخة الرسالة في عشر رقايع وختمتها ودفعتها
إلى عشرة من وجوه أصحابنا، وقلت: إن حدث بي حدث الموت قبل أن
أطالبيكم بها فافتحوها واعملوا بما فيها (٢).

٢ - وعن إسماعيل بن مهران قال:

«لما خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من
خروجه، قلت له عند خروجه: جعلت فداك إني أخاف عليك في هذا
الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟

فكرّ بوجهه إليّ ضاحكاً وقال: ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة،
فلما أخرج به الثانية إلى المعتصم صرت إليه، فقلت له: جعلت فداك أنت
خارج، فإلى من هذا الأمر من بعدك فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم التفت
إليّ، فقال:

عند هذه يخاف عليّ، الأمر من بعدي إلى ابني علي» (٣).

٣ - وعن محمد بن الحسين الواسطي:

أنه سمع أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر يحكي أنه أشهده على هذه
الوصية المنسوخة:

«شهد أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر محمد بن علي بن موسى بن

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢.

(٢) الإرشاد ج ٢، ص ٢٩٨.

(٣) أصول الكافي ج ١، ص ٣٢٣.

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أشهده أنه أوصى إلى علي ابنه بنفسه وإخوانه وجعل أمر موسى ^(١) إذا بلغ إليه وجعل عبد الله بن المساور قائماً على تركته مع الضياع والأموال والنفقات والرقيق وغير ذلك إلى أن يبلغ علي بن محمد، صير عبد الله بن المساور ذلك اليوم إليه، يقوم بأمر نفسه، وإخوانه ويصير أمر موسى إليه، يقوم لنفسه بعدهما على شرط أبيهما في صدقاته التي تصدق بها وذلك يوم الأحد لثلاث ليالي خلوت من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين، وكتب أحمد بن أبي خالد شهادته بخطه وشهد الحسن بن محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الجواني على مثل شهادة أحمد بن أبي خالد في صدر هذا الكتاب وكتب شهادته بيده وشهد نصر الخادم وكتب شهادته بيده ^(٢).

قال الطبرسي بعد نقل هذه النصوص الثلاثة :

والأخبار في هذا الباب كثيرة، وفي إجماع العصاة على إمامته وعدم من يدعي فيه إمامة غيره غناء عن إيراد الأخبار في ذلك هذا وضرورة أئمتنا عليهم السلام في هذه الأزمنة في خوفهم من أعدائهم وتقيتهم منهم أحوجت شيعتهم في معرفة نصوصهم على من بعدهم إلى ما ذكرناه من الاستخراج حتى أن أوكد الوجوه في ذلك عندهم دلائل العقول الموجبة للإمامة وما اقترن إلى ذلك من حصولها في ولد الحسين عليه السلام وفساد أقوال ذوي النحل الباطلة وبالله التوفيق ^(٣).

(١) يعني ابنه الملقب بالبرقع المدفون بقم.

(٢) أصول الكافي ج ١، ص ٢٦١.

(٣) إعلام الوری ص ٣٣٩.

الإمام الجواد عليه السلام

وقضية الإمام المهدي (عجل الله فرجه)

كانت قضية الإمام المهدي (عجل الله فرجه) من القضايا الأساسية في المسيرة الإسلامية، وما زالت. والأئمة عليهم السلام لم يغفل أحد منهم عن الدعوة إليها أو تجاهلها.

وقد سار الإمام الجواد عليه السلام على منهج آبائه وأجداده عليهم السلام فطرح قضية الإمام المهدي (عج) على الأمة قاصداً من ذلك التركيز على هذا المفهوم في أذهانهم من جهة والدعوة لاستقبال يومه من جهة ثانية، ونذكر فيما يلي نماذج على سبيل الذكر لا الحصر من هذه الدعوة.

١ - عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال :

«قلت لمحمد بن علي ابن موسى عليه السلام يا مولاي: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فقال عليه السلام :

ما منا إلا قائم بأمر الله، وهاج إلى دين الله. ولكن القائم الذي يطهر به الله الأرض من أهل الكفر والجور ويملاها قسطاً وعدلاً هو الذي يخفي على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليه تسميته، وهو سمي رسول الله وكنيته، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذل له كل صعب يجتمع

إليه من أصحابه عدد أهل بدر (٣١٣) رجلاً من أفاصي الأرض وذلك قول
الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص، أظهر الله أمره وإذا كمل
له العقد وهو (عشرة آلاف) رجل خرج بإذن الله تعالى، فلا يزال يقتل أعداء
الله حتى يرضى الله عزَّ وجلَّ^(٢).

٢ - وعن أبي تراب عبد الله موسى الروياني قال:

حدثنا عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن
علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن
علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم
أهو المهدي أو غيره فابتدأني فقال لي:

يا أبا القاسم إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته،
ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً عليه السلام بالنبوة
وخصنا بالإمامة، أنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم
حتى يخرج فيه فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإن الله
تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلة، كما أصلح أمر كليمة موسى عليه السلام إذ
ذهب ليقبّس لأهله ناراً فرجع وهو رسولٌ نبيٌّ، ثم قال عليه السلام: أفضل أعمال
شيعتنا انتظار الفرج»^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٢) الإحتجاج للطبرسي ج ٢، ص ٤٨١.

(٣) المصدر السابق ج ٢، ص ٢٨٢.

٣- وعن حمدان بن سليمان قال : حدثنا الصقر ابن أبي دلف قال :
سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول :

«إن الإمام بعدي ابني علي ، أمره أمري ، وقوله قولي ، وطاعته طاعتي ،
والإمام بعده ابنه الحسن ، أمره أمر أبيه ، وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه ،
ثم سكت . فقلت له : يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الإمام الحسن؟
فبكى عليه السلام بكاءً شديداً ، ثم قال : إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق
المنتظر ، فقلت له : لما سمي القائم؟ قال : لأن له غيبة يكثر أيامها ويطول
أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ به بذكره
الجاحدون ويكذب بها الوقاتون ، ويهلك فيها المستعجلون ، وينجو فيها
المسلمون»^(١) .

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٨٢.

الصحيفة الجرادية

ورد عن رواية ثقة معروفين مجموعة من الأدعية الجليلة رواها الإمام الجواد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أجداده عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بمثابة صحيفة في الدعاء والمناجاة .

روى السيد ابن طاووس باسناده إلى أبي جعفر بن بابويه عن إبراهيم بن محمد بن الحارث التوفلي، قال :

«حدثني أبي - وكان خادماً لمحمد بن علي الجواد عليه السلام لما زوج المأمون أبا جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام ابنته أم الفضل كتب إليه :

إن لكل زوجة صداقاً من مال زوجها، وقد جعل الله أموالنا في الآخرة مؤجلة مذخورة هناك، كما جعل أموالكم معجلة في الدنيا وكنزها هاهنا . وقد أمهرت ابنتك : الوسائل إلى المسائل، وهي مناجاة دفعها إليّ أبي، قال : دفعها إليّ أبي موسى، قال : دفعها إليّ أبي جعفر، قال : دفعها إليّ محمد أبي، قال : دفعها إليّ علي بن الحسين أبي، قال : دفعها إليّ الحسين أبي : قال : دفعها إليّ الحسن أخي، قال : دفعها إليّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، قال : دفعها إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دفعها إليّ جبرائيل عليه السلام قال :

يا محمد . . . رب العزة يقرئك السلام ويقول لك : هذه مفاتيح كنوز الدنيا والآخرة، فاجعلها وسائلك إلى مسائلك، تصل إلى بغيتك وتنجح في

طلبتك، فلا تؤثرها في حوائج الدنيا فتبخس بها الحظ في آخرتك. وهي عشر وسائل إلى عشر مسائل تطرق بها أبواب الرغبات فتفتح، وتطلب بها الحاجات فتنجح وهذه نسختها»^(١).

١ — المناجاة للإستخارة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني خيرتك فيما استخرتك فيه تنيل الرغائب، وتجزل المواهب، وتغنم المطالب، وتطيب المكاسب، وتهدي إلى أجمل المذاهب، وتسوق إلى أحمد العواقب، وتقي مخوف النوائب.

اللهم إني استخيرك فيما عزم رأي عليه، وقادني عقلي إليه فسهل اللهم منه ما توغر، ويسر منه ما تعسر، واكفني فيه المهم وادفع عني كل ملم، واجعل يا رب عواقبه غنماً، ومخوفه سلماً وبعده قريباً، وجد به خصباً

وارسل اللهم إجابتي، وانجح طلبتي، واقض حاجتي، وأقطع عني عوائقها، وامنع عني بوائقها، واعطني اللهم لواء الظفر والخيرة فيما استخرتك، ووفور المغنم فيما دعوتك، وعوائد الأفضال فيما رجوتك. واقرنه اللهم بالنجاح، وخصه بالصلاح، وأرني أسباب الخيرة فيه واضحة، وأعلام غنمهم لائحة، وأشدد خناق تعسرها، وانعش صريع تيسرها.

وبين اللهم ملتبسها واطلق محتبسها، ومكّن أسها حتى تكون خيرة مقبلة بالغنم، مزيلة للعزم، عاجلة للنفع، باقية الصنع إنك ملئ بالمزيد، مبتدئ بالجوّد».

٢ — المناجاة بالاستقالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إن الرجاء لسعة رحمتك انطقني باستقالتك والأمل لأناتك، ورفقك شجعني على طلب أمانك وعفوك ولي يا

(١) مستدرک عوالم العلوم: ج ٢٣، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣٨.

رب ذنوب قد واجهتها أوجه الانتقام، وخطايا قد لاحظتها أعني
 الاضطلام، واستوجبت بها على عدلك أليم العذاب، واستحققت
 باجتراحها مسير العقاب، وخفت تعويقها لإجابتي، وردّها إياي عن قضاء
 حاجتي، وإبطالها لطلبتي، وقطعها لأسباب رغبتني، من أجل ما قد أنقض
 ظهري من ثقلها، وبهظني من الاستقلال بحملها، ثم تراجعت رب إلى
 حلمك عن الخاطئين، وعفوك عن المذنبين، ورحمتك للعاصين، فاقبلت
 بثقتي متوكلاً عليك، طارحاً نفسي بين تنيل الرغائب، وتجزل المواهب،
 وتغنم المطالب، وتطيب المكاسب وتهدني إلى أجمل المذاهب، وتسوق
 إلى أحمد العواقب وتقي مخوف النوائب.

اللَّهُمَّ إنني استخيرك فيما عزم رأيي عليه، وقادني عقلي إليه، فسَهِّل
 اللَّهُمَّ منه ما توعد، ويسر منه ما تعسر، واكفني فيه المهم وادفع عني كل
 ملم، واجعل يا رب عواقبه غنماً، ومخوفه سلماً، واعطني اللهم لواء الظفر
 والخيرة فيما استخرتك، ووفور المغنم فيما دعوتك، وعوائد الأفضال فيما
 رجوتك، واقرنه اللهم بالنجاح، وخصه بالصلاح، وأرني أسباب الخيرة فيه
 واضحة وأغنام غنمها لائحة، واشدد خناق تعسرها، وانعش صريع تيسرها.
 وبيّن اللهم ملتبسها واطلق محتبسها، ومكّن أسّها حتى تكون خيرة
 مقبلة بالغنم مزيلة للغرم، عاجلة للنفع، باقية الصنع إنك مليء بالمزيد،
 مبتدئ بالجوّد».

٣ — المناجاة بالسفر:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم أريد سفراً فخر لي فيه، وأوضح لي
 فيه سبيل الرأي، وفهمني، وافتح عزمي بالاستقامة واشملني في سفري
 بالسلامة، وأفدني جزيل الحظ والكرامة، واكلاّني بحسن الحفظ
 والحراسة، وجنّبي اللهم وعناء السفر، وسهّل لي حزنه الأوعار، وأطو لي

بساط المراحل، وقرب مني بعد نأي المناهل وبعادني في المسير بين خطى
الرواحل، حتى تقرب نياط البعيد، وتسهل وعود الشديد.

ولقني اللهم في سفري نجح طائر الواقية، وهبني فيه غنم العافية،
وخفر الإستقلال، ودليل مجازر الأهوال، وبعث وفور الكفاية وسانح خفير
الولاية، واجعله اللهم سبب عظيم السلم حاصل الغنم. واجعل الليل علي
سترأ من الآفات، والنهار مانعاً من الهلكات، واقطع عني قطع لصوصه
بقدرتك، واحرسني من وحوشه بقوتك، حتى تكون السلامة فيه مصاحبتي،
والعافية مقاربتني، واليمن سائقي واليسر معانقي، والعسر مفارقي، والفوز
موافقي، والأمن مرافقي، إنك ذو الطول والمن، والقوة والحول، وأنت
على كل شيء قدير، وعبادك بصير خبير».

٤ — المناجاة في طلب الرزق:

«بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم أرسل عليّ سجال رزقك مداراً
وامطر علي سحائب إفضالك غزاراً، وأدم غيث نيلك الي سجالاً، واسبل
مزيد نعمك علي خلتي إسبالاً، وافقرني بجودك إليك، واغنني عما يطلب ما
لديك، وداو داء فقري بدواء فضلك وانعش صرعة عيلتي بطولك، وتصدق
علي إقلالني بكثرة عطائك وعلى احتلالني بكريم حباتك، وسهّل ربي سبيل
الرزق إليّ وثبت قواعده لديّ، وبيّس لي عيون سعته برحمتك، وفجّر أنهار
رغد العيش قبلي برأفتك، واجذب أرض فقري، وأخصب جذب ضري،
واصرف عني في الرزق العوائق، واقطع عني من الضيق العلائق، وارمني
من سهم الرزق اللهم بأخصب سهامه، وأحيني من رغد العيش بأكثر دوامه،
واكسبني اللهم سراويل السعة وجلايب الدعة فإني يا رب منتظر لأنعامك
بحذف المضيق، ولتطوّلك التعويق، ولتفضلك بازالة التقتير، ولوصول
حبلي بكرمك بالتيسير .

وأمطر عليّ اللهم سماء رزقك بسجال الدير، وأغنني بعوائد النعم وارم مقاتل الاقتار مني، واحمل كشف الضر عني على مطايا الإعجال واضرب عني الضيق بسيف الاستيصال، واتحفني ربي منك بسعة الإفضال، وامددي بنمو الأموال، واحرسني من ضيق الاقلال. واقبض عني سوء الجذب، وابسط لي بساط الخصب، واسقني من ماء رزقك غدقاً، وانهج لي عميم بذلك طرقاً، وحاجتي بالثروة والمال، وانعشني به من الاقلال، وصبّحني بالاستظهار ومسنّي بالتمكن من اليسار، إنك ذو الطول العظيم، والفضل العميم، والمن الجسم وأنت الجواد الكريم».

٥ — المناجاة بالاستعاذة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إني أعوذ بك من ملومات نوازل البلاء، وأهوال عظام الضراء، فأذني ربي من صرعة البأساء وأجرني من سطوات البلاء، ونجني من مفاجأة النقم وأجرني من زوال النعم ومن زلل القدم، واجعلني اللهم في حياة عزك وحفاظ حرزك من مباغته الدوائر، ومعالجة البوادر.

اللهم ربي، وأرض البلاء فاخسفها، وعرصة المحن فارجفها وشمس النوائب فاكسفها، وجبال السوء فانسفها، وكرب الدهر فاكشفها، وعواقب الأمور فاصرفها، وأوردني حياض السلامة واحملي على مطايا الكرامة، واصحبي بإقالة العثرة، واشملي بستر العورة.

وجد عليّ يا رب بآلائك، وكشف بلائك، ودفع ضرائك، وادفع عني كلاكل عذابك، واصرف عني أليم عقابك، وأعدني من بوائق الدهور، وأنقذني من سوء عواقب الأمور، واحرسني من جميع المحذور.

واصدع صفات البلاء عن أمري، واشلل يده عني مدى عمري إنك الرب المجيد، المبدئ المعيد الفعال لما تريد».

٦ — المناجاة بطلب التوبة:

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم إني قصدت إليك باخلاص توبة
نصوح ، وتثبيت عقد صحيح ، ودعاء قلب قريح وإعلان قول صريح . اللهم
فتقبل مني مخلص التوبة ، وإقبال سريع الأوبة ، مصارع تخشع الحوبة .
وقابل ربي توبتي بجزيل الثواب ، وكريم المآب ، وحط العقاب ، وصرف
العذاب وغنم الإياب ، وستر الحجاب .

وامح اللهم ما ثبت من ذنوبي ، واغسل بقبولها جميع عيوبي ، واجعلها
جالية لقلبي ، شاخصة لبصيرة لبي ، غاسلة لدرني ، مطهرة لنجاسة بدني ،
مصححة فيها ضميري ، عاجلة إلى الوفاء بها بصيرتي .

واقبل يا رب توبتي ، فإنها تصدر من اخلاص نيتي ، ومحض من
تصحيح بصيرتي ، واحتفال في طويّتي واجتهاد في نقاء سريرتي ، وتثبيت
لإنابتي ، مسارعة إلى أمرك بطاعتي .

واجل اللهم بالتوبة عني ظلمة الإصرار ، وامح بها ما قدمته من
الأوزار ، واكسني لباس التقوى ، وجلابيب الهدى ، فقد خلعتُ ربّي
المعاصي عن جلدي ، ونزعت سربال الذنوب عن جسدي ، مستمسكاً ربي
بقدرتك ، مستعيناً على نفسي بعزتك ، مستودعاً توبتي من النكث بحضرتك ،
معتصماً من الخذلان بعصمتك مقارناً به لا حول ولا قوة إلا بك .

٧ — المناجاة بطلب الحج:

بسم الله الرحم الرحيم . اللهم ارزقني الحج على من استطاع إليه سبيلاً
واجعل لي فيه هادياً وإليه دليلاً ، وقرب لي بعد المسالك . وأعني على تأدية
المناسك وحرّم باحرامي على النار جسدي ، وزد للسفر قوتي وجلدي ،
وارزقني ربي الوقوف بين يديك واظفّرني بالنجح بوافر الريح .

واصدرني ربي من موقف الحج الأكبر إلى مزدلفة المشعر، واجعلها
زلفة إلى رحمتك، وطريقاً إلى جنتك، وقفني موقف المشعر الحرام، ومقام
وقوف الإحرام، وأهلني لتأدية المناسك ونح الهدى التوامك بدم يثج،
وأوحاج تحج، وارقة الدماء المسفوحة والهدايا المذبوحة، وفري أوداجها
على ما أمرت، والتنفل بها كما وسمت.

وأحضرني ربي صلاة العيد، راجياً للوعد، خائفاً من الوعيد، حالقاً
شعر رأسي ومقصراً، ومجتهداً في طاعتك، مشمراً، رامياً للجمار بسبع بعد
سبع من الأحجار، وأدخلني اللهم عرصة بيتك وأولني محل أمنك وكعبتك،
ومشاكيك وسؤالك ووفدك ومحاوليجك، وجد عليّ اللهم بوافر الأجر، من
الإنكفاء والنفر واحتم اللهم مناسك حجتي، وانقضاء عجي، بقبول منك
لي، ورأفة منك بي يا أرحم الراحمين».

المناجاة بكشف الظلم:

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم إن ظلم عبدك قد تمكن في بلادك،
حتى أمات العدل، وقطع السبل، ومحق الحق، وأبطل الصدق، وأخفى
البر، وأظهر الشر، وأحمد التقوى، وأزال الهدى، وأزاح الخير وأثبت
الضير، وأنمى الفساد، وقوى العناد، وبسط الجور، وعدى الطور. اللهم يا
رب لا يكشف ذلك إلا سلطانك، ولا يجير منه إلا امتنانك اللهم رب فابتر
الظلم، وبث حبال الغشم، واخمد شوق المنكر، وأعز من عفة ينزجر،
واحصد شأفة أهل الجور، وأبسهم الحور بعد الكور.

وعجل اللهم إليهم البيات، وأنزل عليهم المثالات، وأمت حياة المنكر
ليؤمن المخوف، ويسكن الملهوف، ويشبع الجائع، ويحفظ الضائع ويأوي
الطريد، ويعود الشريد، ويغني الفقير، ويجار المستجير ويوقر الكبير،
ويُرحم الصغير، ويعزّ المظلوم، ويذل الظالم ويفرّج المغموم، وتنفرد

الغماء، وتسكن الدهماء، ويموت الأختلاف ويحيي الائتلاف، ويعلو العلم، ويشمل السلم، ويجمع الشتات ويقوى الإيمان، ويتلى القرآن، إنك أنت الديان، المنعم المنان» .

٩ — المناجاة بالشكر لله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم لك الحمد على مرد نوازل البلاء، وتوالي سبوغ النعماء، وملمات الضراء وكشف نوائب الأواء .

ولك الحمد رب على هنيء عطائك، ومحمود بلائك، وجليل آلائك
ولك الحمد على احسانك الكثير، وجودك الغزير، وتكليفك اليسير،
ودفعك العسير .

ولك الحمد يا رب على تمييزك قليل الشكر، واعطائك وافر الأجر،
وحطك مثقل الوزر، وقبولك ضيق العذر، ووضعك باهض الإصرار،
وتسهيلك موضع الوعر، ومنعك مفضع الأمر ولك الحمد على البلاء
المصروف، ووافر المعروف، ودفع المخوف، وإذلال العسوف .

ولك الحمد على قلة التكليف، وكثرة التخفيف، وتقوية الضعيف
وإغاثة اللهيف، ولك الحمد رب على سعة أمهالك، ودوام إفضالك،
وصرف امحالك، وحميد أفعالك، وتوالي نوالك . ولك الحمد على تأخير
معالجة العقاب، وترك مغافصة العذاب، وتسهيل طريق المآب، وإنزال
غيث السحاب إنك المَنَّان الوهاب» .

١٠ — المناجاة لطلب الحوائج:

«بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم جدير من أمرته بالدعاء أن يدعوك
ومن وعده بالإجابة أن يرجوك .

ولي اللهم حاجة قد عجزت عنها حيلتي، وكلت فيها طاقتي، وضعفت

عن مرامها قوتي، وسوّلت لي نفسي الامارة بالسوء، وعدوّي الغرور الذي أنا منه مبتلي، أن أرغب فيها إلى ضعيف مثلي ومن هو في النكول شكلي، حتى تداركتني رحمتك، وبادرتني بالتوفيق رأفتك، ورددت عليّ عقلي بتطوّلك، وألهمتني رشدي بتفضلك، وأحييت بالرجاء لاسعافك صدري، وصوّرت لي الفوز ببلوغ ما رجوته، والوصول إلى ما أمّلته فوقفت اللهم ربّ بين يديك سائلاً لك، ضارعاً إليك، واثقاً بك، متوكلاً عليك في قضاء حاجتي وتحقيق امنيتي وتصديق رغبتني .

اللهم وأنجحها بأيمن النجاح واهدّها سبيل الفلاح، وأشرح بالرجاء لاسعافك صدري، ويسر في أسباب الخير أمري، وصوّر اليّ الفوز ببلوغ ما رجوته بالوصول إلى ما أمّلته ووقفني اللهم في قضاء حاجتي ببلوغ أمنيتي، وتصديق رغبتني، وأعذني اللهم بكرمك من الخيبة والقنوط، والأناة والتثييط بهينك اجابك وسابغ موهبتك .

اللهم إنك ملئى بالمناجح الجزيلة، وفيّ بها، وأنت على كل شيء قدير ويكل شيء محيط وعبادك خير بصير .

١١ — ومن دعائه عليه السلام عند الصباح والمساء لقضاء الحوائج

قال الراوي : كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أسأله أن يعلمني دعاء، فكتب إليّ :

«تقول إذا أصبحت وأمسيت : الله الله الله ربي الرحمن الرحيم، لا أشرك به شيئاً» .

وإن زدت على ذلك فهو خير . ثم تدعو بما بدا لك في حاجتك فهو لكل شيء بإذن الله تعالى، يفعل الله ما يشاء^(١) .

(١) مستدرک عوالم العلوم ج ٢٣، ص ٢١٨.

- ومن حكمة الخالدة على مدى الدهور:

- الثقة بالله تعالى، ثمن لكل غالٍ، وسلم لكل عالٍ».

من وثق بالله تعالى عرف كل ما نعمه عليه من نعم لا تحصى ومن وثق بالله تعالى وثق به عباد الله وأقام بينهم كريماً محترماً.

ولهذه الثقة ثمن غال جداً لا يقدر، هي نور يقذف به إلى القلب فيهندي إلى سواء السبيل، بلا واسطة ولا مساعدة وبهذه الثقة يرتقي المؤمن إلى مدارك علياً في الحياة الدنيا وإلى محطات سعيدة في الحياة الأخرى.

لكن هذه الثقة يجب أن تكون متبادلة بين المخلوق والخالق بين الطرفين العاطي، والمعطي. فالله عزَّ وجل علام الغيوب يعطي من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

ومن وثق بالله ووثق الله به من جراء أعماله استغنى عن الناس جميعاً وعاش في حمى الرحمان.

من هنا حذرنا الإمام الجواد عليه السلام فقال:

- لا تكن ولي الله في العلانية، عدواً له في السير»

من هنا وجب على عياد الله محاسبة أنفسهم قبل أن يأتي الحساب الأخير.

أن يكون العبد ولي الله في العلانية فهذا أمر واقعي ومعروف لكن أن يضمم الشر لاولياء الله فهو من الكافرين الشريرين المنافقين.

وهؤلاء الجماعة الخونة يحذرنا الإمام الجواد منهم وينبهنا بالابتعاد عنهم. فقال عليه السلام:

«إياك ومصاحبة الشرير، فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره، وتقبح آثاره».

ثم وصف هؤلاء الأشرار المخادعين أصحاب الوجهين فقال ﷺ :
- كفى بالمرء خيانة، أن يكون أميناً للخونة» .

فكم نحن اليوم بحاجة إلى مثل الإمام الجواد ومثل أقوال الإمام الجواد ﷺ وبصورة خاصة نحن في لبنان، فكم نعاني من أمثال هؤلاء الخونة الذين خانوا وطنهم لبنان وتعاونوا مع أعداء لبنان، مع اسرائيل المجرمة الغاصبة المعتدية .

هؤلاء خانوا ضميرهم وخانوا دينهم فخابوا وفشلوا ودمروا مستقبلهم بأيديهم . فعاشوا غرباء في أوطانهم أذلاء في أوطان غيرهم .

وهنا لا بد لنا من ذكر الحكمة الخالدة التي علمنا أياها الإمام الجواد الذي يملك عقل الشيوخ وفكر الفلاسفة وتجارب العلماء وهو في عمر الزهور ومطلع الحياة قال ﷺ :

«الدين عز، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال مثل الطمع» .

يقول الإمام الجواد لهؤلاء الطماعين الذين باعوا ضميرهم ووطنهم ومواطنيهم :

«الثقة بالله حصن لا يتحصن به إلا مؤمن أمين، والتوكل على الله نجاة من كل سوء، وحرز من كل عدو» .

فالمؤمن هو عزيز عند الله، والمؤمن هو حبيب الله، فكيف لا يتحصن الحبيب بحمي حبيبه؟ وكيف لا يعتز المؤمن بحماية الجبار الأعظم العزيز الحكيم؟

وبعد فهل يحتاج المؤمن إلا إلى الحي القيوم؟

- من هنا جاد لنا الإمام الجواد بقوله المأثور :

«عز المؤمن غناه عن الناس» .

فالمؤمن بالله العليّ القدير لا يحتاج إلى أحد سواه، فهو الرحمن الرحيم وهو المعطاء الكريم بيده الملك يرزق من يشاء وينعم بخيراته على جميع المؤمنين ليقوا أعزة كرام أغنياء عظام لا يحتاجون الناس، بل الناس تحتاجهم وتلجأ إليهم.

وعزة المؤمن من عزة خالقه، وعليه أن يحافظ على هذه العزة ويصونها من الذل والهوان.

فليسمع سكان العالم جميعاً أن المؤمنين أعزة كرام لا يرضحون إلا إلى الله تعالى وحده لا شريك له. ولا يهتمهم التهديد والوعيد من الحكام الجبابرة، فهم الأقوياء وهم المنتصرون على أعداء الله بإذنه تعالى. ولديهم القوة الكافية للدفاع عن الخط الإلهي والاستعداد الكامل لصيانة الرسالة الإسلامية من غطسة المعتدين الجناة.

قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ (١)

من هنا نعلم جيداً أن عزة المؤمن في استغنائه عن الناس.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

نهاية الطائف... الى هنة الاولى

والسؤال المطروح كيف كانت نهاية الإمام الجواد عليه السلام وكيف مات؟
والجواب المنتظر كانت ميتة على شكل ميتة آباءه وأجداده وأبنائه؟
إن قتل الأفاضل من الهاشميين كان عادة ونهايتهم الشهادة قام بها
«الوثنيون» على الربانيين .

وكرامة هؤلاء الأفاضل هي الشهادة التي اختصهم بمرتبها السامية الله عز
وجل ليرفع من درجاتهم . . ولأنهم على الحق فلا مكان لهم عند سلطان
الأرض الذي هو على الباطل .

همهم الأواحد إصلاح الأمة ورفع كلمة الله . .

وهكذا . . قتل السلطان الأرضي الجائر هذا الإمام في ريعان شبابه
وأوج عطائه، بفتوى من أبالسنة الأرض . . وكانت للفتوى صفة
«الإستعجال» فاغتيل شاباً طري العود خشية ظهور قواعده الجماعية وبروزه
بين قومه وجماعته بروز الكامن من علمه اللدني!

لقد وجدوا فيه من صغره كيف كان يكشف جهل الفقهاء ويسيطر
بشخصيته الفذة على المتحومين حول بلاط الحكام وموائدهم الدسمة . . .
وكيف كان يفضح المتأمر على رقاب الناس بالباطل وباسم الإسلام! . .

روى المؤرخون بالإجماع أن الإمام عليه السلام قتل مسموماً وليس بذلك شك . وهناك قولان : كيف سم؟ ومن دس له السم أحدهما يضع في قفص الإتهام قاضي الشرع أحمد بن أبي دؤاد^(١) وجعفر بن المأمون، وفي المقدمة المعتصم نفسه .

وثانيهما : زوجته المجرمة أم الفضل بنت المأمون وجعفر أخوها لأنها وأبيها ، وبعض رسل الشر برئاسة المعتصم أيضاً ففي الحالتين المعتصم مشترك ولم يعصمه عن ذلك إيمان . . وقد كان على رأس المنفذين وأولهم .

قال العلامة المجلسي في بحار الأنوار :

«ثم أن المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام وأشار على ابنة المأمون - زوجة الإمام - بأن تُسمّه ، لأنه وقف على انحرافها عن أبي جعفر عليه السلام وشدة غيرتها عليه لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها ، ولأنه لم يرزق منها ولداً - فاجابته إلى ذلك وجعلت سماً في عنب رازقي ، ووضعت بين يديه . فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي .

فقال عليه السلام : ما بكاؤك؟! . والله ليضربنك بعقر لا ينجر وبلاء لا ينستر .

فماتت بعلة في أغمض المواضع من جوارحها صارت ناسوراً فأنفقت ما لها وجميع ما ملكته على تلك العلة، حتى احتاجت إلى الاسترفاد - المساعدة المالية - .

وروي أن الناسور كان في فرجها^(٢) .

(١) أحمد بن أبي دؤاد : كان قاضياً ببغداد في عهد المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل . وقد حصل خلاف بينه وبين محمد بن عبد الملك الزيات في أيام المتوكل ، فغضب عليه هذا وصادر من ابنه محمد مئة وعشرين ألف دينار وجواهر باربعين ألف دينار أيضاً ، وبعث به وبابنه من سامراء إلى بغداد وكانت وفاته سنة ٢٤٠هـ .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٠ ، ص ١٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ، ص ٣٩٨ وأنها سمته بمنديل في فرجه . وانظر الأنوار البهية ص ٢٢٥ .

فيا لعجب العجاب من أميرة خطيرة تقيم في عصمة الإمام ستة عشر عاماً لم تغرس في قلبها شيئاً من الرحمة أو المودة التي يجعلها الله عزَّ وجل بين الزوجين في كتابه العزيز استغفر الله: إنه قلب أميرة مجرمة شريرة عملت بوحى أهلها ونسيت ما هي عليه من الدين الإسلامي! .

فقد تم زواجها المكروه منه سنة ٢٠٥هـ .

وتم سمه منها سنة ٢٢٠هـ .

وكانت هذه المدة - ست عشرة - كانت عجافاً بالنسبة لعاطفة الأميرة العقيم المتحجرة القلب والعمياء البصر والبصيرة! .

وروى صاحب إثبات الوصية قال: «لما انصرف أبو جعفر عليه السلام إلى العراق، لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبران الحيلة النكراء في قتله . فقال جعفر لأخته أم الفضل - وكانت لأمه وأبيه - في ذلك لأنه وقف على انحرافها عنه وغيرتها عليه لتفضيل أم أبي الحسن - ابنه الهادي عليه السلام عليها، مع شدة محبتها له، ولأنها لم ترزق منه ولدأ . فأجابت أخاها جعفرأ وجعلأ له سمأ في شيء من عنب رازقي - وكان يحبه - فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي . فقال لها :

ما بكأؤك؟! والله ليضربنك بفقر لا ينجبر، وبلاء لا يتستر؛ فكان كما قال: فلبيت بعة في أعمض المواضع من جوارحها .

وجعفر هذا تردى في بئر فاخرج ميتأ، وكان سكرانأ^(١) في - أم الفضل - ولا فضل لها - بل أم الغدر والجريمة وهو - جعفر بن المأمون - عمل بدافع عصبية جاهلية تخطت الدين والقبيلة والإنسانية .
ولا لوم عليهما . . لأن من شابه أباه فما ظلم! .

(١) المصدر السابق .

والخلاصة أن المؤسس للظلم والطغيان، هو المأمون خليفة أبيه الذي سبقه في استعمال جند السموم. والساعي والمنفذ والمخطط للجريمة النكراء هو المعتصم وأعانه قوم آخرون. . جاؤوا بذلك ظلماً وزوراً وذهاباً من ابن أبي دؤاد الذي لبس عارها وشنارها واختار نارها بتزلفه للسلطان وإغضابه للرحمان. وانتهاءً بجعفر بن المأمون الشقيق المجرم.

ومروراً بالجاهلية المنتقمة لغيرتها. . ولاسرتها وباءت بخزي الدهر بعد أن ابتليت بداء ذوات العهر. فأمضت باقي أيامها تجتر حياتها غصصاً مرة أليمة!

إذ انزوت تشتغل بمداواة «الداء الذي لا دواء له» حتى نفر منها أقرب المقربين وانطرحت جيفة منتنة. وكانت نكالاً لكل من تجرأ على الله تعالى في صفوته من الخلق وخزان علمه ومواضع سره.

ولالإمام الجواد قولة قالها في العشية التي توفي فيها تدهش العقول وتذهلها. فقد روى أبو مسافر قال: «إني ميت الليلة! ثم قال:

نحن معشرٌ إذا لم يرض الله لأحدنا الدنيا نقله إليه»^(١).

إن أمر هؤلاء النخبة من أمر الله سبحانه، وسرهم من سره، ومن آمن بذلك فقد أكمل إيمانه وأقر بمواهبه تعالى لعباده المخلصين، وخلص نفسه من وساوس النفس ومن شوائب الكفر بما تقدره السماء وتقرره.

وإنه عليه السلام لما خرج حاجاً في تلك السنة ومعها ابنة المأمون خرج معه ابنه علي الهادي عليه السلام وهو في الثامنة من عمره فخلفه في المدينة وسلم إليه الموارد والسلاح، ونص عليه بمشهد أصحابه وثقاته، وانصرف إلى

(١) بحار الأنوار ج ٥، ص ٢.

العراق ومعه زوجته أم الفضل ابنة المأمون، فوجد أن المأمون قد خرج إلى بلاد الروم فمات سنة ٢١٨هـ وبويع المعتصم في تلك السنة^(١).

ثم سُمَّ الإمام عليه السلام بعد ثلاثين شهراً؛ وقد علم أن حجه كان الأخير فسلم المواريث لولده الصغير بجرأة الأنبياء وبيقين الأولياء في ادراك ما يعجز عنه غيره.

وقد طويت بموته صفحة من صفحات الرسالة الإسلامية التي أضاءت الفكر ورفعت منار العلم والفضيلة في الأرض، ولا غرو فقد أكمل رسالة أبيه وأجداده عليهم السلام بأمانة وجرأة وإخلاص.

تجهيزه ودفنه عليه السلام:

غسل بدن الإمام عليه السلام وأدرج في أكفانه، وبادر المعتصم الوائق فصليا عليه^(٢) وحمل الجثمان الطاهر إلى مقابر قريش، وقد احتفت به الجماهير الحاشدة في يوم لم تشهد مثله بغداد، عشرات الآلاف ازدحمت وراء الجثمان العظيم في مواكب حزينة وهي تردد فضائل الإمام وتشيد بصفاته الكريمة وتندبه، وتذكر الخسارة العظمى التي مني بها المسلمون. وحفر للجثمان الطاهر قبر ملاصق لقبر جده الإمام موسى بن جعفر الصادق عليه السلام فواروه فيه وواروا معه القيم الإنسانية، والفضائل المثلى التي يعتز بها كل إنسان من قريب أو بعيد.

(١) بحار الأنوار ج ٥، ص ١٦.

(٢) ان صلاة المعتصم والوائق على الإمام عليه السلام إنما هو للتعظيم الإعلامي على قتل الإمام عليه السلام والمعروف أن المعصوم يقوم بتجهيزه والصلاة عليه معصوم فلا مانع من حضور ابنه الإمام الهادي عند تجهيز أبيه. لكن المعتصم والوائق طبقوا المثل الذي قال؛ قتلوا القليل وحملوا جنازته.

ورد على أبي جعفر المشهدي باسناده عن محمد بن رضية عن مؤدب
ولأبي الحسن الهادي عليه السلام قال :

«إنه كان بين يدي يوماً يقرأ في اللوح وإذا رمى اللوح من يده وقام فزعاً
وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون مضى والله أبي عليه السلام فقلت: من أين
علمت هذا؟ فقال عليه السلام :

من إجلال الله وعظمته شيء لا أعهدده .

فقلت: وقد مضى، قال: دع عنك هذا إنذن لي أن أدخل البيت وأخرج
إليك واستعرضني بأي القرآن إن شئت أقل لك بحفظ، فدخل البيت فقامت
ودخلت في طلبه اشفاقاً مني عليه وسألت عنه فقبل دخل هذا البيت ورد
الباب دونه وقال لي: لا تؤذني علي أحداً حتى أخرج عليكم .

فخرج عليه السلام إلي متغيراً وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون .

مضى والله أبي، فقلت: جعلت فداك، قد مضى فقال: نعم وتوليت
غسله وتكفينه وما كان ذلك ليلى منه غيري ثم قال لي: دع عنك واستعرضني
أي القرآن إن شئت أفسر لك تحفظه» .

فقلت: الأعراف . فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ: بسم الله
الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذْ نُنَقِّنَا جَبَلًا فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا
ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾^(١) .

عمره وتاريخ استشهاده:

كان عمر الإمام الجواد عليه السلام حين قضى نحبه مسموماً خمساً وعشرين
سنة على ما هو المعروف، وهو أصغر الأئمة المعصومين الإثني عشر سناً،
وقد امضى حياته مجاهداً في سبيل عزة الإسلام والمسلمين ودعوة الناس

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧١ .

إلى رحاب التوحيد والإيمان والتقوى، دعاهم إلى أن يحبوا في الله ويكرهوا في الله، ويعملوا في سبيل الله.

وبعد هذا النضال استشهد الإمام الجواد عليه السلام سنة (٢٢٠هـ) يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة، وقيل لخمس ليالٍ بقين من ذي الحجة وقيل لست ليالٍ خلون من ذي الحجة وقيل في آخر ذي القعدة^(١).

فسلام عليك أيها الإمام الصابر المجاهد يوم ولدت، ويوم تقلدت الإمامة وجاهدت في سبيل ربك صابراً محتسباً ويوم استشهدت مسموماً على أيدي الخونة المجرمين ويوم تبعث حياً.

وفي كل حال لحق الإمام عليه السلام بالرفيق الأعلى وانضم إلى قافلة الشهداء الأبرار من آبائه وأجداده عليهم السلام، وانتهى ظلم «الحكام المسلمين» بموته حياة إمام، لسان حال الذي يوجه إليهم يوم القيامة بشأنه يقول:

«أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟!»

وانطوت باستشهاده صفحة مشرقة من صفحات المجاهدين في سبيل الله حتى يصل كلمة الله إلى عباد الله الذين كانوا خلفاء في أرضه سبحانه وتعالى، وأمناؤه على وحيه من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي والتنزيل، وكان ذلك يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومئتين هجرية.

وبعد وفاته دخلت زوجته - أم الفضل بنت المأمون - إلى قصر المعصم فجعلت مع الحرم، وذاقت بعده عليه السلام الموت الزؤام وعذاب الندم والألم النفسي... ولات ساعة مندم. وكان عمره خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر، واثنا عشر يوماً.

(١) الكافي ج ١، ص ٤٩٧ واعلام الوري عن ابن عياش - التهذيب ج ٦، ص ٩٠.

وخلف بعده ذكرين، هما: الإمام علي الهادي عليه السلام الذي ولد سنة ٢١٢هـ وكان ابن تسع سنين. وأخوه موسى. وابنتين هما: فاطمة وامامة^(١).

ثم دفن عليه السلام خلف جده الإمام الكاظم عليه السلام في مقابر قريش في أطراف بغداد، وتقوم الآن من حول مقامهما مدينة الكاظمية العريقة، ومقامها مزار يكتظ بالزوار ليل نهار حيث تتلاقى من حوله دموع الطائفين به، وتتصاعد دعواهم وابتهالاتهم إلى الله عزَّ وجلَّ في طلب الحوائج، ورجاء المغفرة وتشفعاً بهذين الإمامين العظيمين اللذين اغتالهما ظلم الحاكمين باسم الإسلام الذي جاء به جدهما الأكرم عليه السلام وقد قامت حضرتهما الشريفة تحت قبة كبرى، مذهبة كلها - يرجع البصر عنها خاسئاً وهو حسير.

وقد قامت في وسط عاصمة الجور والظلم لتكون قذى في أعين ظالمي أهل بيت النبي إلى يوم يبعثون، ومحجة يأوي إليها المؤمنون إلى أن يقوم الناس لرب العالمين. أما الظالمون.. فقد ترمدوا واخنى عليهم الدهر... وديارهم خراب - وقوبهم مهجورة عفنها التراب والله وحده يعلم سوء مصيرهم بعد وقبورهم بين يدي ربهم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ !!

أما مدة ولايته فكانت سبعة عشر سنة^(٢).

وقيل إنه أمضى في حياة والده سبع سنين وأربعة أشهر وعاش بعده

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤، ص ٣٣٩ وبحار الأنوار ج ٥٠ من ص ١ - ١٥، والكافي ج ١، ص ٤٩٢ وما بعدها - وكشف الغمة ج ٢، ص ٢١٥ وتذكرة الخواص ص ٣٢١ والكامل لابن الأثير ج ٦، ص ١٥٣ ومرج الذهب ج ٢، ص ٤٦٤ والصواعق المحرقة ص ٢٠٦ وإعلام الوري ص ٣٣٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٣٧٧ وكشف الغمة ج ٣، ص ٢١٥ والكافي ج ١ ص ٤١٧ وتذكرة الخواص ص ٣٢١ وأكثر المصادر التي ذكرت سابقاً.

ثماني عشرة سنة - وقد توفي عنه أبوه سنة ٢٠٣هـ. وكانت إمامته بقية ملك المأمون، وأول ملك المعتصم، بعد أن مضى منه ثلاثون شهراً^(١).

لقد خلد ذكر أهل الحق إذ سبق القضاء والظالمون طواهم التراب. وقال فيهم الله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَكِنُهُمْ لَمَّا بَدَّهْرٌ إِلَّا قَلِيْلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِيْنَ﴾^(٢).

(١) كشف الغمة ج ٣، ص ١٥٣. والكافي ج ١، ص ٣٤٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٨.

قصيدة لأبي فراس الحمداني ٣٢٠هـ - ٣٥٧هـ

كان بنوا العباس الخلفاء وآل بويه وآل حمدان الأمراء .

أما عن سبب نظم هذه القصيدة، فهو أن أبا فراس وقف على قصيدة ابن سكرة التي يتحامل فيها على العلويين، والتي أولها:

بني علي دعوا مقاتلكم لا ينقص الدر وضع من وضعه
وأبو فراس أمير شجاع ومحب للعلويين، فنظم هذه القصيدة العصماء التي سارت بها الركبان^(١) يقول فيها:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| يا للرجال أما لله منتصر | من الطغاة، أما للدين منتقم؟ |
| بنو علي رعايا في ديارهم | والأمر تملكه النسوان والخدم |
| محلأون فاصفى وردهم وشل | عند الورود وأوفى شربهم لمم |
| فالأرض إلا على ملاكها سعة | والمال إلا على أربابه ديم |
| فما السعيد بها إلا الذي ظلموا | وما الشقي بها إلا الذي ظلموا |
| للمتقين من الدنيا عواقبها | وإن تعجل فيها الظالم الأثم |
| لا يطغين بني العباس ملكهم | بنو علي مواليتهم، وإن رغموا |
| أتفخرون عليهم لا أبا لكم | حتى كأن رسول الله جدكم |

(١) الغدير ج ٣، ص ٤٠٣.

وما توازن يوماً بينكم شرف
ولا لكم مثلها في المجد متصل
ولا لعرقكم من عرقهم شبه

كم غدره لكم في الدني واضحة
أنتم آله فيما ترون وفي
هيهات لا قربت قربي ولا رحم
كانت مودة سلمان لهم رحماً

يا جاهداً في مساويهم يكتمها
ذاق الزبيري عبت الحنث وانكشفت
ليس الرشيد كموسى في القياس ولا
باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته
يا عصابة شقيت من بعدما سعدت
لبئسما لقيت منهم وإن بليت
لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا
ولا الأمان لأهل الموصل اعتمدوا

أبلغ لديك بني العباس مألحة
أي المفاجر أمست في منابركم
أنى يفيدكم في مفخر علم
يا باعة الخمر كفراً عن مفاخركم
خلوا الفخار لعلامين إن سئلوا
لا يغضون لغير الله إن غضبوا

ولا تساوت لكم في موطن قدم
ولا لجدكم مسعاة جدهم
ولا نثيلتكم من أمهم أمم

وكم دم لرسول الله عندكم
«أظفاركم من بنيه الطاهرين دم
يوماً إذا أقصت الأخلاق والشيم
ولم تكن بين نوح وابنه رحم

غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم
عن ابن فاطمة الأقوال والتهم
مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم
وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا
ومعشر هلكوا من بعدما سلموا
بجانب الطف تلك الأعظم الرمم
ولا الهبيري نجى الحلف والقسم
فيه الوفاء، ولا عن غيهم حلموا

ولا تدعوا ملكها ملاكها العجم
وغيركم أمر فيها، ومحتكم
وفي الخلاف عليكم يخفق العلم
لمعشر بيعهم يوم الهياج دم
يوم السؤال، وعمالين إن علموا
ولا يضيعون حكم الله إن حكموا

تنشي التلاوة في أبياتهم سحراً وفي بيوتكم الأوتار والنغم
إذا تلوا آية غنى أمامكم قف بالديار التي لم يعفها قدم
منكم عليه أم منهم، وكان لكم شيخ المغنين إبراهيم، أم لهم
الركن، والبيت، والاستار منزلهم

وزمزم، والصفاء، والحجر والحرم
وليس من قسم في الذكر تعرفه
إلا وهم دون شك ذلك القسم

دعبل والمأمون

عن يحيى بن أكثم قال :

إن المأمون أقدم دعبل الخزاعي وأمنه على نفسه، فلما مثل بين يديه .
قال : أنشدني قصيدتك الرائية، فجحدها دعبل وأنكر معرفتها؛ فقال له : لك
الأمان عليها كما أمنتك على نفسك فأنشده :

أخنى الزمان على أهلي فصدهم تصدع الشعب لاقى صدمة الحجر
بعض أقام، وبعض قد أصار به داعي المنية والباقي على الأثر
أما القيم : فاخشى أن يفارقني ولست أوبة من ولي بمنتظر
أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي كحالم قص رؤيا بعد مذكر

لولا تشاغل عيني بالأولى سلفوا من أهل بيت رسول الله لم أقر
وفي مواليك للحر من مشغلة من أن تبیت لمشغول على أثر
كم من ذراع لهم بالطف بائنة وعارض بصعيد الترب منعفر
أمسى الحسين ومسرهم لمقتله وهم يقولون هذا سيد البشر
يا أمة السوء ما جازيت أحمد في حسن البلاء على التنزيل والسور
خلفتموه على الأبناء حين مضى خلافة الذئب في انقاذ ذي بقر

لم يبق حي من الأحياء نعلمه
إلا وهم شركاء في دمائهم
قتلاً، وأسراً، وتخويفاً ومنهبة
أرى أمية معذورين إن قتلوا
قوم قتلتم على الإسلام أولهم
أبناء حرب، ومروان، وأسرتهم
أربع بطوس على قبر الزكي بها
قران في طوس: خير الناس كلهم
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت
«قال: فضرب المأمون بعمامته الأرض، وقال صدقت والله يا دعبل».

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

— ١ —

٢ - الإرشاد للشيخ المفيد - النجف الأشرف العراق .

٣ - إثبات الوصية للمسعودي .

٤ - إثبات الهداية للحر العاملي .

٥ - آثار الجاحظ لجنة من أدباء مصر .

٦ - الإحتجاج للطبرسي .

٧ - الإختصاص للشيخ المفيد .

٨ - أخبار الدول للقرماني .

٩ - الإمام الجواد محمد علي دخیل .

١٠ - أصول الكافي للكليني .

١١ - أعلام الوری بأعلام الهدى للطبرسي .

١٢ - أعيان الشيعة السيد محسن الأمين .

١٣ - الآمالي للصدوق .

١٤ - الآمالي للشيخ المفيد .

١٥ - أنساب الأشراف، للبلاذري.

١٦ - أهل البيت لتوفيق أبو علم.

١٧ - الأغاني لوصفهانى.

١٨ - أهل البيت لتوفيق أبو علم.

— ب —

١٩ - بحار الأنوار للمجلس.

٢٠ - البداية والنهاية لابي الفداء ابن كثير.

٢١ - بصائر الدرجات لمحمد بن حسن الصفار.

٢٢ - البرهان في تفسير القرآن للبحراني.

— ت —

٢٣ - تاريخ الطبري القاهرة مصر.

٢٤ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

٢٥ - تاريخ ابن الأثير لابن الأثير.

٢٦ - التنبية والأشراف للمسعودي.

٢٧ - تاريخ التمدن الإسلامى لجرى زيدان.

٢٨ - تاريخ الخلفاء للسيوطي.

٢٩ - تاريخ الإسلام د. حسن إبراهيم حسن.

٣٠ - تاريخ الشيعة لعبد الجواد الكلیدار.

٣١ - التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسى.

٣٢ - تحف العقول للبحراني.

٣٣ - تذكرة الخواص لابن الجوزي .

٣٤ - تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي .

٣٥ - تاريخ ابن خلدون لابن خلدون .

— ج —

٣٦ - جامع السعادات لمحمد بن مهدي التراقي .

— ح —

٣٧ - حياة الإمام محمد الجواد للسيد جعفر مرتضى العاملي .

٣٨ - حياة الإمام محمد الباقر لباقر شريف القرشي .

٣٩ - حياة الحيوان للدميري .

٤٠ - حضارة العرب كدستاف لويون .

٤١ - الحياة السياسية للإمام الرضى للسيد جعفر مرتضى العاملي .

٤٢ - حلية الأولياء لأبي نعيم .

٤٣ - حضارة العرب في صدر الإسلام للمؤلف د. حسين إبراهيم

الحاج حسن .

٤٤ - الحياة السياسية للإمام الحسن السيد جعفر مرتضى العاملي .

— د —

٤٥ - دلائل الإمامة للطبري .

٤٦ - دلائل الصدق للشيخ المظفر .

٤٧ - الدر المنثور للسيوطي .

٤٨ - ذخائر العقبى للطبري .

٤٩ - اللمعة الساكبة للشيخ محمد باقر .

— ر —

٥٠ - روضة الواعظين النيسابوري

٥١ - الرجال للكشي .

— س —

٥٢ - سيرة الأئمة الاثني عشر للسيد هاشم معروف الحسيني .

٥٣ - سنن الدارمي الدارمي .

٥٤ - سفينة البحار للشيخ عباس القمي .

— ص —

٥٥ - صحيح البخاري .

٥٦ - صحيح الترمذي .

٥٧ - الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي .

٥٨ - الصراط المستقيم للبياضى العاملي .

٥٩ - صفة الصفوة لابن الجوزي .

— ط —

٦٠ - طبقات الشعراء لابن المعتز .

— ع —

٦١ - العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي .

٦٢ - علل الشرائع للشيخ الصدوق .

- ٦٣ - عيون المعجزات للشيخ حسين بن عبد الوهاب .
٦٤ - عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق .
٦٥ - العترة النبوية لعبد العزيز بن الأخضر الخيابدي .
٦٦ - عقيدة الشيعة لمظفر محمد رضا .
٦٧ - عدة الداعي الشيخ أحمد ابن فهد الحلبي .

— غ —

- ٦٨ - الغدير للأميني .

— ف —

- ٦٩ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي .
٧٠ - الفهرست لابن النديم .
٧١ - الفتنة الكبرى لطفه حسين .
٧٢ - الكافي للكليني .
٧٣ - كشف الغمة للأربيلي .
٧٤ - كفاية الأثر للخزاز القمي .
٧٥ - الكامل في التاريخ لابن الأثير .
٧٦ - كنز العمال للمتقي الهندي .

— ل —

- ٧٧ - لسان العرب لابن منظور .

— م —

- ٧٨ - الملل والنحل للشهرستاني .

- ٧٩ - المناقب للخوارزمي .
- ٨٠ - المستطرف للابشيهي .
- ٨١ - مقاتل الطالبين لابي الفرج الأصفهاني .
- ٨٢ - مروج الذهب للمسعودي .
- ٨٣ - مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي .
- ٨٤ - المسند أحمد بن حنبل .
- ٨٥ - من لا يحضره الفقيه محمد بن بابويه القمي المعروف بالصدوق .
- ٨٦ - منتخب الأثر للطف الله الصافي .
- ٨٧ - معاني الأخبار للشيخ الصدوق ، معاني الأخبار للشيخ الصدوق .
- ٨٨ - الميزان في تفسير القرآن للسيد الطباطبائي .
- ٨٩ - المقدمة لابن خلدون .
- ٩٠ - محمد عند علماء الغرب للشيخ خليل ياسين .
- ٩١ - مهج الدعوات السيد ابن طاووس .
- ٩٢ - مشكاة الأنوار للطبرسي .
- ٩٣ - مآثر الكبراء في تاريخ سامراء للشيخ ذبيح الله المحلاتي .
- ٩٤ - نور الأبصار للشبلنجي .
- ٩٥ - نهج البلاغة لأمر المؤمنين عليه السلام جمعه الشريف الرضي .
- ٩٦ - النظم الإسلامية للمؤلف د . حسين إبراهيم الحاج حسن .
- ٩٧ - نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية المؤلف د . حسين إبراهيم الحاج حسن .

— و —

- ٩٨ - وسائل الشيعة للحر العاملي .
٩٩ - الوافي بالوفيات للصفدي .
١٠٠ - وفاة الإمام الجواد للسيد عبد الرزاق الموسوي المقوم .

— ي —

- ١٠١ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي .

قائمة المؤلفات

- ١ - علم الاجتماع الأدبي، المؤسسة الجامعية بيروت ١٩٨٣ م.
- ٢ - أدب العرب في عصر الجاهلية المؤسسة الجامعية بيروت ١٩٨٤ م.
- ٣ - حضارة العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية ١٩٨٤ م.
- ٤ - أعلام في الشعر العباسي.
- ٥ - حضارة العرب في العصر العباسي، المؤسسة الجامعية ١٩٨٥ م.
- ٦ - أعلام في النثر العباسي.
- ٧ - حضارة العرب في العصر الأموي المؤسسة الجامعية ١٩٨٥ م.
- ٨ - نظم إسلامية، المؤسسة الجامعية ١٩٨٧ م.
- ٩ - الروابط الإجتماعية في الإسلام، دار المرتضى ١٩٩٥ م.
- ١٠ - النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية ١٩٩٦ م.
- ١١ - الاسطورة عند العرب في الجاهلية، ١٩٨٨ م.
- ١٢ - أدب العرب في صدر الإسلام المؤسسة الجامعية ١٩٩٢ م.
- ١٣ - نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية، مؤسسة الوفاء ١٩٨٥ م.
- ١٤ - الرسالية في الثورة الحسينية، دار الكرام ١٩٩٢ م.
- ١٥ - الإمام السجاد جهاد وأمجاد، دار المرتضى ١٩٩٤ م.

- ١٦ - معالم مشعة من حياة الإمام الباقر، دار الرسول الأكرم ١٩٩٦م.
- ١٧ - الإمام الصادق عطر النبوة ومصدر حياة، دار المرتضى ١٩٩٧م.
- ١٨ - الإمام الكاظم باب الحوائج، دار المرتضى ٢٠٠٠م.
- ١٩ - الإمام الرضا غريب طوس، دار المرتضى ١٩٩٣م.
- ٢٠ - الحب والحياة. مخطوط.
- ٢١ - الإمام علي مسيرة جهاد وعطاء إنساني ١٩٩٧م.
- ٢٢ - الثقافة الإسلامية المستشارية الثقافية - دمشق ١٩٨٨م.

الفهرس

| | |
|----|---|
| ٥ | فاتحة الكتاب |
| ٧ | الإهداء |
| ٩ | المقدمة |
| ١٥ | تمهيد |
| ١٩ | من هو الإمام الجواد <small>عليه السلام</small> |
| ٢٥ | النص على إمامته |
| ٢٩ | العمر ومنصب الخلافة |
| ٣٢ | الإمام <small>عليه السلام</small> علمه من علم الله! |
| ٤٣ | دور العقل والفطرة عند الشيعة الإمامية |
| ٤٨ | القيادة الرسالية لأهل البيت <small>عليهم السلام</small> |
| ٥٦ | من مكارم أخلاقه الإجتماعية |
| ٦١ | الحالة السياسية في عصر الإمام الجواد <small>عليه السلام</small> |
| ٧٤ | ملامح الحياة الثقافية |
| ٧٨ | العلوم السائدة في العصر العباسي |
| ٨٥ | الحياة الإقتصادية في العصر العباسي |

| | |
|---|-----------|
| الثورات في عهد الإمام الجواد <small>عليه السلام</small> | ١٠١ |
| التشيع وحكام العصر | ١٠٦ |
| ظاهرة الإمامة المبكرة في مدرسة أهل البيت <small>عليهم السلام</small> | ١١٣ |
| تعريف الإمامة | ١١٨ |
| زواج الإمام الجواد من أم الفضل | ١٣٠ |
| التعريف بالأمين ابن هارون الرشيد | ١٣٧ |
| التعريف بالمأمون ابن هارون الرشيد | ١٤٢ |
| من أبرز صفات المأمون | ١٤٨ |
| موقف المأمون من الإمام الجواد <small>عليه السلام</small> | ١٥٨ |
| المأمون ابن أبيه هارون | ١٦٦ |
| سياسة دهاء وسوء نية | ١٦٩ |
| خطان مختلفان | ١٧٩ |
| خط الأئمة المعصومين | ١٧٩ |
| خط الخلفاء العباسيين | ١٨٠ |
| سؤال يطرح نفسه | ١٨٠ |
| شكوك ساورت عقول البسطاء | ١٨٤ |
| مهمة هامة في التاريخ الإسلامي | ١٨٨ |
| وضع معالم نظام المرجعية - تشجيع الحركة الفكرية - الحث على التدوين - وضع شروط وضوابط للحديث - التنبيه على الطابور الخامس - ضرورة اهتمام المسلمين بعضهم بأمور بعض - عدم الرجوع إلى قضاء السلطة - التأكيد على توثيق العلاقات الاجتماعية | ١٨٩ - ١٩٣ |

| | | |
|-----|-------|---|
| ١٩٥ | | دور الإمامة في إصلاح الأمة |
| ٢٠٦ | | الإمام الجواد عالم في الفقه وأحكام الشريعة |
| ٢١٤ | | دور الإمام <small>عليه السلام</small> في التفسير |
| ٢٣١ | | روائع من أنوار علومه |
| ٢٤٢ | | العجز وجعلت العجز سواه |
| ٢٤٨ | | من تراثه في الطب |
| ٢٥٦ | | في رحاب مواعظ الإمام الجواد <small>عليه السلام</small> |
| ٢٧٩ | | دور الإمام الجواد <small>عليه السلام</small> في البناء الثقافي |
| ٢٨٢ | | دعوة الإمام الناس إلى الإسلام الأصيل |
| ٢٨٦ | | بعض دلالاته ومعجزه الخارقة |
| ٣٠٦ | | الفرق المنحرفة الفرقة الواقفية |
| ٣١٥ | | مكافحة الغلو |
| ٣١٨ | | رد الإمام الجواد على الأحاديث الموضوعية |
| ٣٢٢ | | العداء بين أئمة أهل البيت <small>عليهم السلام</small> وبين خصومهم |
| ٣٢٦ | | التمهيد لإمامة علي الهادي <small>عليه السلام</small> |
| ٣٣٢ | | الصحيفة الجوادية |
| ٣٤٤ | | نهاية المطاف... إلى جنة المأوى |
| ٣٥٣ | | قصيدة لأبي فراس الحمداني ٣٢٠هـ - ٣٥٧هـ |
| ٣٥٧ | | المصادر والمراجع |
| ٣٦٤ | | قائمة المؤلفات |